

الآلئ الجوهريــة فـى الخـطب المنبريـة

إعداد

الشيخ / أبو السعود مأمون محمد

من علماء الأزهر الشريف



بطاقة فهرسة

حقوق الطبع محفوظة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: اللآلئ الجوهريّة في الخطب المنبرية

إعداد: أبو السعود مأمون محمد

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١٢



شارع جيهان - أمام بوابة الجامعة ت: ٠١٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

مقدمة

أحمدك اللهم وأشكرك وأستعين بك وأستغفرك وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تعطى وتمنع وتخضع وترفع وتعز وتذل فلك الحمد ولك الشكر فى كل وقت وحين وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك صفوة الأنبياء وخاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد...

هذه خطب منبرية ألقيتها فى مسجد معهد المنصورة للبنين الإعدادى الثانوى وقد جمعتها فى كتاب به موضوعات متنوعة مستدلا بآيات من كتاب الله وأحاديث سيد الأبرار.

حتى صارت والحمد لله سهلة الفهم خالية من التعقيد وتسير مع رسالة الأزهر الشريف وتنشق من رسالات السماء ودعوته هى دعوة الرسل والأنبياء هى دعوة إلى توحيد الخالق والعبادة الصحيحة فجاءت بحمد الله تحفة فائقة فلذلك سميت كتابى هذا..

(اللآلى الجوهريّة فى الخطب المنبرية)

أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ويكون لى سببا فى الفوز بجنات النعيم فأقول متوسلا إليه بصاحب الوسيلة ومتوكلا عليه راجيا معروفه وجميله وأن يجعل لى من ثواب من ينتفع به نصيبا وأن يحقق أملى فى نشر العلم وأن يكون خير زاد للدعاة والأئمة والواعظين والمسلمين فإن كنت قد وفقت إلى ذلك فالحمد والشكر لله وهو حسبي ونعم الوكيل والنصير وإن كنت قد قصرت فهذا جهد المستطاع.

الداعية الإسلامى

الشيخ / أبو السعود مأمون محمد

من علماء الأزهر الشريف

* * *

إهداء

حمدا لمن وفق من اصطفاه لنفع عباده.. وأسعد من ارتضاه
لهدايته وإرشاده..

بفضله نور قلوب العارفين.. وشرح صدورهم للعمل بأحكام
الدين...

فهم المتوجهون برتبة حسن النصيحة والدعوة. المجعولون
للمتقين إماما وقادة..

من اقتدى بهم اهتدى... ومن أنكر عليهم ضل واعتدى. والصلاة
والسلام على سيدنا محمد الذى جاءنا بالهدى ودين الحق وعلى آله
وصحبه الناهجين مناهج العدل والصدق... وبعد..

فقد تصفحت هذا الكتاب المسمى:

(بالآلئ الجوهريّة فى الخطب المنبرية)

فوجدته سهل العبارة واضح الإشارة قليل المبانى.. كثير
المعانى..

إشارات واضحة محكمة.. لا مطيلة مملة.. ولا مختصرة مخلة..
جمع فيه ما ورد فى الكتاب والسنة والآداب.. فإذا هو روضة
يأنعة الأزهار..

يجب أن يعمل بما فيه المتقون.. وفى مثل ذلك فليتنافس
المتنافسون..

وقد اشتمل الكتاب على ما تجب معرفته من العقائد والأحكام
للدين المصون..

اللائئ الجوهريه فى الخطب المنبرية

للشيخ الجليل " أبو السعود مأمون "... فجد الشيخ واجتهد..
وعلى مولاه فى تأليف الكتاب اعتمد..
جعل الله عمله مقبولا.. ونفعه دائما موصولا.. وسعيه مشكورا..
ووفاه أجره موفورا..
والله أسأل أن يوفقنا لخدمة العلم و الدين..

الداعية الإسلامى
الشيخ / أحمد محمد الشيخ
من علماء الأزهر الشريف

* * *

١ - آداب المساجد

الحمد لله الذى تفضل فشرع الأعمال الصالحة التى ترفع شأن المسلمين وتحقق العزة والسعادة والسيادة للمؤمنين الصالحين. أحمدته وأشكره وأتوب إليه وأستغفره.

قد حث على هذه الأعمال ورغب فيها حيث أمر بها وبين أنه يراها ووعده بأنه يرفعها إلى ساحة رضوانه وبأنه لا يضيع أجر العاملين

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. جعل القيام بإنشاء المساجد وعمارتها من أهم الأعمال الصالحة حيث بين أن ذلك من صفات المؤمنين وقد اختص المساجد بإضافتها إلى نفسه. تعظيما لشأنها. وترغيبا فى المساهمة فى إقامتها وفى الإكثار منها كى يعبد فيها الله رب العالمين...

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله كانت عنايته بالمساجد عظيمة بالغة الأثر حيث جعل بناءها أول شئ بدأ به عمله أثناء الهجرة وبعدها وذلك لما فيها من العمل على تنظيم وحدة المسلمين..

اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الذين نهجوا منهجه وسلكوا سبيله فاهتموا بعمارة المساجد لما أدركوه من عظيم أثارها فكانوا من المهتدين.

أما بعد فيا عباد الله:

يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

أيها المؤمنون: المساجد هى بيوت الله فى الأرض حيث يجتمع المسلمون فيها ويخرون لله جل جلاله ساجدين بجباههم على أرضها ضارعين إلى الله بالتنزيه والتسبيح مبتغين القرب من ساحة الرحمن ذى الجلال والإكرام.

والمساجد يا عباد الله هى مدارس دينية قيمة توجه المسلمين إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة. وذلك بما يتلقونه فيها على ألسنة المرشدين من دروس دينية وأخلاقية وثقافية واجتماعية واقتصادية وصحية.

والمساجد يا عباد الله هى مستشفيات روحية رحيمة كريمة تعالج فيها جميع الأمراض النفسية الخبيثة التى تبعد أصحابها عن رحمة الله. وتجلب عليهم الشقاء فى الدنيا والآخرة مثل الحقد والميل إلى ارتكاب المنكرات واتباع الهوى والشهوات والغيبة والنميمة والحسد والكبر والغرور.

فإن هذه الأمراض كلها تعالج فى المساجد بما يلقى فيها من العظات الدينية التى تعالج كل مرض من هذه الأمراض بما يناسبه بما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولهذا كان من الحكمة أن يختار القائمون بالوعظ والإرشاد فى المساجد ممن توفرت فيهم القدوة الكاملة على القيام بهذه الأعباء وحسن أداء الرسالة فيها.

واختيار أقوم الطرق لتوجيه الناس إلى الانتفاع بالدروس التى تلقى فيها والصلاحية لمعالجة الأمراض بما يقدم إلى أصحابها من قضايا الدين الحنيف. إذ ليس كل إنسان قادرا على تحمل هذه الأعباء صالحا لهذه التوجيهات.

فإذا خلت المساجد ممن تتوفر فيهم هذه الصفات ضعفت رسالتها

التي هي أعظم رسالة روحية تحقق للمسلمين أهدافهم التي توصلهم إلى الفوز بخيرى الدنيا والآخرة والمساجد يا عباد الله هي التي تزول فيها الفوارق بين الطبقات وتتم فيها المساواة بين جميع الأفراد. حيث أن جميع المجتمعين فيها يصلون لإله واحد ويستقبلون قبلة واحدة ويسجدون على أرضها بجباههم لإله واحد لا فرق بين غنى وفقير ولا عظيم وحقير. فبهذا كله تزول الفوارق بين الناس وتطهر قلوب الأغنياء من الكبر والغرور والاحتقار فيدنون الفقراء منهم فتطهر قلوب الفقراء من الحقد على الأغنياء. وينزع الغل والبغض من صدور الناس ونفوسهم حتى يصبح المسلمون جميعا بنعمة الله إخوانا متحابين متعاونين متضامنين وتلكم هي أسمى الغايات.

(فيا أيها المؤمنون) ..

هذه هي المساجد وتلكم بعض مميزاتها فلا عجب إذا رأينا اهتمام الدين بها وغايته بإنشائها فقد حثنا الدين على المساهمة في إقامتها ورغب فيها بما يحفز النفوس على التسابق في إقامتها وعمارتها وحسبنا ما تضمنته الآية الكريمة من أن الله سبحانه وتعالى قد بين فيها أن القائم بعمارة المساجد هو من زمرة المؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ولم يخشوا إلا الله فترجى لهم من الله الهداية والتوفيق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان **رواه البخارى فى كتاب الصلاة.**

ثم تلا قول الله تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة: ١٨].

وقد كان إنشاء المسجد أول شيء بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم عمله أثناء الهجرة إلى المدينة وبعدها فلما نزل بقاء بنى

بها مسجدا ولما استقر بالمدينة بدأ فيها ببناء مسجده المعروف بها.

وكان صلى الله عليه وسلم يعمل فى البناء بيده مع العمال الذين كانوا يقومون بالبناء وكان يحمل معهم الأحجار والجريد.

وكان مسجده صلى الله عليه وسلم برلمانا تنظم فيه شؤون المسلمين وتعقد فيه الألوية لجيوش المسلمين. كما كان نزلا ومحل استقبال للغرباء.

ويرغبنا صلى الله عليه وسلم فى بناء المساجد فيقول: من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة رواه البخارى فى كتاب الصلاة.

وهذا الأجر ينتفع به كل من ساهم فى بناء المساجد ولو بوضع لبنة فيها أو بتقديم شئ من ماله للمساهمة فى البناء أو النظافة.

“وقد بين صلى الله عليه وسلم إن ممن يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله: رجل تعلق قلبه بالمساجد رواه البخارى ومسلم.

وحسبنا فى عظم شأن المساجد أن الله مالك الملك جل شأنه قد اختصها بالإضافة إلى نفسه مع أن الدنيا كلها ملك لله فى قبضته وقدرته. فقال: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨].

من هذا كله يتبين لنا أن من أنشأ مسجدا أو ساهم فى إنشائه كان له عند الله أجر عظيم. ولا عجب فهو بعمله هذا قد حول مكانا خاليا إلى أن جعله مكانا يعبد فيه الله وحده ويرتفع منه صوت المؤذن بالتهليل والتكبير ودعوة الناس إلى الصلاة التى فيها سبب صلاحهم وفلاحهم وفوزهم بالنعيم المقيم وذلك حين يقول:

(الله أكبر إلى أن يقول حى على الصلاة حى على الفلاح).

فيا أيها المؤمنون... إذا كنتم تهتمون بتنظيم بيوتكم التى تقيمون فيها وتستقبلون فيها من تحبون فاهتمامكم بتنظيم بيوت الله يجب أن

يكون أولى وأعظم لأنه بيت الله الذى تعبدونه فيه وتتشرفون بالوقوف فيه أمام الله عز وجل وبين يديه تناجون وتنادون مبتغين رحمته خائفين من عذابه.

فيا معشر المسلمين... إذا دعيتم إلى إنشاء المساجد أو المساهمة فى إنشائها فلا تنهاونوا بل بادروا وسارعوا إلى تلبية أمر الداعى وساهموا بما تستطيعون من مال أو عمل كى تفوزوا بالحسين.

واعلموا أيها المؤمنون.. أن للمساجد آدابا ينبغى أن نتجمل بها وأن نتخذها شعارا لنا ما دمنا مقيمين فى المسجد. فمن هذه الآداب أننا إذا دخلنا المسجد ملأنا قلوبنا بما للمسجد من جلال وهيبة ووقار ورهبة فنمتنع عن اللغو والكلام الخارج عن العبادة. لأن الكلام فى المساجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

ومن آداب المساجد أيضا أن تغلق التليفون المحمول قبل الدخول إلى المساجد وأن تنصت لما يلقى من قرآن وخطب ومواعظ بل إن الإنصات للقرآن والخطبة واجب.

ومن الآداب: ألا ترفع الصوت فى المسجد إلا لله وفى عبادة الله وإذا رأينا أن رفع الصوت بألفاظ العبادة تشوش على أحد المصلين أثناء صلاته امتنعنا عن رفع الصوت.

ومنها: أن ندخل بالرجل اليمنى ونخرج بالرجل اليسرى ومنها أن نعمل على نظافة ثياب المصلين وتمازج التآلف بينهم وذلك بألا نرتدى الأثواب الرثة التى تلوث ثياب المصلين.

وألا نأكل ذا ريح كريه كبصل أو ثوم كى لا يتأذى برائحته المصلين. ومنها أن نتطيب إذا استطعنا وأن نتجمل بأفخر الثياب.. لقوله تعالى: {يَبْنَىءْ أَدَمَ حُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: ٣١].

اللائى الجوهرية فى الخطب المنبرية

والسؤال فى المسجد (الشحاتة) عادة مذمومة داخل المسجد وقد نبذا النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال: من سأل فى المسجد فلا تعطوه.. وإنشاد الضالة فى المسجد وقد نبذا النبى صلى الله عليه وسلم وأمر بالدعاء على من يقوم بها فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إذا سمعتم من ينشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليه رواه مسلم الجزء الأول.

فالمساجد فيها اطمئنان للمسلمين ومتعة روحية وهدوء بال وقرب من ساحة الله ذى الجلال كما أن فيها رجاء من الله العلى الأكبر فى تحقيق الأمنى والآمال.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كونوا فى الدنيا ضيوفا واتخذوا من مساجد الله بيوتا رواه مسلم.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٢ - الإخاء والمحبة فى الدين الإسلامى

الحمد لله الذى ألف بين المؤمنين وربط بالإيمان بين قلوب
الموحدين نحمده ونشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ به من شقاق
يمزق شملنا أو خلاف يفرق بيننا..

وأسأله أن يؤلف بين قلوبنا وأن يوحد بين صفوفنا إنه على كل
شئ قدير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الله العليم بالسرائر
وما تكنه الضمائر: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمر: ٧] وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله وصفيه وخليله الذى جمع الله به المسلمين اللهم صلى
وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته واهتدى بهديه
إلى يوم الدين.

أما بعد فيقول الحليم العليم جل ذكره: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ
أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الحجرات: ١٠].

أيها المسلمون.. إن نظرة واحدة يلقيها فاحص بصير على ما
كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لتكشف له خلال حقب
التاريخ البعيدة أنهم كانوا على درجة كبيرة من توحيد الكلمة وتآلف
القلوب ومحبة التقوى لأنهم كانوا يقرؤون القرآن ويتدارسون
ويفعلون ما جاء على لسان رب العالمين..

{وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ
فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [آل عمران: ١٠٣].

ويتدارسون السنة ويعقلون ما جاء فيها على لسان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث يقول: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما
يحب لنفسه رواه البخارى ومسلم.

وهذا سر قوتهم ومبعث نهضتهم ونفوذ كلمتهم على من عداهم من الأمم الأخرى.

لقد أدركوا أن الأخوة فى الله عز وجل أعظم أصل من أصول الإسلام وأنها أقوى من أخوة العصب لأنها أخوة القلوب والأرواح.. وكان الواحد منهم يهجر أخاه مادام قائما على الكفر والنفاق والزوجة تهجر زوجها لأنه تخلف عن الجهاد لأنهم تدبروا قول الله عز وجل:

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة: ٢٢].

فسلمت مجتمعاتهم من الفساد وأمنت من عبث العابثين وإفساد المجرمين وإن مجتمعا يقوم المعوج ويأخذ بخناق الآثم لجدير أن يبلغ الكمال ويصل إلى أعلى درجات المجد وأن يعيش أفرادهم آمنين على أنفسهم وأموالهم..

فما أحوجنا أيها المسلمون أن نسير سيرة أسلافنا فى المحبة والتآلف والتعاون فلا تكون بيننا ثغرة ينفذ منها دخیل يفرق شملنا ويضعف قوتنا وأنا سنعوذ بالله أن نكون نحن المعنيين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: لا.. بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل رواه النسائى وأبو داود.

أيها المسلمون، لقد وردت الآثار المستفيضة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى مدح المحبة فى الله فجعل من هذا شأنه من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.. وقد جعل الله المتحابين فيه على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ممن يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة.. أما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى من صلاته أقبل على الناس بوجهه فقال: أيها المسلمون

اسمعوا واعقلوا واعلموا أن الله عز وجل عبادة ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله فجاء رجل من الأعراب إلى نبي الله وقال: يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء فى مجالسهم بقربهم إلى الله صفهم لنا.. فسر وجه النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الإعرابى فقال: هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا أعد الله لهم يوم القيامة منابر من نور ويجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون وهم أولياء الله الذين هم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رواه الإمام أحمد.

هذا مقام المتحابين فى الله الذين تألفت قلوبهم وتصافت نفوسهم فحق على الله أن يقربهم من حظيرة قدسه وأن يدخلهم ساحة الرضوان يؤمنون يوم الفزع الأكبر ويوم الهول الأعظم قائلين: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ، وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [الزمر: ٧٤].

فما أحرانا أيها المسلمون أن ننبد الخلافات وأن نتواصل با محبة والإخاء وأن نترك أسباب الفرقة والشقاق وأن ننزع ما فى قلوبنا من غل وأن نكون إخوة متحابين نشعر بشعور واحد كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى لقول رسول الله

صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين فى توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر رواه مسلم.

فاتقوا الله وثقوا أنكم لن تنالوا الخير إلا إذا اتحدت قلوبكم وتضافرت جهودكم وحينئذ لن ترهبكم أعداؤكم وتعلوا كلمتكم ولا يبقى فيكم مطمع الطامع وكيف وأنتم أمة واحدة وأنتم حرب على من

عاداتكم...

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل يوم القيامة أين المتحابون بجلالى فاليوم أظلمهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى رواه البخارى.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله:

- ١ - إمام عادل.
 - ٢ - وشاب نشأ فى عبادة ربه.
 - ٣ - ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.
 - ٤ - ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وافترقا عليه.
 - ٥ - ورجل قلبه معلق بالمساجد.
 - ٦ - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شاله ما أنفقت يمينه.
 - ٧ - ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إنى أخاف الله رواه البخارى ومسلم.
- ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا به بعدى أبدا كتاب الله وسنتى رواه مسلم.
- ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تلك الساعة توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٣ - مدح الصدق وذم الكذب

الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور
يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور..

أحمده فهو أهل للحمد والثناء وأشكره فى السراء والضراء وفى
الشدة والرخاء وأسأله العافية من كل داء والنجاة من كل بلاء إنه
سميع قريب مجيب الدعاء وأشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين
وأشهد أن محمدا رسول الله الصادق الوعد الأمين صلوات الله
وسلامه عليه وعلى أصحابه الذين استمسكوا بالعروة الوثقى واتبعوا
النور الذى أنزل معه ومن اهتدى يهديهم إلى يوم الدين..

أما بعد..

فيقول الحق جل شأنه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّٰدِقِينَ} (١١٩) [التوبة: ١١٩].

أيها المسلمون.. الصدق رفيع المنزلة عند الله عز وجل ولذا
نسبه إلى ذاته.

والله سبحانه وتعالى يحب من عباده الصدق ولو انتهى بهم إلى
الضراء ويكره الكذب ولو انتهى بصاحبه إلى السراء. ذلك لأن
الكذب من أقبح الذنوب والكذاب مذموم فى كتاب الله قال تعالى: {قُلْ
الْخَرَصُونَ} (١٠) [الذاريات: ١٠] أي: لعن الكذابون.

وقال جل شأنه: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٧) [الصف: ٧].

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الصدق طريق الجنة
ودعا إلى التحلى به كما بين أن الكذب طريق النار وحذر منه. وذلك

حيث يقول:

عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً رواه البخارى ومسلم.

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أياكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم . قيل: أياكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم . قيل له أياكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا رواه مسلم.

وروى أبو داود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: ويل للذى يحدث الحديث يضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له .

والويل معناه: الهلاك وهو واد فى جهنم. ومما يدل على أن الكذب أعظم خطيئة يقترفها الإنسان لما يترتب عليها من قلب الحقائق وضياع الحقوق وإيغار الصدور وظلم القوى للضعيف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أصدق الحديث كتاب الله وأشرف الحديث ذكر الله وشر العمى عمى القلوب وما قل وكفى خير مما كثر وأهلى وشر الندامة ندامة يوم القيامة .

وخير الزاد التقوى والخمر جماع الإثم والنساء حبائل الشيطان والشباب شعلة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وأعظم الخطايا اللسان الكذوب رواه أحمد.

وهناك نوع من الكذب لا يعاقب الله عليه لأنه لا يترتب عليه أمور ضارة بالمسلمين فى دينهم أو دنياهم بل ربما جر عليهم خيراً كثيراً كالكذب على الأعداء فى الحرب. والكذب فى الإصلاح بين

الناس. والكذب فى الإصلاح بين المرء وزوجه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكذب لا يصلح إلا فى ثلاث: فى الحرب لأن الحرب خدعة والرجل يصلح به بين اثنين والرجل يصلح به بين امرأته رواه البخارى.

وحسبنا قول الله فى الكذابين: قوله تعالى: {إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل: ١٠٥].

فيا معشر المسلمين: اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فإن مقامهم محمود عند ربهم يرفعهم الله إلى مقام النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة. قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [الزمر: ٣٣].

وقال: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة: ١١٩]. وإياكم والكذب لأن الله توعده صاحبه بالفضيحة يوم الحشر وجعل له علامة قبيحة يعرف بها بين الخلائق.

قال تعالى: {وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} [الزمر: ٦٠].

والإسلام يوصى أن تغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها فى أقوالهم كلها.

فعن عبد الله بن عامر قال: دعتنى أمى يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد فى بيتنا فقالت: تعال أعطك فقال لها صلى الله عليه وسلم: ما أردت أن تعطيه.. قالت: أردت أن أعطيه تمرا.. فقال لها: أما أنك لو لم تعطه شيئا كتبت عليك كذبة رواه مسلم. فانظر كيف يعلم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمهات والآباء أن ينشؤوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق ويتعدون عن الكذب. والتاجر قد

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

يكذب فى بيان سلعته وعرض ثمنها. والتجارة عندنا تقوم على الطمع البالغ. فالبائع يريد الغلو والشارى يريد البخس وقد كره الإسلام هذه المعاملة الجشعة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدق البيعان وبيننا بورك لهما فى بيعهما.. وان كذبا وكتما فعسى أن يربحا ربحا وقد محيت بركة بيعهما رواه أبو داود..

وعن أبى أوفى: أن رجلا أقام سلعة فى السوق فحلف بالله لقد أعطى بها مالم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين.. فنزل قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾} [آل عمران: ٧٧].

والحيف فى الشهادة من أبشع الكذب فالمسلم لا يبالى إذا قام بشهادة ما أن يقرر الحق ولو على أدنى الناس منه وأحبهم إليه لا تميل به قرابة ولا عصبية..

والله تبارك وتعالى يقول: رَبَّنَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾} [النساء: ١٣٥].

وعن أبى بكرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وكان متكئا فجلس وقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت رواه البخاري.

إن التزوير كذب كثيف الظلمات فالمزور لا يكتم الحق فحسب بل يحمقه ليثبت مكانه الباطل وخطره على الأفراد فى القضايا

الخاصة وخطره على الأمم فى القضايا العامة شديد.

روى مالك عن ابن مسعود: لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب فينكت فى قلبه نقطة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكذابين رواه مسلم.

ويحقيق به قول الله فى كتابه: {إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النحل: ١٠٥].

وأما البر الذى هدى إليه الصدق هو قمة الخير التى لا يرقى إليها إلا أولوا العزم من الرجال وحسبك فيه هذه الآية الجامعة: {لَيْسَ الْبِرَّ

أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان .

ما من يوم جمعة إلا فيه ساعة إجابة فادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * *

٤ - حسن الجوار وأثره فى خدمة الأمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد. يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير أرسله الله برسالة صالحة لكل زمان ومكان فيها هداية للصالحين وائتلاف بين المتفرقين المتباغضين سيدى يا رسول الله..

صلت عليك ملائكة الرحمن :: وبرى الضياء بسائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مزودا :: بحمى الإله وراية القرآن
اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوا
النور الذى أنزل معه ففازوا بالخط الأوفر والرضوان الأكبر والنعيم
المقيم..

أيها المؤمنون.. إن المتأمل فى تشريعات الإسلام يجدها كلها
تبنى الأخوة المتينة بين المسلمين وتعتبر الإسلام نسبا لا يقل عن
نسب العرق والدم ومن هذه التشريعات التى تشيع الأمان والحب بين
المسلمين.. واجب كل إنسان نحو جاره فعليك حقوق لبارك وعلى
بارك نفس الحقوق لك..

وهكذا حتى تصبح البلد كلها جسدا واحدا يخدم بعضه بعضا
قال الله تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ} [النساء: ٣٦].

واضح أن الأمر بالإحسان إلى الجار ورد مقرونا بالأمر
بإحسان عبادة الله وبعدم الشرك به سبحانه مما يدل على أهمية

الجوار فى الإسلام. وكيف أن حسن الجوار فى الإسلام يغلق باب الشر ويفتح باب الخير على مصراعيه.

والجيران فى الآية الكريمة ثلاثة أنواع:
أولها: الجار ذى القربى وهو الجار إذا كان من أقربائك.

ثانيها: الجار الجنب وهو الجار الذى ليس بقريبك.

ثالثها: صاحب الجنب. قال على وابن مسعود رضى الله عنهما
هى الزوجة.

وقال غيرهما: هو الرفيق فى السفر أو الجليس فى الحضر.

وحق الجار ثابت للجار حتى ولو لم يكن مسلماً. ومن هنا كانت
عظمة التسامح الإسلامى والدعوة إليه عن طريق القدوة الأخلاقية
السامية.

ولقد عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عناية فائقة بالجيران
وبيان أحكامهم وعلاج جار السوء.

وقد رتب الجيران حسب أهمية حقوقهم فى حديث جابر فقال
الجيران ثلاثة:

جار له حق واحد: وهو الجار المشترك له حق الجوار.

وجار له حقان: وهو الجار المسلم ذو القرابة له حق الجوار
وحق الإسلام.

وجار له ثلاثة حقوق: وهو الجار المسلم ذو قرابة له حق الإسلام
وحق القرابة وحق الجوار.

هذه هى عظمة الإسلام وروحه السمحة فى العناية بالحب
الإنسانى الرفيع جعل حق الجوار مستقلاً عن حق الإسلام وعن حق

القراة وأثبتته لغير المسلم حتى ولو كان كافرا.

ولولا أن حسن الجوار له أثره البعيد فى الأمن والحب والدعوة إلى الإسلام لما ألح جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوصية بالجار.

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه رواه البخاري.

وقد نفذ الصحابة وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجيران أدق تنفيذ فكان لعبد الله بن عمر جار يهودى فكان إذا ذبح الشاة قال: احملوا إلى جارنا اليهودى منها وما ذاك إلا أنه وعى وفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: لا يشبع الرجل دون جاره رواه أحمد.

ومن أجل هذا الحق المؤكد الذى حكم به الإسلام فإن أذى الجيران مسلمين أو غير مسلمين حرام لأن حق الجوار كما قلنا مستقل عن حق الإسلام. وحق القراة. وحق الجوار هو حق المعاشة الآمنة وهو وجه الإسلام المشرق الذى لا يكن أى شر لأى إنسان. ولهذا جاء النكير الشديد فى السنة لمن يؤذون جيرانهم بالقول أو بالعمل حتى نفى الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم الإيمان.

فعن أبى هريرة ☺ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذى لا يؤمن جاره بوائقه رواه الشيخان.

وعنه أيضا: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره رواه البخارى ومسلم.

وقد ورد حديث جمع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مرافق

الجار وهو حديث معاذ ابن جبل قال: قلنا: يا رسول الله ما حق الجار؟ قال: إن استقرضك أقرضته وإن استعان بك أعنته وإن احتاج أعطيته وإن مرض عدته وإن مات تبعت جنازته وإن أصابه خير شرك وإن أصابته مصيبة ساءت لك وعزيت ولا تؤذ به بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ولا تستطل عليه بالبناء لتشرف عليه وتمنع عنه الريح إلا بإذنه وإذا اشترت فاكهة فاهد له منها وإلا فأدخلها سرا ولا تخرج ولدك بشيء منها يغيظ بها ولده رواه مسلم.

إننا فى هذه الأيام نشكو من سوء أخلاق الناس ومن شيوع الشر فى نفوسهم.

فكم من كلمة طيبة أبدلت قلبا حاقدا من حقه. فالإحسان إلى الجار سيقابله إحسان منه إليك والرسول صلى الله عليه وسلم وضع له علاجا يقضى على شره

فعن أبى هريرة ☺ قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال: اذهب فاصبر فأتاه مرتين أو ثلاثا فقال له اذهب فاطرح متاعك فى الطريق ليعلم الناس جميعا أنك مللت أذى جارك فذهب الرجل فطرح متاعه فى الطريق فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره فجعل الناس يلعنونه ويقولون فعل الله به وفعل به فجاء جار السوء إلى جاره وقال له ارجع لا ترى منى شيئا تكرهه، رواه البخارى.

هذا هو علاج جار السوء أن يجعل الناس بينه وبينه حكما لا أن يتشاجر معه أو يؤذيه فالأذى فى ذاته حرام ولكن إعلان الناس رأيهم فى جار السوء يجعله يرجع حتما إلى صوابه.

فاتقوا الله أيها المسلمون: واعتصموا بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم لتتعموا بالحياة الهادئة ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط

مستقيم.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم...

* * *

٥ - العدل

الحمد لله الذى ثبت أحكام العدل على أساس مكين وشمل برحمته ورضوانه أهل الإخلاص واليقين سبحانه هو الحكم العدل الذى لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لذه أجرًا عظيمًا أحمدته وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ به أن أضلّ أو أضلّ أو أذلّ أو أذلّ أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو أجهل أو يُجهل على إنه سميع مجيب وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر بالقسطاس المستقيم.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صاحب الخلق الكريم والطبع السليم الذى دعا أمته إلى طريق الحق والصواب واتباع أحكام السنة والكتاب. صلوات الله وسلامه وأذكى تحياته وعلى آله الذين زكت نفوسهم وصفت قلوبهم واتبعوا سبيل الحق فزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم.. أما بعد...

فيقول الحق جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

العدل: هو إعطاء كل ذي حق حقه والعدل: هو الوسط بين الإفراط والتفريط فى الإنفاق حتى فى العبادات وقد أمر الله به فى هذه الآية أمرا مؤكدا كما أمر أن يكون العدل أساس الأحكام فى الدولة فقال: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] وأمر به أمرا مقترنا بما يفيد أن الله جعله قريبا من التقوى فقال: اعدلوا هو .

(أي: العدل) (أقرب للتقوى) وحذرنا من أن يحملنا البغض على ترك العدل بيننا.

فقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨].

اللائلئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

كما أمرنا أن نتخذ العدل هدفاً وأساساً لنا فى شهادتنا حتى ولو كانت هذه الشهادة ضد الوالدين أو الأقربين أو الشخص نفسه حيث قال: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوَّلَىٰ بِهِمَا} فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ نَعَضُّوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥].

وقد أوحى بالتزام العدل فى كل التصرفات حتى ولو كان ذلك فى غير مصلحة القريب منا فقال: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} [الأنعام: ١٥٢].

والعدل من أسماء الله تعالى فهو الحكم العدل... وضد العدل الظلم

وللظلم أنواع كثيرة وصور متعددة. ولقد نهى الله عن الظلم. وحذر منه فى أساليب متعددة مبينا آثاره السيئة فقد بين أنه سيحرم الظالمين من الهداية والتوفيق فقال: {وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ٨٦].

كما بين أن الظلم يكون سببا فى حرمان الظالم من الكثير من طيبات الله..

قال تعالى: {فَيُظْلَمُ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} [النساء: ١٦٠] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليملى للظالم (أي يمهله) حتى إذا أخذه لم يفلته رواه الشيخان.

وقد بين مصير الظالمين فقال: وأن الظالمين لهم عذاب أليم وقال: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣].

وقد حث الله سبحانه وتعالى عباده على التزام العدل وترك الظلم فى شتى أمورهم وكافة شؤونهم.

والعدل أقسام:

١ - عدل الإنسان مع نفسه بأن يسلك بها طريق الاعتدال فى العقيدة والعمل والإخلاص وأن يجتنب الإسراف فى الشهوات والإمعان فى الملذات والميل إلى المحرمات وأن يقوم طبعه ويهذب خلقه حتى يسعد حاله ويستقيم أمره بين العباد.

٢ - عدل الإنسان مع غيره ومنه عدل الإمام فى رعيته بالسهر على مصالحها والسعى فى تقدمها والعمل على إصلاح مرافقها وإسعاد أفرادها وإقامة القسط بين الناس فالضعيف عنده قوى حتى يأخذ الحق له والقوى عنده ضعيف حتى يأخذ الحق منه وبذلك ييسط على الجميع ظلال العدل فيأمن الناس فى رعايته على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ويحل الأمن والسكينة محل الخوف والفرع لا طمع لظالم فى جوره ولا يأس لمظلوم من عدله. وقد طلب عمر بن عبد العزيز من بعض العلماء أن يصف له العدل فقال؛ كن لصغير الناس أباً ولكبيرهم ابناً و للمثل أخاً وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ولا تضرب لغضبك سوطاً واحداً تكن من العادلين.

٣ - ومن عدل المرء مع غيره: عدله فى أهله وأسرته فإذا كان له أكثر من زوجة عدل بينهن فى المأكل والملبس والسكن والمشرب لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك يعنى: المحبة.

وقيل: القلب وقد حذر الله تبارك وتعالى أن يتزوج المسلم أكثر من واحدة وهو لا يستطيع أن يقوم بما يفرضه العدل من واجبات قال تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا}

[النساء: ٣].

أما العدل الذى نفاه عن عباده فى قوله تعالى: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ الْنِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} [النساء: ١٢٩].

فهذا العدل الذى لا يملكه إنسان من ميل القلب والمحبة فله أن يحب امرأة أكثر من غيرها ولكن ليس له أن يفضل واحدة على أخرى فى أمور المعيشة والمعاشرة. وواجب الأب أن يعدل بين أبنائه ويرببهم تربية صالحة ويعنى بتهديب أخلاقهم ومراقبة سلوكهم والبعد عن التدليل من غير تضيق ولا تعنيف وأن يسوى بينهم فلا يميز الذكور على الإناث لأن هذا الأمر يلقى بينهم العداوة والبغضاء ويبعث على الغرور فى الممتازين منهم والقنوط فى غيرهم.

كذلك يجب على الزوجة أن تعدل فى مال زوجها فلا تخونه. وفى أولاده فتسهر على رعايتهم فالمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسؤولة عن رعايتها وكذلك يجب على الأبناء أن يتقوا الله فى أبائهم وأمهاتهم فيبروهم عند الكبر ويحسنوا إليهم عند الحاجة وأن يطيعوهم فيما أمروا ما لم يكن فى الطاعة ما يغضب الرب ويسخط عليهم الخالق

قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ، فِي عَمَيْنَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ} (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [لقمان: ١٤ - ١٥].

ومن عدل الإنسان مع غيره: عدله بين المتخاصمين فبإقرار العدل بينهم يصل كل ذى حق إلى حقه ويحل الإنصاف محل الإجحاف ويطمئن الناس فتقوى بينهم أواصر المحبة وتتوثق عرى المودة ويقوم الوئام والوفاق مقام النزاع والشقاق.

ويجب على من يفصل بين المتخاصمين والمتنازعين قاضيا كان أو غيره أن يتحرر من الهوى وألا يخشى في الحق لومة لائم وألا يرهب عظيما لعظمته أو يحابي قريبا لقربته أو يتملق وجيها لوجاهته وأن ينتصف للمظلوم من الظالم مهما عظم قدره أو ارتفع في الناس شأنه وبغير ذلك لا تقوم عدالة في الأرض ولا ينتشر الأمن بين الناس بل تتوتر العلاقات وتعم الفوضى وتكثر المظالم ويغتال القوى الضعيف وتقوم العداوة والبغضاء مقام المحبة والصفاء.

ونظراً لما يتنازع القضاة من عوامل مختلفة وما يكونون عليه من تباين الأخلاق واختلاف المواهب فقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار. فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففضى به. ورجل عرف الحق فجار في الحق فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار رواه البخاري.

فيا معشر المسلمين: “ اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيامة واعتبروا بما حل بالظالمين من الأمم العاتية والأقوام الباغية كقوم لوط وهود وصالح فقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين “

واعلموا أن دعوة المظلوم تقصم الظهر وتدمر الدور. ويستجيب الله للمظلوم ويفتح لدعوته أبواب السماء فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والإمام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين .

ومما روى في هذا الباب أن أروى بنت أوس خاصمت سعيد بن

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

يزيد إلى مروان بن الحكم وادعت أنه أخذ شيئاً من أرضها. فقال: ما أخذت منها شيئاً بعد ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال مروان: ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: سمعته يقول: من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه الله إلى سبع أرضين فقال مروان: لا أسألك بينة بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها أو اقتلها فى أرضها قال عروة راوى الحديث: فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هى تمشى فى أرضها إذ وقعت فى حفرة فماتت وذلك جزاء الظالمين. وهكذا يستجيب الله دعاء المظلومين.

فيا أيها المسلم، اتق الله واحذر دعوة المظلوم واعلم أن قدرة الله على عقابك أعظم من قدرتك على ظلم العباد. فبادر برد الحقوق إلى أربابها كي تسلم فى عاجلك وآجلك. واعلم أن الله قد حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً على عباده فلا تظلم أنت أحداً من خلقه بقول فاحش وعمل منكراً. واعلم أن الله يشتد غضبه على كل من ظلم وما أحسن قول القائل:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً :: فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تمام عيناك والمظلوم منتبه :: يدعو عليك وعين الله لم تنم
أسأل الله أن يجنبنا ظلم العباد وأن يكتب لنا النجاة يوم الميعاد إنه
سميع قريب مجيب الدعاء. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: البر
لا يبلى والذنوب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان
رواه البخاري.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * *

٦ - عام الفيل وعاقبة أبرهة وجيشه

الحمد لله الذى تفضل على العالمين برحمته وتجلت فى الكائنات آثار قدرته وحكمته أكرم البشرية بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله بعثه الله إلى الناس كافة بشريعة طيبة عامة فيها هداية للعالمين وأمان للخائفين وائتلاف ومحبة بين المتفرقين المتباغضين وإخراج للناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم واليقين.

اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل معه ففازوا بالحسنين وكانوا من المهتدين.. أما بعد..

فيا عباد الله.. إن كتاب السيرة النبوية قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد فى عام الفيل فكان مولده الشريف بشير نصر.

فما عام الفيل؟ وما شأنه؟ وما هى تلك الأحداث التى وقعت فى عام الفيل لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟

إننى عندما أتكلم عن معركة الفيل فإنما أعرضها لأبعث الأمل فى قلوب اليائسين وليعلم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها أنهم إذا تخلوا عن نصره دين الله فإن للدين ربا يحميه. قال تعالى: {وَإِنْ تَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ} [محمد: ٣٨] كان على رأس اليمن رجل يسمى أبرهة وكان نصرانيا يحكم اليمن من قبل الحبشة أخذته الغيرة وزحفت فى قلبه ثعابين الحقد وتحركت أفاعى الحسد فى نفسه لماذا يذهب الناس من شتى البلاد إلى بيت الله

الحرام؟ لماذا يزورون هذا البيت العامر الكائن فى مكة؟ لا بد أن ينصرف الناس عن زيارة البيت الحرام إلى صنعاء باليمن فماذا يصنع؟ بنى كنيسة ضخمة فخمة عالية الأبراج فى عاصمة اليمن ليصرف الناس عن البيت الحرام إلى زيارتها انظروا إلى هذا الحقد الأسود من قديم الزمان وفى بطون التاريخ. إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه محمدا صلى الله عليه وسلم: {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى إِلَّا فِي حالة واحدة حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠]، أي: تصير يهوديًا أو نصرانيًا: {وَلَمَّا أَتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠].

إن أبرهة أراد أن يصرف زوار بيت الله الحرام إلى صنعاء فبنى الكنيسة وبنى لها أبراجا عاليات وطلاها وزينها للناظرين ووضع فيها الرخام والنحف والسجاد الفاخر.

ومع ذلك فلم ينصرف أحد من البيت الحرام إلى كنيسة أبرهة.

فإن الذين يذهبون إلى البيت الحرام ذهبوا تلبية لنداء الخليل عندما قال: يا أيها الناس إن ربكم قد بنى بيتا فحجوه فقالت الأرواح: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..

قال الله تعالى فى كتابه الكريم على لسان نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: {فَجَعَلَ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقَهُمْ مِّنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} [إبراهيم: ٣٧].

إن الذين يتوجهون إلى البيت الحرام يتوجهون للوقوف بين يدي الواحد الديان فماذا يفعل أبرهة؟ اشتد به الضيق وتحكم فى نفسه الغضب فأقسم ليهدم البيت الحرام. لابد من هدم هذا البيت لنستريح منه وينصرف الناس إلى كنيسته فى بلاد اليمن وأعلن حالة الطوارئ

عام الفيل وعاقبة أبرهة وجيشه

فى صفوف جيشه وجمع من الجنود ستين ألفا يركبون الفيلة وتحركوا إلى مكة شرفها الله ليهدموا بيتا بناه الخليل وإسماعيل عليهما السلام.. وركب أبرهة فيلا ضخما وعندما ذهب إلى مكة وأراد دخولها وقف الفيل على أبواب مكة ولم يتحرك الله.. الله.

أيدركنى ضيم وأنت ذخيرتى :: وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
الفيل يقف لا يتحرك.. حوله أبرهة ذات اليمين فتحول. حوله ذات الشمال فتحول. حوله إلى الخلف فتحول. أراد أن يقوده إلى الأمام فلم يتحرك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا مِّن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

يا من بدنياه اشتغل :: قدغره طول الأمل
اعلم أن فى السماء مملكة كتب عليها:

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَاحِسِينَ} [الأنبياء: ٤٧].

كيف يتحرك الفيل لهدم بيت الله الحرام والله خالق الفيل؟ لا والله حرام على الفيل أن يتحرك. إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف يشاء.

ما فى الوجود سواك رب يعبد :: كلا ولا مولى هناك فيقصد
يا من له عنت الوجوه بأسرها :: رهبا وكل الكائنات توحده
أنت الإله الواحد الحى الذى :: كل القلوب له تقرر وتشهد
لا والله لا يكون ذلك كذلك يا أبرهة. فماذا يفعل أبرهة؟ نزل عن فيله وترك الفيل مكانه لا يتحرك ودخل أبرهة مكة ماشيا.... إذا غرتك قوتك على ظلم الناس فتذكر قدرة العزيز الجبار من فوقك.. وكان أمير مكة يومها عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السيد المطاع فى مكة وأثناء تجول القوات الحبشية فى مكة

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

عثروا على مائتى ناقة لعبد المطلب فأخذوها غنيمة. وذهب عبد المطلب إلى أبرهة يطلب الإبل..

فقال له أبرهة: عجباً لك يا عبد المطلب.. قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولكن زهدتني فيك حين كلمتني تطالبني بالإبل ولا تكلمني عن البيت الحرام.

قال له عبد المطلب بلسان الواصل.. يا أبرهة: (أما الإبل فهي لى وأما البيت فله رب يحميه..

لو فكر الناس ما فى بطونهم ::: ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكول التراب ::: أقصر فإنك مأكول ومشروب
يا ابن التراب: يا ابن ادم. يا من يناديك قبرك كل يوم ويقول لك
لا تتكبر على ظهري لأننى غدا سأضملك فى بطنى قال تعالى: {وَقَدْ
خَابَ مَنْ أَفْتَرَى} [طه: ٦١].

وقال: {وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} [طه: ٨١].

وقال: {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه: ١٠٨].

وقال: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طه: ١١١].
الظلم ظلمات يوم القيامة. البيت له رب يحميه. إذ ليس هناك جيش
نظامى ولا حرس وطنى ليس هناك شرطة عسكرية. ليس هناك
مدفعية ولا دبابات. ليس هناك صواريخ. إنما كان هناك من
يقول: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة: ٢٥٥].

فماذا حدث؟ من الذى فصل فى المعركة؟ هل ترك الله البيت
الحرام عبثاً يعبث به هؤلاء العابثين؟

لا والله.. إن أبرهة - ليس أمامه إلا خطوة إن خطاها دخل
المسجد الحرام ولكنه لا يدرى ولم يكن يدرى أن يد الله تعمل فى

الخفاء لم يدر أن للبيت ربا يحميه. وعلى حين غفلة من أبرهة صدرت الأوامر الإلهية من القيادة العليا إلى سرب الطيران الإلهي أن تتحرك فوراً إلى أرض المعركة. لم يكن هذا السرب يحمل القنابل الذرية. إنما كان يحمل قنابل صنعت في نار جهنم.

من هؤلاء الطيارون الذين قادوا هذا الهجوم بأسراب الطير؟
يا رب وأنت تصفى الحساب مع كل جبار عنيد. تصفى الحساب مع الجبابرة.

عندما قال النمروذ بن كنعان لإبراهيم: {أَنَا أُحْيِ وَأُمِيتُ} [البقرة: ٢٥٨] ماذا صنعت به يا جبار؟ أرسلت إليه بعوضة دخلت في أذنه وأخذت تطن في رأسه فكان لا يفيق إلا إذا ضرب بالنعال على رأسه يا رب يا مؤدب الجبابرة.

ويوم قال فرعون لقومه: {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٤].

وقال لهم: {قَالَ يَنْقُومُ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف: ٥١].

ماذا حدث؟ جعلت الأنهار تجري من فوقه. واستغاث بموسى فلم يغثه. فقال الله تعالى يا موسى لقد استغاث بك فرعون سبعين مرة فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة واحدة لأغثته ولوجدني قريباً مجيباً.

فماذا قال القرآن في وصف معركة الفيل: {الْمَ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} ① {الْمَ يَجْعَلُ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ} ② {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ} ③ {تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ} ④ {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [الفيل: ١-٥].

وكان هذا العام عام مولده صلى الله عليه وسلم جعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل. أي جماعات متلاصقة ترميهم

بحجارة من سجيل..

والسجيل: هو الطين ولكنه طين صنع فى جهنم فكيف كانت
نهاية المعركة؟ قال ربك فى نهاية المعركة:

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ جعلهم كأوراق الشجر اليابسة إذا أكلتها
الديدان لم يبق منها شيئاً.

يقول المفسرون: إن كل حجر كان لا يزيد عن حبة العدس ومع
ذلك فكل حجر كان يعرف الجندي الذى سيرجم به إذا أنزل عليه
مزقه تمزيقا.

ونجى الله بيته الحرام ولذلك سمي البيت الحرام بالبيت العتيق.
ومعنى العتيق: أي الذى أعتقه الله من كيد الظالمين وأنقذه من
جبروت المتجبرين.

يا رسول الله... لقد كان مولدك عام نصر اشترك فيه السلاح
الجوى الإلهى فى معركة فاصلة ونجى الله فيه البيت الحرام من كيد
الخائنين يقول الحبيب المصطفى: البر لا يبلى. والذنوب لا ينسى
والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدين توبوا إلى الله جميعا
أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

* * *

٧ - ذكرى المولد النبوى الشريف

الحمد لله الذى تفضل على العالمين برحمته. وتجلت فى الكائنات
أثار قدرته وحكمته

أكرم البشرية بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم. وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له. أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين.

وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله بعثه الله إلى
الناس كافة بشريعة طيبة عامة فيها هداية للعالمين وأمان للخائفين
وائتلاف ومحبة بين المتفرقين المتباغضين وإخراج للناس من
ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم واليقين. اللهم صلى على محمد
وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل
معه ففازوا بالحسنين وكانوا من المهتدين... أما بعد...

فيا عباد الله.. يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا} ٤٥ {وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} ٤٦
[الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

أيها المؤمنون... إن من سنن الله الكونية ومن حكمه السامية
الإلهية أن يأتى بعد الظلمة بالنور وبعد الضيق بالفرج وبعد العسر
باليسر وبعد الشدة بالرخاء. ولقد كان العرب قبل ظهور الإسلام فى
حالة سيئة يرثى لها تحتاج حتما إلى إنقاذ وعلاج وإصلاح فكان منهم
من يعبدون أحجارا صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر.
ومنهم من يعبدون النار والشمس وبقية الكواكب.

وكانت العصبية البغيضة مستولية على نفوسهم قد أثرت فى
طباعهم وأدت إلى سوء معاملتهم فكان القوى فيهم مستبدا بالضعيف

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

والغنى بالفقر وكانت الحروب مستمرة بينهم لأنفقه الأسباب وأحقرها وكانوا يعكفون على كثير من العادات السيئة كالزنا والخمر والميسر وكانوا يكرهون البنات على البغاء ابتغاء عرض الحياة الدنيا وكان منهم من إذا ولدت له أنثى ضاق صدره واشمأزت نفسه وتوارى من القوم من سوء ما بشر به. وعاش متحيرا أيرببها محتملا الذل والهوان كما يعتقد أم يدسها فى التراب حية خشية أن تجلب عليه العار أو الفقر وتكون النتيجة أن يختار الأمر الثانى ويدفنها حية وهذه هى الموءودة التى ذكرها الله فى القرآن الكريم بقوله: {وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨، ٩].

وكانت كل قبيلة من القبائل لا ترعى لجارتها شيئا من الحقوق بل كان كثيرا ما يقع بين المتجاورين من القبائل التناذب والتخاصم والتنافر فتحاول كل قبيلة أن تقضى على جارتها باسم العصبية لا يرقبون فى بعضهم إلا ولا ذمة. وكان الكبر مستوليا على قلوبهم إلى أن جعلهم جفاة غلاظ القلوب قد نزع من قلوبهم الرحمة وحلت محلها القسوة. فكانوا لا يشفقون على ضعيف وكانت المرأة عندهم كسلعة تباع وتشترى وكانت محرومة من الميراث وبالجمله فقد كانت حياتهم فوضى لا يمكن احتمالها وكانوا مغرمين بسفك الدماء بحق وبغير حق.

ولم يكن لديهم قانون عام يجمع كلمتهم وينظم حياتهم ويبصرهم بالأخلاق الفاضلة فكانوا متفرقين متباغضين.. وكان الحكم فيهم للقوة..

وقد زادوا فى فجورهم إلى أن جعلوا الرذائل فضائل وكان الخوف عاما بينهم ولم يكن هناك شئ من الأمن ولا من الاطمئنان على الأرواح. وكان الرجل لا يأمن أن يسير فى وسط الطريق وحده والمخاوف والمهاترات تجعل العقلاء منهم يتطلعون إلى مصلح ينقذ

الناس من هذه الحياة الدنيئة التى لا استقرار فيها ولا اطمئنان.

وبينما هم فى هذه الحالة وإذا بحكمة الله تظهر فى الأفق فيطلع فجر الإصلاح والإنقاذ وتشرق شمس النبوة ويظهر نور الحق فيتجلى الله برحمته على العالمين بمولد الحبيب سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم فى فجر يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول قد اختاره الله من سلالة طيبة قد امتازت بالشرف والسيادة وكان كل أجداده سادة وقادة حفظهم الله من دنس الجاهلية وكان أبواه من أكرم القبائل وأرفعها قدرا وأعظمها شرفا وأحسنها نسبا..

وإذا كان للأمم أن تحتفل بذكريات مولد زعمائها و عظمائها شيئا من آثارهم ونبذة من تاريخ حياتهم وجهادهم ليعتق السامعون هذا الزعيم أو العظيم فعلى أبناء الأمة الاسلامية أن يتأثروا بما يسمعون فى الاحتفالات الخاصة بذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم من آثاره وهديه وجهاده بحيث يخرجون من الحفل وقد ملئت قلوبهم بالعظة والعبرة التى تجعلهم متضامنين فى الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتمسك بدينه والتضحية بالنفس والمال فى سبيل نصرة الحق.

ونريد أن نتصفح سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السيرة العطرة نذكرها بكل حب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلقد مات أبوه عبد الله وهو فى بطن أمه آمنة.

فلما وضعت أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى جده عبد المطلب أنه قد ولد غلام فأتاه فنظر إليه وحدثه بما رأت حين حملت به وما أمرت به أن تسميه وأنها حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع على الأرض فقولى: أعيذه با لواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا

اللائئ الجوهريّة فى الخطب المنبرية

ورأت حين حملت به أنه خرج منها نورا رأت به قصور بصرى من أرض الشام.

وكان من عادة العرب أن يرسلوا أولادهم ليرضعوا فى البادية لينشأ الطفل صافى الذهن قوى العزيمة صحيح الجسم.

قالت حليلة السعدية: قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما من امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل لها أنه يتيم فكل النساء الذين جاؤوا معى أخذن رضيعا.

فقلت لزوجى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى وليس معى رضيع والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم.. فقال لها زوجها: عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت إليه فأخذته فلما أخذته ووضعته فى حجرها أقبل على ثديها بما شاء الله من لبن فشرب حتى روى وشرب معه أخوه من الرضاعة حتى روى ثم ناما.

وقدمنا إلى منازلنا وما أعلم أرضا من أرض الله أجذب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به شباعا فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع فكان دخول رسول الله عليهم خيرا وبركة.

حديث الملكين اللذين شقا بطنه صلى الله عليه وسلم:

قالت حليلة السعدية: فرجعنا به فو الله إنه بعد مقدمنا بأشهر كان يلعب مع أخيه خلف بيتنا إذ أتانا أخوه يسرع فقال لى ولأبيه ذلك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعه فشقا بطنه.. قالت: فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه متغير الوجه..

قالت: فأخذناه وقلنا له: ما لك يا بنى؟ قال: جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعانى، وشقا بطنى ووضعوا شيئا فيه لا أدرى ما هو فرجعنا به إلى أمه.

رجوع حليلة به صلى الله عليه وسلم إلى أمه:
 قالت فقدما به على أمه.. قالت: ما أقدمك به؟ فأخبرتها بما حدث
 فقالت أمه آمنة: إن لابنى شأنًا فلقد رأيت حين حملت به أنه خرج
 منى نور أضاء لى قصور بصرى من أرض الشام.. ولما حملت به
 ما رأيت من حمل كان أخف على منه.. ارجعى به ثم عادت به و لما
 بلغ سن الخامسة من عمره عاش مع أمه سنة.. وأرادت أمه أن تزور
 أخواله من بنى عدى بن النجار بالمدينة..

وأثناء عودتها إلى مكة وكان معها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وجارية اسمها أم أيمن قد تركها أبوه.. ولكن القدر قد فاجأ أمه
 فماتت بمكان اسمه الأبواء بين مكة والمدينة وعادت به أم أيمن إلى
 جده عبد المطلب..

إكرام عبد المطلب له صلى الله عليه وسلم وهو صغير:
 قال ابن إسحاق: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده
 عبد المطلب وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة فكان
 بنوه يجلسون حول فراشه حتى يخرج إليه ولا يجلس عليه أحد من
 بنيهِ إجلالا له.. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى حتى
 يجلس عليه فيأخذه أعمامه عنه فيقول
 عبد المطلب: دعوا ابنى.. فو الله إن له شأنًا ثم يجلسه على الفراش..
 وقبل وفاته وصى عمه أبو طالب بكفالتة.. و إن شاء الله سنكمل
 سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم..

أقول قولى الله هذا وأستغفر الله لى ولكم..

* * *

٨ - كفالة أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزواجه

بالسيده خديجة رضى الله عنها والحجر الأسود

الحمد لله رب العالمين الذى تفضل على العالمين برحمته وتجلت فى الكائنات آثار قدرته أكرم البشرية بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم وأشهد أن لا إله إلا الله أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.. أرسله الله برسالة صالحة لكل زمان ومكان فيها هداية للصالحين ومحبة للمتفرقين وإخراج للناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم واليقين..

سيدى يا رسول الله..

صلت عليك ملائكة الرحمان :: وصى الضياء بسائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مزودا :: بحمى الإله وراية القرآن
اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

أما بعد....

فيا عباد الله... فى الخطبة الماضية تحدثنا عن حالة العرب قبل مولد الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ثم تحدثنا عن مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن نشأته وعرفنا أن أباه مات وهو فى بطن أمه ثم ماتت أمه وهو ابن ست سنين ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فوقفنا عند كفالة عمه أبى طالب.. كان أبو طالب يعول أسرة كبيرة.. وكان قليل الثراء رغم أنه ورث سدانة الكعبة فاضطر إلى الاشتغال بالتجارة.. ولم يلبس محمد صلى الله عليه وسلم عند عمه حتى أخذه أبو طالب فى تنظيم قافلة تجارية

كفالة أبو طالب لرسول الله ﷺ

بقريش يقودها هو إلى سوريا فلما تهيأ الراكب للرحيل أثار منظره في نفس محمد ذكريات البادية المحببة إلى قلبه وسافر مع عمه أبو طالب..

قصة بحيرى:

قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج مع ركب تاجرا إلى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب وقال: لأخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا فخرج به فلما نزل الراكب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرى.. فى صومعته وكان إليه علم أهل النصرانية فلما نزلوا ذلك العام ببخيرى وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى ذلك العام..

فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك عن شئ رآه وهو فى صومعته أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم..

قال: ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبة منه فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك ببخيرى نزل من صومعته.

ثم أرسل إليهم فقال: إني صنعت لكم طعاما يا معشر قريش.. وأحب أن تحضروا صغيركم وكبيركم وعبدكم وحرکم..

فقال له رجل منهم: إن لك لشأنا اليوم.. فما كنت تصنع هذا بنا فقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟

قال له بحيرى: صدقت.. قد كان ما تقول ولكنى أحببت أن أصنع لكم طعاما فتأكلوا منه فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحدائة سنه.. فلما نظر ببخيرى فى القوم لم

ير الصفة التى يبحث عنها..

فقال بحيرى: يا معشر قريش هل تخلف منكم أحد؟.. قالوا: ما تخلف منا إلا غلام وهو أحدث القوم سنا.. فقال: ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم..

فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفة حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرى فقال له: يا غلام.. أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أسألك عنه.. وإنما قال بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما.. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسألنى باللات والعزى.. فو الله ما أبغضت شيئا قط بغضهما.. فجعل بحيرى يسأله عن أشياء من حاله وأموره ورسول الله يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفاته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه..

قال ابن إسحاق: فلما فرغ أقبل على عمه أبا طالب فقال له: ما هذا الغلام منك؟..

قال: ابنى.. قال له بحيرى: ما هو بابنك.. وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا..

قال أبو طالب: هو ابن أختى.. قال: فما فعل أبوه؟.. قال: مات وأمه حامل به.. قال: صدقت.. فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود فو الله إن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبلغنه شرا فإن لابن أخيك شأنا عظيما..

فخرج به عمه أبو طالب سريعا إلى مكة حين فرغ من تجارته بالشام.. واشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم برعى الغنم وقال: ما بعث الله نبيا إلا وهو يرعى الغنم..

حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها:
قال ابن هشام: فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد وهى فى سن الأربعين وكانت خديجة بنت خويلد أمراًه تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشئ تجعله لهم.. فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة..

فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج فى مالها ومعه غلامها ميسرة حتى قدم على الشام.. فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريباً من صومعة راهب فنظر الراهب إلى ميسرة وقال له: من هذا الرجل الذى نزل تحت هذه الشجرة؟

قال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم.. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي..

رغبة خديجة فى الزواج منه:

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التى خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل راجعاً إلى مكة ومعه ميسرة.. فلما قدم مكة حدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من العجائب وهو مع رسول الله.. وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته.. فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا ابن عم.. إنى قد رغبت بالزواج منك بقرابتك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك..

وكانت يومئذ من أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفاً

وأكثرهن مالا..

زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة:
فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه
فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد
فخطبها إليه فتزوجها..

قال ابن هشام: وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت
أول امرأة تزوجها ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضى الله عنها..

اختلاف قريش فيمن يضع الحجر الأسود فى موضعه:
قال ابن إسحاق: ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبناء
الكعبة حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيمن يضع الحجر
الأسود وكادت تنشب بينهم معركة.. إلا أن أحدهم اقترح وقال:
نحتكم لأول داخل علينا فوافقوا.. فكان أول داخل عليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم.. فلما رأوه قالوا: هذا هو الأمين.. رضيناه
حكما وأخبروه الخبر..

قال صلى الله عليه وسلم: هلم إلى ثوب .. وأخذ الحجر فوضعه
فيه بيده ثم قال: تأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب.. ثم ترفعونه
جميعا.. ففعلوا.. حتى إذا بلغوا به موضعه فوضعه الرسول بيده..
وكان سنة صلى الله عليه وسلم خمسة وثلاثين سنة أثناء نيل هذا
الشرف العظيم بوضع الحجر الأسود فى مكانه.. وكان معروفا قبل
بعثة بالصادق الأمين..

ولما بلغ سن الأربعين بعثه الله رحمة للعالمين..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تركت فيكم ما أن تمسكتم
به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى..

كفالة أبو طالب لرسول الله ﷺ

توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

٩ - فى ظلال النبوة والرسالة

الحمد لله الذى تفضل على العالمين برحمته وأكرم البشرية بمحمد صلى الله عليه وسلم وأشهد أن لا إله إلا الله أرسل رسوله محمدا بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بعثه الله برسالة صالحة لكل زمان ومكان فيها هداية للصالحين وائتلاف ومحبة للمتفرقين المتباغضين وإخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم واليقين.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين.. أما بعد...

فيا أيها المسلمون... مازلنا نعيش فى ذكرى مولد الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بخطبة الجمعة اليوم..

فى غار حراء: ولما تقاربت سنة صلى الله عليه وسلم الأربعين حبب إليه الخلاء فكان يأخذ الطعام والماء ويذهب إلى غار حراء فى جبل النور على بعد نحو ميلين من مكة فيقيم فيه شهر رمضان ويقضى وقته فى العبادة والتفكير فيما حوله من مشاهد الكون وفيما وراءه من قدرة مبدعة وهو غير مطمئن لما عليه قومه من عقائد الشرك.

وكان اختياره صلى الله عليه وسلم لهذه العزلة طرفا من تدبير الله له وليعده لما ينتظره من الأمر العظيم وهكذا دبر الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يعده لحمل الأمانة وتغيير وجه الأرض دبر له هذه العزلة قبل تكليفه بالرسالة.

جبريل ينزل بالوحي..

ولما تكامل له أربعون سنة وهى رأس الكمال بدأت آثار النبوة

تتلوح وتتلعم له من وراء آفاق الحياة وتلك الآثار هى الرؤية فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

قالت عائشة رضى الله عنها: (أول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء يتعبد الليلالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثله حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك)..

فقال: اقرأ فقلت ما أنا بقارئ.. قال: فأخذنى فضمنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت: ما أنا بقارئ فأخذنى فضمنى الثالثة ثم أرسلنى فقال: {اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤} [العلق: ١ - ٤].

فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر..

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان رجلا تنصر فى الجاهلية.

فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزله الله على موسى ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوخرجى هم؟ قال: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك، أنصرك نصرا مؤزرا.

جبريل ينزل بالوحي مره ثانية:

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

تلقى النبى صلى الله عليه وسلم الأمر بالدعوى إلى الله فى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ① قُرْ فَأَنْذِرِ ② وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ③ وَيَا بَكَ فَطَهِّرِ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرِ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ⑥ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦} [المدثر: ١ - ٧].

المرحلة الأولى لهذه الدعوة:

مرت ثلاث سنوات والدعوة لم تنزل سرية فردية وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة والتعاون وتبليغ الرسالة ثم نزل الوحي يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعالنته قومه ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم.

المرحلة الثانية الدعوة جهاراً:

أول أمر لإظهار الدعوة: أول ما نزل بهذا الصدد قوله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ①} [الشعراء: ٢١٤].

الدعوة فى الأقربين.. وأول ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية وبدأ بعشيرته الأقربين فكلف ابن عمه (على بن أبى طالب) أن يصنع لهم طعاماً ويدعو أهلهم إليه وفيهم عمومته

(بنو عبد المطلب) وأولادهم نحو الأربعين رجلاً.. فلما اجتمعوا كلمهم الرسول فى شأن الدعوة الإسلامية الجديدة.

ما تدعو إليه من نبذ معتقداتهم الفاسدة والإيمان بالله وحده ولكنه لم يكذب يعرض حديثه حتى قاطعه (أبو لهب) وكان أشدهم عنفاً به ليفسد عليه الغرض من الاجتماع ودعى أبو لهب القوم إلى الانصراف معلناً ما كان ينبغى أن نضيع وقتاً فى هذا العبث والهذيان وطلب منهم أن يقوموا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً وتفرقت جماعتهم ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفقد الأمل ولم تضعف عزيمته فأعاد الوليمة مرة ثانية فى الغداة.

فلما اجتمعوا قال لهم: وما أعلم أن إنسانا فى العرب جاء قومہ بأفضل مما جئتم به فقد جئتم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى ربى أن أدعو إليه فأیکم یؤازرنى على هذا الأمر؟ .

فأعرضوا عنه وهموا بتركه ولكن عليا نهض وهو لا يزال صبيا وقال أنا يا رسول الله حرب على من حاربت فابتسم بنو هاشم وأخذ نظرهم ينتقل بين (أبى طالب) وابنه ثم انصرفوا على أن استخفاهم هذا لم يقعه عن عزمه ولم يسلمه إلى یأس بل انتقل بدعوته من عشيرته الأقربين إلى أهل مكة جميعا.

واتجه الرسول صلى الله عليه وسلم نحو الصفا يوما وصعد إلى أعلاه ونادى: "يا معشر قريش فقالت قريش: (محمد) على الصفا ينادى وأقبلوا عليه يسألونه عن حاجته فقال: أرايتم لو أخبرتم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكتتم تصدقونى؟ .

فقالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا قط قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد يا بنى عبد المطلب يا بنى عبد مناف يا بنى زهرة فأخذ ينادى على باقى القبائل إني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله فنهض أبو لهب وصاح قائلا: تبا لك سائر هذا اليوم ألهذا جمعتنا؟

فسكت محمد صلى الله عليه وسلم ونظر إليه نظرة يملؤها الأسى والحزن ثم نزل عليه الوحي فى قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ (٣)﴾ [المسد: ١ - ٣].

وهكذا دماغه الوحي بهذا الآيات البينات التى كانت بمثابة التشجيع للنبى صلى الله عليه وسلم كما كانت سابقة فال ومقدمة بشارة بأن الله

سينصر الحق على الباطل ويتم نوره ولو كره المشركون.

إيذاؤهم للرسول صلى الله عليه وسلم :

روى عن طارق المحاربى أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السوق.. يقول: أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ورجل خلفه يرميه بالحجارة قد أدمى عقبه... وقال: لا تطيعوه فإنه كذاب فقلت: من هذا؟ قالوا: محمد وعمه أبو لهب...

أما امرأة أبو لهب أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان فكانت فى غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما كانت تضع الشوك فى طريقه وتلقى بالقاذورات أمام بيته ولم تترك عملا فيه إيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم إلا فعلته ولم تكتف بهذا الإيذاء بل كانت تسب الرسول صلى الله عليه وسلم وتذمه وتوقع العداوة بينه وبين الناس لعنها الله وأنزل فيها قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۖ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ٤ - ٥].

أما أبو جهل لعنه الله فكان كثيرا ما يسئ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ألقى عليه مرة أثناء صلاته أمعاء شاة مذبوحة فتحمل الأذى وذهب إلى ابنته فاطمة رضى الله عنها فأزالت عنه النجاسة والأقذار وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى البيت الحرام فلما لم ينته تعرض له بالمنع فقابله الرسول صلى الله عليه وسلم بشدة وهدده فقال: أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ومنزلة؟

فرد الله تعالى عليه تهديدا ووعيدا بقوله: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فليدع ناديه ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ ۝١٩ وَاقْرَبْ ۝٢٠﴾ [العلق: ١٥ - ١٩].

وكان عقبة بن أبى معيط يجاور رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما صنعه ذلك الشقى ما رواه البخارى فى صحيحة فقال: بينما النبی

صلى الله عليه وسلم يصلى فى الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال: {أَنْفَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ} [غافر: ٢٨].

وكان الوليد بن المغيرة عم أبى جهل من أكابر قريش فى المركز الاجتماعى والمادى وكان كذلك من أكابر المجرمين الذين كادوا للرسول صلى الله عليه وسلم سمع القرآن مرة من النبى صلى الله عليه وسلم فقال لقومه: والله لقد سمعت من محمد كلاما ما هو من كلام الإنسان ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه .

فقال قريش: صبا والله الوليد لتصبأ قريش كلها فقال أبو جهل: أنا أكفيكموه ثم جلس أمام الوليد حزينا وكلمه مما حمسه ضد محمد صلى الله عليه وسلم مما جعل الوليد يأتى القوم فى ناديتهم ويخاطبهم قائلا: أتزعمون إن محمدا مجنون؟ فهل رأيتموه يهلوس؟ وتقولون: إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يقول شعرا قط؟ وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب؟

فقالوا فى كل ذلك: اللهم لا.. ثم قالوا: فما هو؟ ففكر قليلا ثم قال: ما هو إلا ساحر.. أما رأيتموه فرق بين الرجل وأهله وولده.. فاهتز النادى فرحا بهذا رأى.

وأنزل الله ردا عليه فى آيات بينات مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدُتٌ لَهُ ۖ

اللائلئ الجوهريّة في الخطب المنبرية

تَمَّهِيدًا ①٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ①٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَانَا عَينِدَا ①٦ سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ①٧ إِنَّهُ
فَكَرَّ وَفَدَّرَ ①٨ فَقِيلَ كَيْفَ فَدَّرَ ①٩ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَدَّرَ ②٠ ثُمَّ نَظَرَ ②١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ②٢ ثُمَّ أَدْبَرَ
وَأَسْتَكْبَرَ ②٣ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سَحَرٌ يُؤْتَرُ ②٤ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ②٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ②٦ {
[المدثر: ١١ - ٢٦].

ويروى أن قريشا قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : ادعوا لنا ربك
يجعل لنا الصفا ذهباً فنؤمن بك فدعا ربه فأتاه جبريل فقال له: إن ربك
يقروك السلام ويقول لك: إن شئت أجعل الصفا لهم ذهباً فمن كفر منهم
بعد ذلك أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت لهم
باب الرحمة والتوبة..

قال صلى الله عليه وسلم: بل التوبة والرحمة رواه البخارى ومسلم.

“توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون“.

* * *

١٠ - الرحمة باعتبارها صفة لله ورسول الله

والمبادئ العامة

الحمد لله الذى وسعت كل شئ رحمته وتعالى فى الكائنات آثار قدرته وحكمته لا إله إلا الله وحده لا شريك له بعث رسوله رحمة للعالمين.

وأشهد أن سيدنا وحبينا وشفيعنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير أرسل رسوله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد...

فيا عباد الله.. الرحمة لها مكانة كبرى فى الإسلام وفيها يرتكز هدف الرسالة الإسلامية.. فالحق تبارك وتعالى حينما يقول لرسوله وحببيه ومصطفاه محمدا صلى الله عليه وسلم: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [١٠٧] [الأنبياء: ١٠٧].

لم يقل رحمة الأهل أو العشيرة فقط وإنما قال رحمة للعالمين لتشمل كل العوالم فى ملك الله عز وجل وسور القرآن الكريم مفتوحة كلها بقول الله:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ما ترى فى الأرض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر أثر من رحمة الله التى أودع جزءا فى قلوب الخلائق فأرق الناس أفئدة أوفرهم نصيبا من هذه الرحمة وأرهفهم إحساسا بحياة الضعفاء..

أما غلاظ الأكباد من الجبارين والمستكبرين فهم فى الدرك

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

الأسفل من النار وفى الحديث: إن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسى .. رواه مسلم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعد جمود العين واستغلاق القلب من الشقاء..

ولقد أراد الله أن يمتن على العالم برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويستमित فى هدايته ويأخذ بناصر الضعيف.

فأرسل (محمدا) عليه الصلاة والسلام وسكب فى قلبه من العلم والحلم وفى خلقه من الإيناس والبر وفى طبعه من السهولة والرفق وفى يده من السخاوة والندى ما جعله أركى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدرا.

وقد لازمته هذه الفضائل العزبة فى أعصب الساعات عندما حاول المشركون فى (أحد) اغتياله وألجؤوه إلى حفرة ليكب فيها ونظر إلى زهرة أصحابه فوجدهم مدرجين بدمائهم.

ونظر إليه بقية أصحابه فإذا خده قد شق وسنه قد سقطت فى هذه الأزمة قيل: ادع على المشركين فغلبه رفقه وجعلت نفسه العالية يدعو ويقول: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

إن القلوب الكبيرة قلما تستجيشها دوافع القسوة فهى أبدا تميل إلى الصفح والحنان.. إن القسوة فى خلق الإنسان دليل نقص كبير وفى تاريخ أمة دليل فساد خطير فلا عجب إذا حذر الإسلام منها واعتبرها علة الفسق عن أمر الله والخروج عن صراطه المستقيم.

عن أبى هريرة: قال قبل رسول الله الحسن أو الحسين ابن على وعنده الأقرع بن حابس التميمى فقال الأقرع: إن لى عشرة من الأولاد ما قبلت منهم أحدا قط فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرحمة باعتبارها صفة لله ورسول الله

وقال: من لا يرحم لا يرحم رواه البخارى.

والسيدة خديجة تصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدء البعثة: إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وهذا كله يتبلور فى كلمة الرحمة .

ولقد تعدت رحمته صلى الله عليه وسلم من الإنسان إلى الحيوان أنه صلى الله عليه وسلم مر على بستان فوجد جملاً يئن وتذرف عينه بالدموع فمسح على ظهر الجمل ثم قال: من رب هذا الجمل؟ ومعنى: رب هذا الجمل أي: من صاحبه.

فجاء شاب من الأنصار وقال: هو لى يا رسول الله.. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إلا تتقى الله فى هذه البهيمة؟ إنك تجعیه.. فتغير سلوكه مع الجمل.

ونختم الحديث عن رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف الله له بقوله:

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾} [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩].

الرحمة باعتبارها صفة للمؤمنين:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى رواه البخارى ومسلم.

ومن القصص ذات المغزى العميق.. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس مع أصحابه يتحدث عن الرحمة ويعرف منزلتها من الدين.

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

فقال أحد الصحابة: إننا نرحم أزواجنا وأولادنا وأهلنا ولم يرض هذا رسول الله وقال: ما هذا أريد وإنما أريد الرحمة العامة وما من شك أن من الرحمة رحمة الأزواج والأولاد والأهل.. ولكن ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتغلغل الرحمة فى الكيان الإنسانى كله بحيث تصبح من فطرته وطبيعته وجبلته فيكون الإنسان وكأنه قبس من الرحمة الإلهية ينثرها حيثما كان وينثرها إذا سار وينثرها حيثما حل وإذا كان كذلك فقد استحق الطابع العام واستحق أن يغمره الله برحمته واستحق الطابع العام بالرسالة الإسلامية..

بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء رواه البخاري.

ويقول الله فى الحديث القدسى: اطلبوا الفضل من الرءماء من عبادى فإنى جعلت فىهم رحمتى ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإنى جعلت فىهم سخطى رواه الترمذى.

فإنه والعياذ بالله مطرود من رحمة الله يقول صلوات الله وسلامه عليه: لا تنزع الرحمة إلا من شقى رواه البخاري.

ورحمة الإنسان بنفسه تتلخص فى كلمتين هما: اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ونبه الإسلام إلى أن هناك أقواما مخصوصين ينبغى أن يحظوا بأضعاف من الرحمة والرعاية من هؤلاء ذوى الأرحام. والرحم مشتقة من الرحمة فى مبناها فيجب أن تستقيم معها فى معناها..

وعلى المسلم أن يؤدى حقوق أقرائه وأن يقوى بالمودة صلة الدم القائمة وأجود الناس بجميل بره آمنهم عليه وأولاهم به وهم والداه..

قال تعالى: {وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا} (الإسراء: ٢٤).

ثم أولاده فعن البراء رضى الله عنه قال: أتى أبو بكر عائشة وقد أصابتها الحمى فقال: كيف أنت يا بني؟ وقبل خدها والمشاهد فى أجلاف الناس أن عواطفهم لا تأخذ هذا الطابع من الرقة والحنو فى أخلاقهم وألفاظهم ولا يجوز للمسلم أن يوصد قلبه وبيته دون أقاربه فيحيا بعيدا عنهم لا يواسيهم فى اللمم ولا يسدى إليهم عونا.

إن هذه القطيعة تحرم الإنسان من بركة الله وتعرضه لسخطه عن أبى هريرة رضى الله عنه فيما رواه البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب.. قال: فهو لك رواه البخارى ومسلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاقروا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ} (٢٣) [محمد: ٢٢، ٢٣].

ومن تجب الرحمة بهم: اليتامى فعن أبى هريرة أن رجلا شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال: امسح رأس اليتيم والمسكين .. وذلك أن القلب يتبلد فى المجتمعات التى تضج بالمرح الدائم التى تصبح وتمسى وهى لا ترى من الحياة غير آفاقها الباهرة والمترفون إنما يتنكرون لآلام الجماهير لأن الملذات التى تتيسر لهم تغلف أفئدتهم وتطمس بصائرهم فلا تجعلهم يشعرون بحاجه المحتاج وألم المتألم وحزن المحزون ومن الرحمة: الرحمة بالجار فقد وردت أحاديث كثيرة يقول صلوات الله وسلامه عليه: مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه رواه مسلم.

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

وإذا كان الدين قد عين الطوائف بالذات فإنه لم يرد بذلك أن تقتصر الرحمة عليها لأن المقصود كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الرحمة العامة) الرحمة التى تعم العالم التى تعم البشرية بأكملها بل تتجاوز إلى العوالم الأخرى.. ولذلك قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧].

ومن أجل ذلك تتضمن الرحمة فى الجو الإسلامى الرحمة بالحيوانات أيضا عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من حشائش الأرض رواه الترمذى.

وكان رسول الله ينتهز الفرصة ليعظ الناس ويحببهم فى الله رأى امرأة تضم طفلها فى حنان بالغ وحب عميق.. قال: أهى طارحة ولدها فى النار؟ فقالت الصحابة: لا يا رسول الله، قال الرسول: الله أرحم بعباده من هذه بولدها رواه مسلم.

ونختم الحديث عن رحمة الله تعالى بقول سيدنا شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم، مخاطبا قومه: {وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: ٩٠].

وإن وصف الله سبحانه بالرحمن الرحيم وبأنه أرحم الرحمين وبأنه رحيم ودود لينقض باطل المستشرقين وأصحاب الهوى فى زعمهم أن الدين الإسلامى لا رقة فيه وهل هناك أرق من وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم؟ ووصفه بأنه أرحم الرحمين وأن الرقة كلها تتمثل فى قوله تعالى: {إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ} [هود: ٩٠] ومن النماذج الرائعة فى الحث على الرحمة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم: إن الله عز وجل

الرحمة باعتبارها صفة لله ورسول الله

يقول يوم القيامة يا بن آدم مرضت فلم تعدنى قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم اسـتـطـعـمـتـك فـلـم تـطـعـمـنـى.. قـال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا بن آدم استسقيتك فلم تسقنى.. قال: يا رب فكيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقال عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى؟ رواه البخارى ومسلم.

ويتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وضعه فى هذا العالم فيقول صلى الله عليه وسلم: إنما أنا رحمة مهداة رواه مسلم.

ما من يوم جمعة وإلا فيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة.

* * *

١١ . الأمانة

الحمد لله الذى أمر عباده بالعدل والأمانة ونهاهم عن الظلم والخيانة أحمده فهو أهل للحمد والثناء وأشكره فى السراء والضراء وفى الشدة والرخاء وأسأله العافية من كل داء والنجاة من كل بلاء إنه سميع مجيب الدعاء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما تسرون وما تعلنون وما تبدون وما تكتُمون. وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله وصفه قومه بالصادق الأمين صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن سلك صراطه المستقيم صلاة وسلاما ندرك بهما الفلاح والفوز يوم يحاسب الله عباده...

أما بعد....

فيقول الله جل شأنه: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾} [النساء: ٥٨].

أبها المؤمنون: الأمانة هى كل ما أوُتمن عليه الإنسان من حقوق أو ودائع وقد أمرنا الله بأدائها أمرا مؤكدا لسمو شأنها وعظم آثارها وجعل التفريط فيها والامتناع عن أدائها خيانة تستوجب غضب الله على فاعلها.

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الخيانة من علامات النفاق فقال: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا أوُتمن خان رواه النسائى وغيره.

كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن خائن الأمانة محروم

من كمال الإيمان حيث قال: لا دين لمن لا عهد له ولا إيمان لمن لا أمانة له رواه البخارى.

ولقد نهى الله جل شأنه عن خيانة الأمانات بكل أنواعها نهياً يحمل معه الوعيد القاسى للخائنين فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧].

هذا نداء من الله تبارك وتعالى إلى المؤمنين أن يوفوا بالأمانة وأن يحذروا الخيانة وقد فسر العلماء خيانة الله بترك الفرائض وتعدى الحدود وانتهاك الحرمات التى بينها فى كتابه الكريم. وخيانة الرسول بترك سنته والانصراف عنها إلى الأهواء.

وأما أمانات الناس فكل ما يتعلق بزمة العبد من أسرار وأموال وأنفس وأعراض وودائع وتشمل كذلك ما بينهم وبين أولياء أمورهم فى الشؤون الحربية والسياسية والاجتماعية وغيرها والأمانة واسعة الدلالة وهى ليست بالمعنى الضيق الذى يحصرها فيه بعض الناس فى حفظ الودائع وإنما هى أشمل من ذلك وأعم ومناطقها يقظة الضمير والشعور بالتبعية والمسؤوليات فى كل أمر يتولاه العبد على النحو الذى بينه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتهما والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته رواه البخارى ومسلم.

والمراد بالأمانة فى هذه الآية: التكليف بالطاعات وكما عظم شأن الأمانة وحث عليها حقر من شأن الخيانة وحذر منها..

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

ولقد عظم الإسلام شأن الأمانة وأكد أمرها وبين أن الوجود كله أبى أن يحملها إشفافاً ورهبة وخوفاً وتسليماً لله عز وجل بالطاعة ومن ثم وجب على المؤمن أن يرعاهها ويحفظها وألا يفرط فى أدائها قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ولما كانت السعادة القصوى أن يوقى الإنسان شقاء العيش فى الدنيا وسوء المنقلب فى الآخرة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع فى استعاذته بين الحالين معاً إذ قال: اللهم إنى أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة فالجوع: ضياع الدنيا والخيانة: ضياع الدين.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته الأولى قبل البعثة يلقب بين قومه بالأمين. وكذلك شوهدت الأمانة على موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حين سقى لابنتى الرجل الصالح ورفق بهما واحترم أنوثتهما وكان معهما عفيفاً شريفاً.

قال الله تعالى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [٢٤] فجاءته إحدىهمما تمشى على أستحياء قالت إني أدعوك ليجزىك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نبوتك من القوم الظالمين [٢٥] قالت إحدىهمما يئبت أستعجره إني خير من أستعجرت القوى الأمين [٢٦] { [القصص: ٢٤ - ٢٦].

وقد حدث هذا قبل أن يبعث نبي الله موسى ويرسل إلى فرعون. ولا غرو فرسل الله يختارون من أشرف الناس طباعاً وأزكاها معادن والنفس التى تظل معتصمة بالفضيلة على شدة الفقر ووحشة الغربة لا توجد إلا فى رجل قوى أمين.

والمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد تتطلب خلقاً لا يتغير باختلاف الأيام بين نعيم وبؤس ذلك جوهر الأمانة. ومن الأمانة وضع كل شئ فى المكان الجدير به واللائق له فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيقي به ولا تملأ وظيفة إلا بالرجل الذى ترفعه كفاءته إليها.

ألا ترى إلى يوسف الصديق أنه لم يرشح نفسه لإدارة شئون المال بنبوته وتقواه فحسب بل لأنه حفيظ عليم. وأبو ذر لما طلب الولاية لم يجده الرسول صلى الله عليه وسلم لها أهلاً فحذره منها. فالأمانة تقتضى أن نصطفى أحسن الناس قياماً بها فإذا ملنا عن ذلك لهوى أو قرابة أو غير ذلك ارتكبنا خيانة فادحة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أراضى الله منه خان الله ورسوله والمؤمنون رواه مسلم.

وعن يزيد بن أبى سفيان قال: قال لى أبو بكر الصديق حين بعثنى إلى الشام: يا يزيد إن لك قرابة إياك أن تؤثرهم بالإمرة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم رواه أحمد.

والأمة التى لا أمانة فيها هى الأمة التى تعبت فيها الشفاعات بالمصالح المقررة وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم وتقدم من دونهم وقد أرشدت السنة أن هذا من مظاهر الفساد الذى سوف يقع آخر الزمان.

جاء رجل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة؟ قال له: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: وكيف

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

إضاعتهما؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة رواه الإمامين.

ومن معانى الأمانة: أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً فى العمل الذى يناط به وأن يستنفذ جهده فى إبلاغه تمام الإحسان. أجل إنها الأمانة يمجدها الإسلام ويطلب أن يخلص الرجل فى عمله وأن يعنى بإجافته وأن يسهر على حقوق الناس التى وضعت بين يديه. وإن التقريط فى العمل والإهمال فيه ضرر كبير يهدد الأمة ويؤدى إلى انتشار الفساد بين ربوعها وتلك جريمة ينكرها الدين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به فيقال هذه غدرة فلان رواه مسلم.

ومن الأمانة: ألا يستغل الرجل منصبه الذى عين فيه لجلب منفعة شخصية فإن الاستغلال جريمة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول رواه البخارى ومسلم.

لأنه اختلاس من مال الجماعة الذى هو حق للجميع من ضعفاء وفقراء وعاملين وموظفين. وتلك مكاسب محرمة وسلب للأموال وجريمة نكراء، قال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ} [آل عمران: ١٦١].

أما الذى يلتزم حدود الله فى وظيفته ويعف نفسه ويلتزم حدود الله ويؤدى عمله بإخلاص وأمانة فذلك من المجاهدين الذين يشملهم الله بعنايته ويدخلهم فى رحمته.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد فى سبيل الله حتى يرجع إلى بيته رواه مسلم.

وحدث أن استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا

على الصدقة فلما قدم بها قال: هذا لكم وهذا أهدي إلى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنني أستمعل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي ويقول هذا لكم وهذا أهدي إلى أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا لقي الله عز وجل يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار ثم رفع يديه حتى رأى بياض إبطيه وقال: اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد رواه الشيخان.

ومن معاني الأمانة: أن تنتظر إلى حواسك التي أنعم الله بها عليك فتستخدمها فيما يرضيه وتتعد بها عن كل ما يغضبه ويجلب سخطه قال تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦].

وقد نص القرآن الكريم على أناس عطلوا هذه الحواس التي حباها الله بها فحجبوا عنها نور المعرفة والهداية فانحدروا إلى درك أسفل من مرتبة الحيوان لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.

وسوف تقف هذه الجوارح من أصحابها يوم القيامة موقفا يندى له الجبين وتنفطر له قلوب الخائنين حسرة وندما على ما فرطوا في جنب الله قال تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٢٤) يَوْمَ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور: ٢٤، ٢٥].

ومن معاني الأمانة: أن تنتظر إلى المواهب التي خصك الله بها وإلى ما أحببت من أموال وأولاد فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك فيجب أن تسخرها في التقرب إليه وأن تستخدمها

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

فى مرضاته فإن ابتليت بنقص شىء منها فلا يستخفك الجزع متوهما أن ملكك المحض قد سلب منك فالله أولى بك منك وأولى بما أفاء عليك وله ما أعطى وله ما أخذ وإن ابتليت ببقائها فما ينبغى أن تجبن بها عن جهاد أو ترك طاعة أو تستقوى بها على معصية.

ومن معانى الأمانة: أن تحفظ حقوق المجالس التى تشارك فيها فلا تدع لسانك يفضى أسرارها ويسرد أخبارها فكم من حبال تقطعت ومصالح تعطلت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس وذكرهم ما يدور فيه من كلام منسوب إلى صاحبه أو غير منسوب. وحرمان المجالس تصان مادام الذى يجرى فيها مضبوطا بقوانين الأدب وشرائع الدين وإلا فليست لها حرمة. وعلى كل مسلم شهد مجلسا يكر فيه المجرمون بغيرهم ليلحقوا بهم الأذى أن يسارع إلى إفساد مكرهم وإفشاء أمرهم وإحباط كيدهم وهو بذلك يساهم مساهمة فعالة فى إزالة المنكر ومحاربة الفساد ويحول دون وقوع الجريمة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجلس سفك دم حرام أو فرح حرام أو اقتطاع مال بغير حق رواه النسائي وغيره.

وللعلاقات الزوجية فى نظر الإسلام قداسة فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الرجل وامرأته يجب أن يطوى فلا يطلع عليه أحد مهما قرب. والسفهاء من الناس يثرثرون بما يقع داخل بيوتهم من أمور نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن التحدث فيها.

فعن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود عنده فقال: لعل رجلا يقول ما فعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها. فلزم القوم (فقلت:

والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن. قال فلا تفعلوا فإنها مثل ذلك مثل شيطان أتى شيطانة فغشيها والناس ينظرون رواه مسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشى سرها رواه الإمامين.

والودائع التي تدفع إلينا لنحفظها حيناً ثم نردها إلى أصحابها حين يطلبونها هي من الأمانات التي نسأل عنها. وقد استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هجرته ابن عمه (الإمام على رضى الله عنه) ليسلم المشركين الودائع التي كانت عنده مع أن هؤلاء المشركين اضطروه إلى ترك وطنه.

واعتبار الوديعة غنيمة هو ضرب من السرقة وأكل أموال الناس بالباطل...

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: القتال في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة. قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله فيقال له: أد أمانتك فيقول: أي ربي كيف وقد ذهبت الدنيا فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية وتمثل له الأمانة كهيئتها يوم دفعت إليه فإراها فيعرفها فيهوى في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت قدماه فيهوى في أثرها أبد الأبدين ثم قال: الصلاة أمانة والوضوء أمانة والوزن أمانة والكيل أمانة ..

والأمانة ضمير حى إلى جانب الفهم الصحيح للقرآن والسنة. فإذا مات الضمير انتزعت الأمانة فما يغنى عن المرء ترديد للآيات أو قراءة للسنن. وأدعياء الإسلام يزعمون للناس

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

أنهم أمناء ولكن هيهات أن تستقر الأمانة فى قلب تنكر للحق... إن الأمانة فضيلة لا يستطيع حملها إلا مؤمن تقى ورع يخاف الله والعلم أمانة فى أعناق العلماء ولذلك بعد أن تقرأ الآية التى حملت الإنسان الأمانة تجد أن الذين خانوا ونافقوا وأشركوا قد حق عليهم العذاب قال تعالى: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٣].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كتم علما مما ينفع الله تعالى به الناس فى أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار رواه البخارى ومسلم.

فيا معشر المؤمنين اتقوا الله وأدوا الأمانات إلى أهلها وحافظوا على حقوق الله وحقوق العباد فإن من حافظ عليها سلم فى دنياه وآخرته واستحق من الله الثواب الجزيل والفوز العظيم ومن أضاعها وفرط فيها فقد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قالوا: وما الغرباء يا رسول الله؟ قال: هم الذين يصلحون عند فساد الناس رواه الشيخان.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة.

* * *

١٢ - إكرام الوالدين

الحمد لله الذى خلق الإنسان من سلالة من طين. ثم جعله نطفة فى قرار مكين. ثم خلق النطفة علقة. فخلق العلقة مضغة. فخلق المضغة عظاما. فكسا العظام لحما ثم أنشأ خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.. أحمدده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأثنى عليه

الثناء

كله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ} ١٤ {وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تَمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} ١٥ [القمان: ١٤، ١٥].

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله نبي الهدى ورسول الرحمة وشفيع الأمة صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم وسار على هديهم إلى يوم الدين.

أما بعد..

فيقول الله تبارك وتعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْيَ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} ٢٣ [الإسراء: ٢٣] أيها المسلمون: فى هذه الآية الكريمة قرن الله طاعة الوالدين بطاعته وجعل الإحسان إليهما جزءا من عبادته ثم حذرنا من أن نسيء إليهما أو نقسوا عليهما أو نعاملهما بالغلظة والجفاء وما هذا إلا لمزيد فضلها وعظيم حقهما.

فالأم هى التى حملتك فى بطنها تسعة أشهر وذوقت عند وضعك

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

الآلام والأوجاع وهى التى أَرْضَعْتِكَ من ثديها لبنا سائغا ومنحتك من فؤادها عطفًا وحنانًا وهى التى غسلت وأزالت عنك الأذى وآثرتك على نفسها بكل عزيز لديها. إذا مرضت سهرت عليك وبكت لألمك ولو خيرت الأم بين حياتك وموتها لآثرت حياتك على حياتها.

أما الأب فإنه يكد ويكدح ويسعى فى سبيل راحتك وهناءتك وإسعادك وتربيتك وتقويمك حتى تشب على خير حال وأهنا بال.

وبالجملة فكل من الوالدين يبذل غاية جهده فى تربيتك. فهو يتعب لتستريح أنت ويشقى لتسعد. يتألم لآلامك ويبكى لبكائك ويضحك لابتسامتك ويسهر لسهرك ويسكن لسكونك ولا يهدأ له بال إلا إذا رآك هادئ النفس مستريحًا فى صحتك وغذائك. وإذا تأملت عناية الله بالوالدين وجدتها عناية بالغة الأثر. فلقد أمر الله بالإحسان إليهما أمرا مقرونا بالأمر بتوحيده تعالى فى عدة مواضع.

فيقول: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الإسراء: ٢٣].

وفى آية أخرى يقول: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [النساء: ٣٦].

وفى آية ثالثة يقول: {إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ} [لقمان: ١٤].

من يكثر من الوصية بالإحسان إلى الوالدين مبينا بواعث هذه الوصية الإلهية الكبرى..

فيقول: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ} [لقمان: ١٤].

وفى آية أخرى يقول: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَلُّهُ تَلْتُونَ شَهْرًا} [الأحقاف: ١٥] ولقد بين الله لنا كيفية الإحسان إليهما فى حياتهما وبعد موتهما أما كيفية الإحسان إليهما فى حياتهما فيشير إليها قوله تعالى: {إِذَا بَلَغَنَّكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا

أَقْبِ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

أما كيفية الإحسان إليهما بعد موتهما فقد علمنا الله إياها في قوله: {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: ٢٤].

فيا أيها المسلم... أحسن إلى والديك واعلم بأن رضا الله في رضاها يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين رواه البخاري.

وأن عقوقهما من أعظم الكبائر فلقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عقوق الوالدين مقرون بالشرك بالله تعالى حيث قال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله وكان متكئا فجلس ثم قال: ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت رواه الشيخان.

وإن العاق لوالديه يعجل الله له بعض عقابه في الدنيا وينتقم منه في عاجله قبل آجله.

فيقول صلى الله عليه وسلم: كل الذنوب يؤخر الله منها ما يشاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجل لصاحبه في الحياة قبل الممات رواه الترمذي.

ومن يتق الله في والديه فيبرهما ويحسن إليهما فإن الله يبارك له في عمره ويرزقه الذرية الصالحة التي تبره وتحسن معاملته. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: بروا آباءكم تبركم أبناءكم وعفوا تعف نساؤكم رواه مسلم.

وقد أوحى الله إلى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام: من لم يبر والديه فليس له جزاء عندى إلا النار رواه البخاري ومسلم.

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

فيا معشر المسلمين: إن من أجل ما يتقرب به العبد إلى ربه بر والديه وإكرامهما والإحسان إليهما وطاعتهما فى غير معصية لقول الله تعالى: { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ } [لقمان: ١٥].

فاتقوا الله وأحسنوا إلى والديكم يحسن الله إليكم فى الدنيا ويجزل لكم العطاء فى الآخرة

شكا رجل أباه إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا هو شيخ يتوكأ على عصاه فسأله النبى صلى الله عليه وسلم فقال إنه كان فقيراً وأنا غنى وضعيفا وأنا قوى فكنت لا أبخل عليه بمالى واليوم وأنا فقير وهو غنى وأنا ضعيف وهو قوى يبخل على بماله. فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ، ثم قال للولد: أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك رواه مسلم.

توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

١٣ - السعادة

الحمد لله الذى تجلى بفضله وكرمه على المؤمنين السعداء وبمقتله وغضبه على العصاة الأشقياء {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدَايَتِهِ وَيُضِلْ فَلَنْ يَجْدَلَ لَهُ وَلِيًّا مُرَشِدًا} [الكهف: ١٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل السعادة منتهى الآمال وأمنية النساء والرجال وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله سعيد من اقتدى به واهتدى بهديه واتبع أوامره واجتنب نواهيه وشقى من رغب عن سنته وأعرض عن طاعته متبعا شهواته وهواه صلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه الذين أدركوا معنى السعادة الحقة فعملوا لها وحملوا مشعل الهداية بعد الرسول صلى الله عليه وسلم فنصر الله بهم الحق وأعز بهم الدين وكانوا سعداء فى الدنيا والآخرة أولئك عند الله هم الآمنون... أما بعد....

فيا عباد الله.. يقول الله عز وجل وهو أصدق القائلين: {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُوزٍ} [هود: ١٠٨].

أيها المؤمنون: لقد قررت الآية الكريمة مصير السعداء وما أعد لهم من النعيم المقيم الخالد وقد ذكرت آية قبلها مصير الأشقياء وما أعد لهم من العذاب الشديد حيث قال جل شأنه: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا ففِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ} [هود: ١٠٦ - ١٠٧].

فالسعادة يا عباد الله أمل كل مفكر. إليها يسعى كل الناس وعنها يبحث جميع العقلاء لأنها بالنسبة للجميع كعبة الآمال وغاية الغايات ولكن الناس قد اختلفوا فى فهم معنى السعادة. ففهم كل فريق منهم فى

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

السعادة معنى خاصا على حسب ظروفه وأهوائه فهى التى تحقق لكل منهم أمله المنشود وبغيته المقصودة... فمن الناس من يرى أن السعادة فى الغنى وجمع المال وهو من أجل هذا يعمل جاهدا وبكل ما أوتى من قوة على جمع المال ليكون سعيدا. ولكن قد تبين خطأ هذا المعنى. فما أكثر مال قارون الذى عجزت العصبة أولوا القوة عن حمل مفاتيح كنوزه فقد خسف الله به وبداره الأرض. وما أغنى عنه ماله.

ومنهم من يرى أن السعادة فى الصحة والقوة فقط. وهو من أجل هذا يعمل لتحسين صحته والمزيد من قوته لأنها غايته وهذا أيضا مخطئ لأننا قد رأينا جبابرة الأرض من بنى الإنسان قد أزلهم الله وما أغنت عنهم قوتهم شيئا..

ومنهم من يرى أن السعادة فى المنصب والجاه وهم من أجل هذا يتسابقون إلى المناصب بمختلف الوسائل وهؤلاء أيضا مخطئون. فهذا فرعون الذى وصل فى جاهه وسلطانه وغطرسته إلى الحد الذى جعله يدعى الإلوهية ويقول للناس: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨].

ويقول: {قَالَ يَتْلُو آيَاتِ اللَّهِ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} [الزخرف: ٥١].

قد أذله الله فأغرقه وجعله عظة وعبرة لمن بعده من الأمم ولم يغن عنه جاهه ولا جبروته من عذاب الله شيئا.

ومنهم من يرى أن السعادة فى الزينة والكمال الخلقى.. وهم من أجل هذا يتغنون فى ضروب التزين والتجمل كى يكونوا سعداء ولكنهم مخطئون أيضا فما رأينا الجمال الخلقى كان سببا فى سعادة دائمة بل ربما عاد الجمال على صاحبه بالضرر والوبال ولم يغن

الجمال عنه شيئاً وأكثر ما يكون هذا فى محيط النساء.

ومنهم من يرى السعادة فى الذكاء.. وهؤلاء يرون أن الأذكياء سعداء فيغبطونهم ويتمنون أن يكونوا مثلهم ولكنهم مخطئون أيضاً فكثيراً ما رأينا بعض الأذكياء قد انحرف بهم ذكاؤهم عن الطريق المستقيم فاستعملوا ذكاءهم فى الإفساد فى الأرض وإضلال الناس.

وهؤلاء الأذكياء الذين نبغوا فى الاختراعات كمخترع المذياع والكهرباء وأسلحة التدمير هؤلاء أيضاً لم يفكروا فى اعتناق دين الله بل ظلوا منصرفين عنه جاهلين بأحكامه ومقدساته وليس لهم حظ فى نعيم الآخرة..

ومنهم من يرى أن السعادة فى تقوى الله وطاعته وفى التدين والتخلق بالأخلاق الفاضلة وهذا المعنى هو المعنى الكريم الحقيقى للسعادة فإن التدين بطاعة الله هو الذى يحقق لصاحبه سعادة كاملة فى الدنيا والآخرة.

أما فى الدنيا.. فإن اتباعه لأوامر الدين وإرشاداته يجعله محافظاً على صحته.. راضياً بما قسمه الله له من الرزق.. وهذه هى القناعة التى يشعر صاحبها بالسعادة. وأما فى الآخرة فإن طاعته لربه توصله إلى التمتع بنعيم الجنة ولا يدخل الجنة إلا السعداء. وإن العمل الصالح يحقق لصاحبه حياة طيبة فى الدنيا ومكافأة بالأجر العظيم فى الآخرة..

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا} [طه: ١١٢].

على أن الناس إذا أخذوا أنفسهم بالعمل بأحكام دين الله تمكنوا من محاربة الأعداء الثلاثة التى هى: الجهل والفقر والمرض وهذه منتهى السعادة فى الدنيا للمجتمع وقد بين الله أن نعيم الجنة خاص بالأتقياء فقال تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا} [١٦٣] {مريم: ٦٣}

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

لم يقل الله تعالى من كان غنيا. ولا من كان قويا. ولا من كان ذكيا. بل إن التقوى وحدها هى السبب. فى دخول الجنة، كما جعل الله ميزان التكریم عنده التقوى حيث قال: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى} إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات: ١٣]... ولم يقل أغناكم ولا أذكاكم ولا أقواكم. وما أحسن قول القائل:

ولست أرى السعادة جمع مال :: ولكن التقى هو السعيد.
فاتقوا الله أيها المؤمنون وان أردتم لأنفسكم السعادة فهى فى تقوى الله وطاعته والتخلق بالأخلاق الفاضلة فاعملوا بهذا للتحقق لكم السعادة فى الدنيا والآخرة فإذا انضم إلى تقوى الله شئ من الصحة أو الجاه أو المال كان ذلك خيرا من الله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أد ما افترض الله عليك تكن أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن أروع الناس وارضى بما قسم الله لك تكن أغنى الناس رواه البخارى ومسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى الذى رواه عن رب العزة: يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.. يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم. يا عبادى: كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم. يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم. يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا. لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما ضرنى ذلك شيئا. يا عبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قد اجتمعوا فى صعيد واحد فسألونى. فأعطيت كل واحد ما سأل. ما نقص ذلك من ملكى إلا بقدر ما ينقص المخيط إذا أدخل البحر رواه البخارى ومسلم.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها :: إلا التي كان قبل الموت يبنها
فان بناها بخير طاب مسكنه :: وإن بناها بشر خاب بانيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها :: ودورنا لخراب الدهر نبنها
أين الملوك التي كانت مسطنة :: حتى سقاها بكاس الموت ساقها
كم من مدائن فى الآفاق قد بنيت :: أمست خرابا وأفنى الموت أهلها
لا تركتن إلى الدنيا وما فيها :: فالموت لا شك يفينا ويفنيها
المرء يبسطها والدهر يقبضها :: والنفس تنشرها والموت يطويها
إن المكارم أخلاق مطهرة :: الدين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها :: والجود خامسها والفضل سادها
والبر سابعها والشكر ثامنها :: والصبر تاسعها والدين باقيها
والنفس تعلم أنى لا أصدقها :: ولست أرشد إلا حين أعصها
واعمل لدار غدا رضوان خازنها :: والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها :: والزعفران حشيش نابت فيها
والطير تجرى على الأغصان عاكفة :: تسبح الله جهرا فى مغانيها
من يشتري الدار فى الفردوس يعمرها :: بركة فى ظلام الليل يحييها
النفس تبكى على الدنيا وقد علمت :: أن السلامة فيها ترك ما فيها
ومن القصص ذات المغزى العميق أن مالك بن عوف ذهب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إن ابني ذهب
معك غازيا ولم يعد من الأسر وليس لى سواه فقال له الرسول صلى
الله عليه وسلم: يا مالك أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى
العظيم .

فلما رجع مالك سأله زوجته بماذا وصاك رسول الله؟ قال لها:
وصانى وإياك بالإكثار من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى
العظيم فلقيت هذه الوصية نفسا مؤمنة وظل الرجل وزوجته يرددان
تلك الوصية الغالية وفى المساء إذا بابنهما يطرق الباب ومعه قطيع

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

من الأغنام. فسأل والديه ماذا كنتما تفعلان فى غيابى لقد كنت مكبلا بالسلاسل والأغلال وتعجبت عندما وجدتھا تنفك شيئا فشيئا وعدت من الأسر وتبعتنى هذه الأغنام. ففرح الأب وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بعودة ابنه فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: **يَا مَالِكُ لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} ٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}** [الطلاق: ٢ - ٣].

وقد سئل الإمام على عن التقوى فقال: (ترتكز على أربعة أركان: الخوف من الجليل. {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ} ٤٠} [النازعات: ٤٠ - ٤١].

والعمل بالتنزيل.. {وَقُلْ أَعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ١٠٥] والرضا بالقليل يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس (رواه البخارى ومسلم) والإستعداد ليوم الرحيل. **لَقَالَ تَعَالَى: {وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى} وَأَتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ}** [البقرة: ١٩٧] ادعوا الله يستجب لكم..

* * *

١٤ - الشباب فى موكب الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.. وأشهد أن محمدا رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير. اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

أيها المؤمنون...

نحن نعلم أن القوة البدنية من نعمة الله على الإنسان كى يؤدى واجبه ويبلغ أهدافه ويؤدى الحقوق الأدبية المكتوبة عليه ولهذا نرى القرآن الكريم نوه عنها فى الوظائف القيادية وفى الوظائف العامة.

فأما الوظائف القيادية فإن اليهود لما اعترضوا أن بعث الله فيهم من يقودهم قالوا:

{أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمَلِكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يَأْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ} [البقرة: ٢٤٧].

كانت طبيعة القوم فى تقدير الأشخاص بالمال تهيمن عليهم وتطل من وراء حكمهم على الأمور فأفهم الله جل شأنه أن الرجال الكبار يكونون كبارا بمعادنهم التى يصاغون منها والمواهب التى يرزقون بها والقوة العلمية والبدنية التى تجعلهم يستطيعون أن ينهضوا بما يحملون من أعباء، قال تعالى موضحا هذه الحقائق: {إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ} [البقرة: ٢٤٧].

ومعنى البسطة فى العلم: أن يكون القائد حكيما فقيها مدركا للأمور واضعا كل شئ فى موضعه دون مغالاة أو تفريط.

اللائى الجوهرية فى الخطب المنبرية

ومعنى البسطة فى الجسم: أن الإنسان يستطيع أن يؤدى ما عليه وينطلق إلى بغيته دون أن يغلبه إعياء أو يقف به داء ومعروف فى تاريخ الرجال أن الهمم الكبيرة تدوخ أصحابها وإن القلوب الحية تكلف الأجساد مالا تطيق ولذلك قال المتنبى: -

وإذا كانت النفوس كبارا :: تعبت فى مرادها الأجسام
ولأمر ما وصف النبى عليه الصلاة والسلام بعض نعم الله على خلقه فقال: وبدنا على البلاء صابرا ومعنى البلاء: التكاليف التى يختبر الإنسان بها فإذا كان الإنسان صاحب طاقة على تحمل الأعباء كان ذلك من نعمة الله عليه.

قال العلماء: فالقوة يقصد بها: الطاقة المادية على الوفاء بما يطلب والأمانة يقصد بها: الرقابة الروحية ويقظة الضمير التى تجعل الإنسان يدرك مسئولياته ويؤرقه خوف التفريط فيها فهو أمين وهو قوى فأمانته تجعله يؤدى ما عليه بدقة. وقدرته تجعله ينهض بما عليه دون عجز.

ولأن القوة بهذه المثابة فى جميع الوظائف القيادية والعامة كانت مرحلة الشباب من أخطر المراحل فى حياة الناس وكان لها حساب خاص عند الله لأن مرحلة الشباب هى مرحلة القوة. فإن الإنسان يبدأ وبه ضعف الطفولة و جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد القوة ضعفا وشيبة قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} [الروم: ٥٤].

هذه القوة بين ضعفين جعلت لفترة الشباب حسابا خاصا وجعلت النبى صلى الله عليه وسلم يقول: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فىم أفناه. وعن شبابه فىم أبلاه وعن ماله من أين

اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل به رواه البخارى ومسلم.

ولما كان الشباب من العمر وسنسال عنه جعل الله له حسابا خاصا دون فترة الصبا والشيخوخة فإن فترة الشباب تعتبر أعمر الفترات بالقوة وأغناها بالطاقات المادية والأدبية وهذه الطاقات التى حفت بفترة الشباب جعلت لهذه الفترة ولأصحابها مكانة خاصة ولذلك لما ظهر الشباب المؤمن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ الإسلام يؤدى رسالته تأدية رائعة جليلة. النبى نفسه عليه الصلاة والسلام بعث فى اكتمال شبابه على سن الأربعين وإن كانت خصائص الشباب من قوة وسعة ورحابة وعاطفة حارة وسنرى ما نعرض من نماذج أن الشباب قوة وفكر وموهبة انظر إلى الرجال الثلاثة، الذين استشهدوا فى مؤتة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة كانوا شبابا فى الثلاثين من أعمارهم تقريبا ومن ذلك فإن زيد بن حارثة تلاشى فى رماح الرومان وجاء بعده جعفر فقاتل بضرواة وكان رجلا فيه كبرياء الإيمان واعتزاز أهل اليقين بما وهبوا من معادن وشرف والروم يومئذ أقوى دولة فى العالم وجاء بعده عبد الله بن رواحة فقاتل واستشهد.

هذا زيد بن حارثة أنجب ولدا اسمه أسامة بن زيد جعله النبى صلى الله عليه وسلم قائدا على الجيش لمقاتلة الرومان ولیدرك ثأر أبيه. شاب عمره ثمانية عشر عاما يتولى القيادة بجدارة ويشعر الشاب وهو يمتطى فرسه وينطلق أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبو بكر رضى الله عنه يمشى إلى جانبه وسنه واحد وستون عاما فيخجل أسامة ويقول: يا خليفة رسول الله إما أن تركب وإما أن أنزل فيقول الخليفة له: والله لا أركب ولا تنزل وما على أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله.

ثم من باب إعطاء القائد حرمة القيادة ومكانة الرياسة يقول أبو

بكر لأسامة:

هل تأذن لي في عمر ليبقى معي؟ وعمر بن الخطاب مجند في الجيش فيأذن أسامة بن زيد أن يبقى عمر ويصدر أمرا ببقائه مع خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عندما أتصور شابا في الثامنة عشر من عمره أقول في نفسي طبيعة الإيمان وتربية القرآن لهؤلاء الرجال مضى الإيمان في طريقه لم يتوقف والغريب أن ضريبة العمل صاحبت كل إنسان مهما كانت مكانته المعروفة في عالم اليوم إذا نبغ فرد في أسرة تسلق على أكتافه كثيرون كلهم يطلب أن تكون له المكانة.

لأن فردا من أسرته نبغ. الغريب أن النبي الهاشمي عليه الصلاة والسلام رفض هذه القاعدة ورفض أن تكون لها قيمة في حياته وسيرته وتقديره للأشخاص ولذلك وجدناهم في غزوة بدر أول من بارز كان عم النبي عليه الصلاة والسلام وابن عمه أول الفرسان الذين يقاتلون وأول قتيل سقط في بدر كان من بني هاشم وأول شهيد عظيم في أحد كان حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وجعفر بن أبي طالب نفسه مات شهيدا في مؤتة كان الرجال الكبار من شباب هذا الدين يعلمون أن مكانتهم عند الله بمقدار ما يضحون وبمقدار ما يؤدون ولذلك ذكرهم القرآن الكريم فقال: {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} [الكهف: ١٣].

وسمعوا القرآن يتحدث عن شباب يوسف عليه السلام كيف زانته العفة وعن شباب موسى كيف كان ذو قوة وحكمة: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} [القصص: ١٤].

وليس هذا له وحده بل للمحسنين قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ} [القصص: ١٤].

ولما غضب إبراهيم من مسلك أبيه صانع الأصنام التى يصنعها ويغرى الناس بعبادتها واستطاع إبراهيم أن يحاور بلسانه ثم بيده كان حديث الناس: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: ٦٠].
فالفتى الذى حطم الأصنام كان شابا كانت قدرة الشباب وطاقاته وعواطفه وأفكاره وآماله كانت كلها تدور حولها قيم حقيقية. هذا من الناحية العسكرية..

أما من الناحية العلمية: -
فعندما أنظر إلى الرجال الذين اعتبروا أئمة لهذه الأمة أرى أنهم كانوا من الشباب..

١ - عبد الله بن عباس.

٢ - عبد الله بن الزبير.

٣ - عبد الله بن عمر.

٤ - عبد الله بن عمرو.

العبادلة الأربعة الذين ورثوا الدين كانوا شبابا أبو هريرة كان شابا شغل نفسه بالعلم حفظا واستيعابا والشافعى الذى سعدت القاهرة بأنه كان يدرس بمساجدها هذا الإمام مات وعمره بضع وخمسون سنة والشافعى هو الواضع لعلم أصول الفقه وفن التشريع فى الإسلام وفن تقنين القوانين واستخراج الأحكام.

وهو الذى قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظى :: فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور :: ونور الله لا يهدى لعاصى
ولذلك، فالشباب أحوج أهل الأرض إلى مشرفين أمناء يدركون

كيف يستغلون قوته فى الخير وكيف يهذبون غرائزه ويجعلونها لا تتمرد ولا تنزلق ولا تنحرف.

الأمر محتاج إلى أولياء أمور فى المجتمع كله وفى الأسرة خاصة يؤمنون بالله ويؤمنون بالقيم التى أودعها الله فى دينه وبالقواعد السلوكية والأخلاقية التى لا بد أن يسير الشباب عليها حتى تؤمن عقباه وينتظر الخير له إن الإنسان ينبغى أن يلتزم بآداب الإسلام نحن نريد الشباب نهما علميا وعسكريا ورياضيا واجتماعيا يملأ حياتهم بالجديد الذى لا بد منه كى يؤدى ما عليه لأمتة.

أقول لأى شاب مؤمن: كن رجلا وكن قوى الشخصية ورسخ قدمك فى الأرض وأمعن فى طريقك طالبا وجه ربك ناشدا ثوابه منتظرا عونه وتوفيقه وإذا حاربتك الدنيا كلها لن تنال منك وستصل إلى غرضك واعلم أن دوام الحال من المحال وليكن ما يكفيك من ثواب الله أنك أحد الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله شاب نشأ فى طاعة الله فإذا تعاون هذا الشاب مع غيره فهما أخوان تعارفا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه.

هذا المعنى أرجو أن يكون فى نفس كل شاب مؤمن إن العالم تهب منه تيارات حمراء وصفراء تريد أن تسرق من الإيمان أفخر ما فيه تريد أن تسرق من الإسلام أحب ما لديه وأخرى تريد أن تسرق الشباب. نريد من المسؤولين العناية بالشباب وأن يعينوهم على الحق وأن يعملوا بما وصانا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجعلوا الشباب فى مجالسكم فإنهم أقرب إلى زمنهم رواه أحمد فى مسنده.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

* * *

١٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله الكبير المتعال، ذي العظمة والجلال، سبحانه لا رب غيره ولا معبود سواه أحمدته وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

{مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} [الكهف: ١٧].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له غمرنا بواسع فضله وإحسانه.. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله خير نبي لخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد...

فيقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

أيها المسلمون.. إن الأمة الإسلامية لم تكن خير أمة أخرجت للناس ولم تتل الأولوية على سائر الأمم إلا لما وهبها الله تعالى من فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول الله سبحانه وتعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

والمعروف كل قول أو عمل يرضاه الله تبارك وتعالى ورسوله وعباده الصالحون كالبر والإحسان والصدق وحسن المعاملة وغير ذلك من أعمال الخير الكثيرة.

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

أما المنكر فهو كل قول أو عمل لا يرضاه الله تبارك وتعالى وينكره الرسول ولا يقره الدين كشهادة الزور والكذب وعقوق الوالدين والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل وظلم القوى للضعيف والاعتداء على حقوق العباد وغير ذلك من المنكرات التى يمقتها الشرع ويبرأ منها الله ورسوله والملائكة والصالحون من المؤمنين. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى أن يأمر بعضنا بعضا بالمعروف وأن ينهى بعضنا بعضا عن المنكر حتى يسلم المجتمع من الفساد وينتشر الأمن والسلام بين العباد.. فإن تركنا الأمر بالمعروف وتغاضينا عن المنكر ولم نضرب بيد من حديد على أيدي الظالمين صب الله علينا العذاب صبا كما صبها على بنى إسرائيل من قبل حينما كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه.

قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [المائدة: ٧٨].

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم: إن من كان قبلكم كانوا إذا عمل العامل فيهم بالخطيئة جاءه الناهى تعذيرا فقال: يا هذا اتق الله فإذا كان الغد جالساه وواكله وشاربه كأنه لم يره على خطيئة بالأمس فلما رأى الله عز وجل ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ثم لعنهم على لسان نبيهم داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون.

والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفية أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم رواه مسلم.

فالمعاصى والمنكرات لا تضر صاحبها وحده وإنما يقع ضررها ووزرها على من يراها ويشهدها ولا يرد صاحبها إلى الحق

والصواب.

يقول الله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال: ٢٥].

وقد يقول قائل: مالى وللناس ما دمت مستقيماً أودى ما على الله والناس. وهذا خطأ عظيم وفكر سقيم. وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول: إنكم تقرأون هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة: ١٠٥].

وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده رواه الترمذي.

وقد حكى أن داود عليه السلام ارتكب خطيئة فقال: يارب اغفر لى فقال: غفرت لك وألزمت عارها بنى إسرائيل. فقال داود: يارب كيف وأنت الحكم العدل لا تظلم أحداً؟ أنا أعمل الخطيئة وتلزم بها غيرى. فأوحى الله إليه إنك لما عملت الخطيئة لم يعجلوا عليك بالإنكار.

وقد أرسل الله على ثمود الصيحة لما قتل واحد منهم ناقة صالح وذهبوا جميعاً ضحية سكوتهم وصمتهم على ما قدمت يداها، قال تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} ١١ {إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا} ١٢ {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا} ١٣ {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا} ١٤ {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا} ١٥ [الشمس: ١١ - ١٥].

كل هذا دليل على أن ضرر المنكر ليس عائداً على فاعله وحده وإنما عائد على جميع من رأوه ولم يمنعوه. فما أشبهنا أيها المسلمون بركاب سفينة تجرى وسط البحر بعضنا أعلاها وبعضنا أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا احتاجوا الماء طلبوه

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

من فوقهم. فإذا حاول من فى أسفل السفينة أن يخرقوها ليستقوا من البحر مباشرة غرقت السفينة بمن فيها. وإذا منعهم الذين فى أعلاها نجوا جميعا وسلموا من الغرق وقد أخذ هذا التشبيه من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قص القرآن الكريم علينا ما يوضح أن ضرر المنكر ليس قاصرا على فاعله فقط بل سيلحقه ويلحق من وراءه إذا لم يقم بالنهاى عنه.

وذلك واضح جلى فى قصة أصحاب السبت حيث نهى الله اليهود عن صيد السمك يوم السبت واختبرهم بكثرة الأسماك فى هذا اليوم الذى نهوا عن الصيد فيه وقتله فى غيره من الأيام فلجئوا إلى حيلة يتخلصون بها من نهى الله لهم فنصبوا الفخاخ للسمك يوم السبت وكانوا يأخذون السمك فى الأيام التى تليه فقامت طائفة بوعظهم وجاءت طائفة أخرى تؤنب الواعظين فأتيت الواعظون حجتهم فلما وقع عذاب الله أخذ به العصاة ومن لم يقوموا بوعظهم ونهيهم عن معصية الله. ونجى الله عز وجل كل من نهى عن سوء.

استمعوا إلى قول الله تعالى: {وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف: ١٦٣].

ولكن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال الله للرسول صلى الله عليه وسلم: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} [النحل: ١٢٥]، رواه مسلم.

وقد أمر الله موسى وأخاه أن يقولوا لفرعون قولنا..

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فاتقوا الله أيها المسلمون وتيقظوا من قبل أن يأتيكم عذاب لا مرد له من الله. طهروا نفوسكم وقلوبكم واتحدوا جميعا على البر والتقوى واضربوا على أيدي العابثين والمجرمين الذين يعيشون في الأرض فسادا والظالمين الذين يبيغون على الضعفاء ويسلبونهم أموالهم وأقواتهم. والكذابين الذين يشهدون الزور ويكونون سببا في ضياع الحقوق وتضليل العدالة. والمحتكرين الذين يحتكرون السلع لتقل في السوق ويرتفع ثمنها. والتجار الجشعين الذين يغالون في الأثمان ويرفعونها بغيا وظلما. وأذئاب الحقد والجهل الذين يكرهون التقدم والرقى لوطنهم ويريدون أن نعيش مكبلين في أغلال التأخر والجهل. والنساء اللاتي يخرجن إلى الطريق متبرجات. أولئك أعداء الله وأعداء الدين وأعداء الوطن والإنسانية. فيجب علينا أن ننكر عليهم أعمالهم ونبصرهم بالهدى ونعرفهم طريق الحق لنكون خير أمة أخرجت للناس ونسلم من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

هدانى الله وإياكم سبيل الرشاد ووفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه.... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس اتقوا ربكم. إن ربكم يقول لكم مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل أن تدعوني فلا أجيبكم وتستنصروني فلا أنصركم وتسالوني فلا أعطكم رواه النسائي.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس خصال يا معشر- المهاجرين أعوذ بالله أن تدركوهن.. ما فشت فاحشة الزنا في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم من قبل... وما طففوا الكيل والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان.. وما منعوا زكاة أموالهم إلا منعوا المطر من السماء، وما لم يأمروا بالمعروف وينهاوا عن المنكر إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ أحسن ما في أيديهم. وما لم

يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم رواه البخارى
ومسلم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف بكم يا معشر المهاجرين
إذا فسق شبابكم وطغت نساؤكم؟ قالوا: وأن ذلك لكائن يا رسول الله؟
قال: والذي نفسى بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه يا رسول
الله؟ قال: كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ قالوا: وإن
ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه؟
قال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف وأصبح فيكم
المعروف منكرا والمنكر معروفا رواه مسلم.

يقول الله عز وجل فى حديثه القدسى: وبقى حلفت لأتيحن لهم حينئذ
فتنة يصير الحليم فيها حيرانا رواه أحمد.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: البر لا يبلى والذنوب لا ينسى
والديان لا يموت إعمل ما شئت كما تدين تدان .

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

١٦ - صفات المتقين

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير...

أما بعد... فيا عباد الله... يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (١٣٣) الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبَظِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّةٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

قوله تعالى: {وَسَارِعُوا} أي: بادروا - وفي الآية حذف أي وسارعوا إلى ما يوجب المغفرة وهي الطاعة قال أنس بن مالك: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} أي: إلى تكبيرة الإحرام. وقال على بن أبي طالب: إلى أداء الفرائض. وقال عثمان بن عفان: إلى الإخلاص وقيل: إلى التوبة من الربا. وقيل: إلى الثبات في القتال.

وقوله تعالى: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} تقديره كعرض السماوات فحذف المضاف. وقوله تعالى: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} من هم المتقون؟ يبين الله سبحانه وتعالى لنا صفاتهم في قوله: {الَّذِينَ يُفْقُونَ} هذه صفة من صفاتهم {فِي السَّرَّاءِ} أي: في اليسر {وَالضَّرَّاءِ} أي: في العسر. وقيل: في السراء والضراء (أي في الرخاء والشدة) وقوله تعالى: {وَالْكَبَظِمِينَ الْغَيْظِ} ومعناها.. كظم غيظه أي: سكت عليه

اللائلئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعده وقد ورد فى كظم الغيظ أحاديث كثيرة..

فقال صلى الله عليه وسلم: ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد هو الذى يملك نفسه عند الغضب رواه البخارى ومسلم.

وروى أنس أن رجلا قال: يا رسول الله، ما أشد من كل شيء؟ قال: غضب الله قال: فما ينجى من غضب الله؟ قال: لا تغضب .

وإذا غضبت فكن وقورا كاظما :::: للغيظ تبصر ما تقول وتسمع.. فكفى به شرا فاصبر ساعة :::: يرضى بها عنك الإله وترفع.. وقوله تعالى: {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ}.. العفو عن الناس أجل ضروب فعل الخير..

قصة: روى عن ميمون بن مهران أن جاريته جاءت ذات يوم بإناء فيه مرققة شديدة الحرارة وعنده ضيوف فعثرت قدمها فصبت المرققة عليه فأراد ميمون أن يعاقبها فقالت الجارية: يا مولاي اسـ_____ تعمل قـ_____ الله تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} قال لها: قد فعلت. فقالت: اعمل بما بعده: {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} قال: قد عفوت عنك..

فقالت الجارية: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.. قال: (اذهبي فأنت حرة لوجه الله).

إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال: من ذا الذى كان أجره على الله؟ فيقوم العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب..

وقوله تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤] أي: يثيبهم على إحسانهم..

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ} [آل عمران: ١٣٥]
 ذكر الله في هذه الآية صنفاً دون الصنف الأول وهؤلاء هم التوابون.
 فعن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال: مما عباد الله
 يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ويستغفر الله إلا غفر له . والمراد
 بقوله تعالى: {ذَكَرُوا اللَّهَ} أي حياء منه وخوفاً من عقابه: {فَأَسْتَغْفِرُوا
 لِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٣٥] أي: طلبوا الغفران لأجل ذنوبهم. روى
 الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قال أستغفر الله الذي لا
 إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفر الله له وإن كان قد فر من الزحف
 رواه ابن ماجه.

وقوله تعالى: {وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ١٣٥] أي: ليس
 أحد يغفر الذنوب والمعاصي ولا يزيل عقوبتها إلا الله: {وَكَمْ يُصِرُّوا} [آل عمران: ١٣٥] أي: لم يثبتوا وقيموا على معاصيهم والإصرار: هو
 العزم بالقلب على ترك الأمر والإقلاع عنه وقوله تعالى: {وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ} أي: يعلمون أن لهم ربا يغفر الذنوب ويقبل التوب.
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم
 تاب إلى الله تاب الله عليه رواه مسلم.

وبعد أن بين لنا صفات المتقين بشرهم بالجزاء الحسن فقال:
 {أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا وَنَعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ} [آل عمران: ١٣٦].

وقد بين الله لنا ما حدث للأمم السابقة فقال تعالى: {قَدْ خَلَتْ
 مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [آل عمران: ١٣٧] والسنن جمع سنة وهى الطريق المستقيم. وانظروا
 إلى ما حدث للمكذبين قبلكم كعاد وثمود.

حديث قدسي:

يا ابن آدم لا تحف من ذى سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى باق لا يزول أبدا يا ابن آدم لا تحف فوات الرزق مادامت خزائنى ملائنة وخزائنى ملائنة لا تنفذ أبدا يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشغل بما خلقتك لك عنى. يا ابن آدم لى عليك فريضة ولك على رزق فإن خالفتنى فى فريضتى لن أخالفك فى رزقك. يا ابن آدم إن رضيت بما قسمته لك أرحمت قلبك وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتى وجلالى لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البرية ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما رواه البخارى ومسلم.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

١٧ - عقبات مزيضة فى طريق إسلام الوجه لله

الحمد لله الذى أرسل رسوله بشيرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله. وحده لا شريك له يبسط يده بالليل ليتوب مذنبا النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مذنبا الليل. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله.

سيدى يا رسول الله..

صلت عليك ملائكة الرحمن :::: وسرى الضياء بسائر الأكوان
لما طلعت على الوجود مذودا :::: بحمى الإله وراية القرآن
اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
الذين حملوا مشعل الهداية من بعده فنصر الله بهم الحق وأعز بهم
الدين...

أما بعد...

إذا فهم الإنسان التوحيد على حقيقته. واتخذ شعارا له وطابعا.
فإنه يتحرر من رق العبودية لغير الله فى مختلف ألوانه وأشكاله.

والإنسانية فى مختلف أزمنتها وأمكناتها تخاف الموت وتخشاه
وهذا يقودها إلى الاستعباد للأقوياء والذلة أمام الطغاة. ولكن هذا
الوضع لا يتمشى قط مع عقيدة التوحيد. فإن مالك الملك إنما هو
الذى يملك الموت والحياة. إنه يملك إمارة الطغاة أو تركهم لحكمة
يعلمها سبحانه. وهو الذى قدر الآجال وحددها. فإذا جاء أجلهم لا
يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

والحرص على الحياة أو الجبن ليسا من أسباب إطالة الأجل.

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

والشجاعة والإقدام ليسا من أسباب تقصير الأجل وقد بين الله ذلك فى كتابه الكريم.

أما هؤلاء الذين قالوا: {لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا} [آل عمران: ١٥٤].

فإن الله يرد عليهم: {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران: ١٥٤].

وهؤلاء الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا: {لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [آل عمران: ١٦٨] فإن الله سبحانه وتعالى يقول: {فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران: ١٦٨].

أما هؤلاء الذين يفرون أمام أعداء الله فهؤلاء قد استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا.

إذن المؤمن الصادق لا يعرف الجبن ولا يستذله الشيطان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل لأن لو تفتح عمل الشيطان رواه البخارى ومسلم.

وإذا كان الخوف من الموت هو الدعامة الأولى فى ذل الإنسان واسترقاقه فإن الدعامة الثانية هى الخوف من فوات الرزق.

والناس عادة ينتابهم القلق ويتملكهم الحرص على أقواتهم ويذهب بعضهم إلى وسائل لا تليق بالكرامة الإنسانية. بل يصل الأمر بالبعض إلى مستوى التملق والمداهنة وبعضهم يصل به الأمر إلى الغش والرشوة والاختلاس وتستعبد المادة والحصول عليها الإنسان فيصبح لها عبدا مسترقا.

ولكن الإنسان وقد حرره المجتمع الإسلامى من خوف الموت فقد حرره أيضا من هم الرزق قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرُّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا} [هود: ٦]، وقال تعالى: {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [فاطر: ٢].

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن الرزق فى السماء محدود مقسوم وأقسم سبحانه على أن ذلك حق وواقع يقول سبحانه: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [٢٢] فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ [٢٣] [الذاريات: ٢٢ - ٢٣].

على أن صاحب الثراء العريض الذى يعتمد على ثرائه غير ناظر لله تعالى واهب الرزق والثراء وأنه القادر على أن يخسف به وبداره الأرض كما صنع بقارون أو يطوف بمزارعه وبساتينه طائف منه سبحانه وتعالى فتصبح خاوية على عروشها كما فعل سبحانه بأصحاب الجنة الذين قص علينا أمرهم فى القرآن الكريم فى سورة القلم. والواقع أن سنن الله سبحانه وتعالى لا تتخلف. فالقاعدة الإسلامية أن الله عز وجل يمهل ولا يهمل. صحيح أنه يملأ للظالم ولكنه إذا أخذه يأخذه أخذ العزيز المقتدر وما حدث لمن ظلم وطغى أو بغى وافترى من القائمين على الحكم فى بلاد الإسلام فيه العبرة والعظة لكل من تسول له نفسه أن يحكم بأهوائه أو يستعبد الشعب الذى هو مسؤول عنه أمام الله. وعلى كل حاكم أن يعى جيدا قول الله عز وجل فى كتابه الكريم: {قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ٢٦].

فالعاقل يعلم بأن الملك والملوك لله وحده. وأن العدل أساس الملك. ومعلوم أن الحق تبارك وتعالى قد حرم الظلم على نفسه لا

يظلم مثقال ذرة وجعل الظلم محرما بين خلقه فقال: لا تظالموا .

وقد حذر الظالمين من العاقبة الوخيمة فى الدنيا والآخرة فقال تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ } ٤٢ { مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ } ٤٣ { وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ تَكُونُوا آفَئِسْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ } ٤٤ { وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَنَبَّيْنَا لَكُم كَيْفَ فَكَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ } ٤٥ { [إبراهيم: ٤٢ - ٤٥].

إن ما حدث فى مصرنا قديما وحديثا من عقاب الله للظالمين والتتكيل بهم أمام من ظلموا لهو أعظم دليل على عدل الله عز وجل. فمن العز والمنعة إلى الذل والإهانة. ومن القصور إلى القبور. فسبحان من حرم الظلم وأمر بالعدل. فالحاكم العاقل العادل إذا حكم لا يظلم. وإذا حدث لا يكذب. وإذا وعد لا يخلف وإنه لا خير فى القول إلا مع العمل. وأن يرجع إلى رأى العقلاء. ويفزع إلى استشارة العلماء. لك أن تسأل وتسلم خير لك من أن تستبد وتندم. وإياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذى منه كنت. والذى إليه تصير.

أيها المسلمون...

ليعلم كل من يظلم أن الظلم لا يدوم لأنه إن دام دمر. وإن الحرام لا يدوم وإن دام لا ينفع أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم
توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

١٨ - الزواج وفوائده

الحمد لله الذى شرع الزواج رحمة للعالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الزواج وقاية للناس من الوقوع فى المهلكات والمنكرات التى تهدم صرح المسلمين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. وصفيه وخليله رسم للناس فى الزواج طرقا طيبة إذا سلكوها كانوا سعداء فائزين. وإذا أعرضوا عنها كانوا أشقياء أذلاء خاسرين. اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

أما بعد... فيا عباد الله.... قال الله تعالى وهو أصدق القائلين:

{ وَمِنْ عَآيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الروم: ٢١].

أيها المؤمنون.. إن الزواج من سنن الله الكونية التى لا بد منها لتنظيم الكون وذلك لما له من فوائد متعددة وآثار كريمة طيبة تجعلنا نؤمن بأن الزواج هو الأساس القويم الذى تبنى عليه نظم الطوائف والجماعات ولهذا كانت مشروعية الزواج من أعظم نعم الله على بنى الإنسان. فمن فوائد الزواج وحكمه التى من أجلها شرع: أن الزواج خير وسيلة للترابط بين الأسر والجماعات لما فيه من المودة والرحمة والاطمئنان وغير ذلك من الصفات الكريمة التى تنشأ بين الزوجين. وهذه هى المعانى التى أشارت إليها الآية الكريمة ومن حكمه وفوائده أيضا أنه سبب فى عمارة الكون بطريق التناسل الذى بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله: تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة رواه مسلم.

ومنها: أنه هو الوسيلة لحفظ الأنساب وحفظ الأموال من أن تنتقل

إلى بعض الأشخاص بغير حق باسم الميراث.

فالأزواج هو الطريق القويم الذى ينظم هذه الشؤون تنظيمًا دقيقًا تجنبنا من الوقوع فى الزلل من جهة هذه الأخطار... ومنها أيضًا: أن فى الزواج وقاية طيبة وحصنًا حصينا للكثيرين من الناس من الوقوع فى فاحشة الزنا وما قد ينشأ عن ذلك من الأمراض التناسلية الخبيثة الفتاكة التى تهدم كيان المجتمع لأن هذه الأمراض قد تنتقل بالوراثة إلى عدد من الطبقات المتعاقبة. فلهذا كله وغيره من المخاطر التى لا تكاد تحصر رأينا عناية جميع الأديان السماوية بمشروعية الزواج فى جميع الأمم على اختلاف عصورها.

ولقد كانت عناية الإسلام بالزواج عناية بالغة الأثر حيث وردت نصوص كثيرة فى القرآن الكريم والسنة النبوية تحت على الزواج وترغب فيه وترشد إلى بعض فوائده ومزاياه وتنظم قواعده وتبين أحكامه..

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ { [النور: ٣٢].

فلا عجب إذا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى الشباب ويحثهم على الزواج ويرغبهم فيه متى توفرت لديهم أسبابه ودواعيه فيقول: يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء رواه البخارى ومسلم.

ونراه صلى الله عليه وسلم يوجه اللوم إلى المعرضين عن الزواج مع قدرتهم عليه كما جاء واضحا فى جوابه صلى الله عليه وسلم للقوم الذين جاؤوا ليسألوا عن عبادته فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر. وقال الثانى: وأما أنا فأقوم الليل أبدا، وقال

الثالث: وأما أنا فأعتزل النساء أبداً.

فأجابهم صلى الله عليه وسلم بقوله: أما أنا فأصوم وأفطر. وأقوم وأنام. وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه مسلم.
وإذا كان الممتنع عن الزواج تقرباً إلى الله قد حكم عليه الرسول بقوله: ليس مني .

فما بالكم بالممتنع عن الزواج اكتفاء بارتكابه للمنكرات متبعاً أهواءه وشهواته..

قال صلى الله عليه وسلم: لا رهبانية في الإسلام. والرهبانية الممنوعة هي الامتناع عن الزواج ولو تنسكا رواه مسلم.

ونراه صلى الله عليه وسلم يلقي في الزواج عدة بيانات رائعة يرسم فيها للناس خطوطاً رئيسية تحقق لمن سلكها سبيل السعادة والهناءة. فنبه الراغبين في الزواج: أن المرأة تنكح لأربع. لملها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك رواه مسلم.

ويقول: من تزوج امرأة لملها لم يزد ذلك إلا فقراً. ومن تزوجها لجمالها لم يزد ذلك إلا ذلاً. ومن تزوجها لجملها لم يزد ذلك إلا خسة ودناءة. ومن تزوجها لدينها ليغض بها بصره ويحصن بها فرجه. بارك الله له فيها وبارك لها فيه رواه البخاري ومسلم.

فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم تدين المرأة هو الهدف المقصود في اختيار الزوجة فإذا انضم إلى الدين شيء من المال أو الجمال أو الجاه كان ذلك زيادة في الخير. ومن الإرشادات النبوية لأولياء أمور البنات في اختيار الأزواج لبناتهن، قوله صلى الله عليه وسلم: إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير رواه مسلم.

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

فقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الميزان القويم فى اختيار الزوج هو الدين والخلق.

فيا معشر الشباب: أقبلوا على الزواج متى توفرت لكم أسبابه ودواعيه. ولا تعبثوا فى اختيار الزوجات بكرامة البيوت واجعلوا التدين والحياء وطاعة الله هدفا أساسيا فى اختيار الزوجة.

ويا أيها الآباء والأولياء: لا تتعسفوا فى زواج بناتكم ولا تعقدوا المشاكل أمام الراغبين حقا فى الزواج والمصاهرة.. ولا تثقلوا كواهلهم بالمطالب المالية التى قد تكون سببا فى تنفيرهم من الزواج واجعلوا هدفكم فى اختيار الأزواج لبناتكم الدين والخلق قبل كل شئ كما أوصانا نبينا فإنكم إن فعلتم هذا تحققت أمالكهم فى إعزاز بناتكم والاطمئنان على حياتهن فى بيوت الزوجية لأن الزوج التقى إن أحبها أكرمها وإن كرهها لم يظلمها.

وقد رأينا الكثيرين ممن غرتهم المناصب والجاه والأموال فجعلوها هدفهم فى الاختيار قد فشلوا فى حياتهم الزوجية وتبدل نعيمهم جحيما وتحول هناؤهم شقاء وانقلب عزهم ذلا وتوترت العلاقات وحل الشقاق محل الوفاق وامتألت قلوب الفريقين بالعداوة والبغضاء والغل والحقد والكراهية نتيجة لانحرافهم عن التعاليم الإسلامية والسنة النبوية. وقد لاحظنا بعض الناس يعتقدون أن عقد الزواج فى شهر المحرم حرام. وهذه عقيدة باطلة وصاحبها قد حرم ما أحل الله.

يقول صلى الله عليه وسلم: ليس منا من أحل حراما أو حرم حلالا رواه مسلم.

فعقد الزواج فى شهر المحرم وغيره جائز وشهر المحرم كغيره من سائر الشهور لا فرق بينه وبين الشهور الأخرى فى صحة عقد

الزواج وفوائده

الزواج ولا يحرم عقد الزواج إلا على من كان محرماً بالحج أو العمرة.

فاتقوا الله أيها المؤمنون واتبعوا أوامر دينكم وسيروا على سنة نبيكم فيما رسمه لكم في زواجكم تنعموا بالحياة الهنيئة التي هي أمانيكم وكل آمالكم.

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي النساء خير؟ فقال: التي تسر زوجها إذا نظر وتطيعه فيما أمر ولا تتصرف في نفسها وماله بما يكره رواه الإمام في مسنده.

وفي رواية أخرى: من إذا نظر إليها سرته. وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله رواه البخاري ومسلم.

وقد يسأل بعض الناس عن حكم الزواج بعقد عرفي؟ ونجيب وبالله التوفيق فنقول: هذا الزواج قد تم بعقد غير مسجل. والإسلام قد بين أن الأحكام تبنى على المصالح المرسلة وعدم الضرر بالفرد أو المجتمع ومعلوم أن السبب في تسجيل عقد الزواج في أوراق رسمية أسباب كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر..

(أولاً): - خراب الذمم.

(ثانياً): - المحافظة على حقوق الزوجة.

(ثالثاً): - إعلان الزواج دفعا للفتن.

(رابعاً): - بناء الأسرة على أساس قويم.

ونتساءل ما هو السبب وراء اللجوء إلى الزواج العرفي؟ ونقول لا بد وأن سوء النية متوفر مهما كان السبب. لأن مخالفة الشرع والقوانين واللوائح لا بد وراءه أبواب خلفية تجر على المجتمع الدمار والفساد.

اللائئ الجوهريه فى الخطب المنبرية

يقول رسولنا: كل بنى آدم خطاء. وخير الخاطئين التوابون..

* * *

١٩ - عاقبة الإعراض عن ذكر الله

الحمد لله الكبير المتعال ذي العظمة والجلال لا رب غيره ولا معبود سواه. أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله. الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير. اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين...

أيها المؤمنون... يقول الله عز وجل: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: ٣٦].

إذا تمكن الشيطان من الإنسان. فقد يصبح الإنسان أستاذا للشيطان ويصبح الشيطان له تابعا ألم تر يا أخی ذلك الحبر الكبير من بنى إسرائيل ويدعى (بلعام بن باعوراء) بلغ من ثقة نبي الله موسى فيه أن أوفده إلى أهل مدين يدعوهم إلى عبادة الله. يقف (بلعام الحبر) مرشدا وهاديا. ويقف الشيطان منه عدوا عنيدا ومضلا وخصما لدودا. فيغري الشيطان أهل مدين أن يقدموا له المال في سبيل أن يكف عن هذا الكلام. فيعرضون عليه المال.. وما أدراك ما المال؟.. سلاح قتال. فالذهب له بريقه. الذى يلعب بالقلوب. والفضة لها رنينها الذى يسيل له لعاب الضعفاء. وتمكن الإغراء والإغواء من قلب (بلعام) فقبل المال وترك الدعوة وقاطع موسى. وقد سجل القرآن الكريم هذا الحدث ليكون فيه المثل والعبرة.

قال جل شأنه: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ} (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَانْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧].

تأمل هذا المشهد الذى أورده القرآن الكريم ليكون عبرة للبشرية وذكرى لأولى الألباب. إنه نبأ الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها. قف أخى المسلم عند قوله تعالى: {فَأَنسَلَخَ مِنْهَا} فإن لهذه الكلمات أثرها الكبير ومغزاها العظيم لم يقل القرآن الكريم: (فانفصل عنها) أو (فتركها) وإنما قال: {فَأَنسَلَخَ مِنْهَا} والسلخ.. كما يقولون.. كشط الجلد عن اللحم..

فلو أن هذا الرجل انفصل عن الآيات أو تركها من الجائز أن يعود إليها يوما ولكن لفظ الإنسلاخ أفاد أن عودته إليها أصبح مستحيلا كما لا يمكن أن يعود الجلد إلى اللحم بعد سلخه.. ثم الق نظرة على قوله تعالى: {فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ} وكيف جاء العطف بالفاء.. التى تفيد الترتيب والتعقيب..

كأن الشيطان انتهزها فرصة بمجرد أن انسلاخ هذا الإنسان من الآيات فاتبعه.

ثم تأمل وتدبر فى قوله تعالى: {فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ} ولم يقل فتبع الشيطان فإن فى هذا الترتيب عبرة بالغة. أي أنه لتأصل الغواية فى قلبه أصبح متبوعا والشيطان له تابعا.

ثم انتقل بعد ذلك إلى قوله تعالى: {فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} وكيف جاء التعبير بقوله: {فَكَانَ} التى تفيد الكينونة والاستقرار كأن هذا الذى ضل استقر فى الغواية والضلال. ثم انتقل إلى الآية التى تليها وتأملها بعد أن انسلاخ هذا من الآيات وبعد أن صار الشيطان له تابعا. وبعدما استقر فى الغواية. تثبت المشيئة الإلهية بعد ذلك إلى أن الله تعالى لو

عاقبة الإعراض عن ذكر الله

شاء لرفعه بالآيات. ولكن الذى حدث أنه لم يكن عنده أي استعداد لأن يرتفع بالآيات..

ورضى بالحياة الدنيا واطمأن بها. وركن إليها. ومال إلى زينتها وغرورها. دون أن يكون له ضمير يؤنبه. أو نفس تلومه.

فبين غيبة الضمير وحب الدنيا نامت النفس على هدهدة الشهوات. وذهب وازع الخوف من الله. وما أجمل هذا التركيب القرآنى فى أعلى طبقاته عندما يعبر عن الدنيا بأنها الأرض فيقول: {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} دون أن يقول ولكنه أخلد إلى الدنيا. وصدق القائل:

تالله لو عاش الفتى فى دهره :: ألقا من الأعوام مالك أمره
لا يعتريه السقم فيها مرة :: كلا ولا ترد الهموم بباله
متلذا فيها بكل نفيسة :: متنعما فيها بنعمى عصره
ما كان هذا كله فى أن يفى :: بمبيت أول ليلة فى قبره
ثم انظر: كيف استحكمت حلقات الغواية حول هذا الذى سقط وهوى وكيف أحاطت به من كل جانب؟ إنه بعد أن مال إلى الأرض مطمئنا لها قلبه. اتبع هواه، وما أدراك ما الهوى؟ إنه نوازع النفس إلى مسالك الشر. وهوى النفس قد أعيا الطبيب المداوى. ومن ثم فالقرآن الكريم يحذر من اتباع الهوى. ومن طاعة من اتبع الهوى.

قال تعالى فى حق المشركين: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ} [النجم: ٢٣].

وقال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [ص: ٢٦].

وقد قرن الله عز وجل بين غفلة القلب عن ذكر الله وبين إتباع الهوى فقال تعالى: {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

فُرطًا { [الكهف: ٢٨].

ومن هذه المقدمات... آتيناه آياتنا فانسلخ منها.... فأتبعه الشيطان.... فكان من الغاوين.... ولكنه أخذ إلى الأرض.... واتبع هواه....

وإذا اجتمعت هذه المقدمات فى شخص تسلمه إلى نتيجة حتمية. فما عسى أن تكون هذه النتيجة؟ إنها الحال العجيبة التى صورها الله عز وجل فى هذا المثل..

فقال جل شأنه: {مَثَلُ الْكَلْبِ} [الأعراف: ١٧٦] ولكن كالكلب فى أي حال؟ إن الكلب قد يكون أميناً لا يعرف الخيانة لسيده. ولكن هذا وأمثاله خانوا الله عز وجل. والكلب قد يؤدى دوره من حراسة دون أن يفرط فيما نيظ به إليه ولكن هذا كلف بعمل فخان ما كلف به.

ومن ثم: وصف الله أهل النار بأنهم أضل من الأنعام لأنهم عطلوا الانتفاع بحواسهم وقلوبهم التى خلقها الله لهم وأنعم عليهم.. وهكذا طلاب الدنيا والساعون لها المكذبون بآيات الله الغافلون المعرضون عن ذكره..

هم دائماً فى تعب. فى ليلهم ونهارهم. وصحتهم ومرضهم وغناهم وفقيرهم.

إن أعطوا فى الدنيا طلبوا المزيد. وإن لم يعطوا منها حزنوا وابتأسوا وغزا الهم والنصب والوصب نفوسهم. لو كان لأحدهم واديان من مال لابتغى ثالثاً لأن جوفه لا يملؤه إلا التراب.

ومن هنا جاءت النصيحة الغالية التى يوجهها العلى العظيم فى حديثه القدسى الجليل:

ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك. لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع .

أخى المسلم: إذا كنت معافى فى بدنك. آمنا فى سربك. عندك قوت يومك. فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها.

النفس تجزع أن تكون فقيرة :: والفقر خير من غنى يطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت :: فجميع ما فى الأرض لا يكفيها
ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :إن هذه الدنيا حلوة خضرة
وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء
رواه البخارى ومسلم.

ويقول: من أخذ المال بسخاوة نفس بورك له فيه. ومن أخذه باستشراف
نفس لم يبارك له فيه. وكان كالذى يأكل ولا يشبع رواه مسلم.

إذا كان ميزان الناس مبنيا على كثرة المال والعرض فهو ميزان
مختل ومعيار معكوس لا يمكن أن تقوم به قيم ولا ترجح به كفة.

ثم إذا نظر الناس إلى المال وحده وجعلوه المعيار لقيم الناس فهذا
الحكم غير صحيح لأن المعيار الحق فى تقوى الله عز وجل وإن كان
الإنسان فقيرا.

فقد مر رجل غنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الرسول لأصحابه: ما تقولون فى هذا؟ .. قالوا: يا رسول الله هو حرى
إذا شفع أن يشفع. وإذا خطب أن ينكح. وإذا قال أن يستمع إليه. ثم
مر رجل فقير معروف بتقواه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم
لأصحابه: وما تقولون فى هذا؟ .. قالوا: يا رسول الله هو حرى إذا
شفع ألا يشفع. وإذا خطب ألا ينكح. وإذا قال ألا يستمع إليه. فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم :والله إن هذا خير من ملء الأرض من
مثل هذا رواه البخارى ومسلم.

ما أعدل قولك يا رسول الله: يا صاحب الخلق العظيم. ويا صاحب القلب الرحيم. يا رافع لواء الوحدانية عاليا. شتان بين قول الحق وبين نظرة الناس بعضهم إلى بعض. فالمعروف عند الناس والمشهور لديهم أن الدنيا إذا أقبلت على أحد خلعت عليه محاسن غيره. فإذا أعرضت عنه سلّبت محاسن نفسه.

يذل غنى النفس إن قل ماله.. ويغنى غنى المال وهو ذليل وهذه عبر فى ساحة الإسلام عرفناها. والأمثال والعبر والقصص ليست قاصرة على أحد بعينه. وإنما الحكم شامل وعام لكل من توافرت فيه هذه الشخصيات ولذلك ختمت الآية بقوله تعالى: {فَأَقْصَصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٦].

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: البر لا يبلى. والذنوب لا ينسى. والديان لا يموت. اعمل ما شئت كما تدين تدان .
توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

٢٠ - شكر المنعم

الحمد لله الذى أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة. وأكرم بفضلته ومحبتة كل من نظم عمله فأحكمه وأتقنه. كذلك يجزى الله الشاكرين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر الناس بشكره على نعمه. ووعد الشاكرين لأنعمه بالبركة والزيادة فى الرزق والفضل والثواب. وأوعد الجاحدين لنعمه بالسحق والدمار وشدة العذاب. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليفة إمام المتقين وسيد الشاكرين وصفوة خلق الله أجمعين. اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الذين أدركوا نعم الله فشكروا الله عليها شكراً يحبه ويرضاه. ففازوا بما أعده الله من الجزاء للأتقياء الشاكرين.

أما بعد.. فيا عباد الله... قال الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: {فَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ شَاكِرِينَ إِلَى الْبَقَرَةِ: ١٥٢}.

أيها المؤمن. إذا أمدى إليك إنسان معروفاً ثم أمرك بأمر فماذا يكون موقفك من هذا الإنسان؟ الجواب الحق: أنك ستحاول بقدر استطاعتك أن تنفذ أمره. فما بالك بالإله الخالق المنعم البارئ الذى غمرك بفضلته ونعمه. فكل ما تشعر به من نعم فى جسمك وصحتك ورزقك وحياتك وأولادك ووطنك فهو من الله.

ونعم الإله عليك كثيرة لا تحصى. قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل: ١٨].

هذا الإله الذى غمرنا بنعمه الظاهرة والباطنة يأمرنا فى هذه الآية الكريمة أن نذكره ونتذكر نعمه علينا وأن نشكره عليها. ونهانا عن الكفر بنعمه وحذرنا من جحودنا لها. ثم بين لنا أن الشاكر هو

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

الذى ينتفع وحده بفوائد شكره وبين أنه غنى عن شكر الشاكرين.

وقال سبحانه: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} [الزمر: ٧].

ووعده الشاكرين بالزيادة فى أرزاقهم وأوعده الجاحدين لنعمه بشدة العذاب قال تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].

وحين وصى الإنسان بالإحسان إلى والديه أمره بشكره فقال: {إِنْ أَشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذِكْرُ اللَّهِ لَفَعَلْتُ لَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْتُ لَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْتُ لَوْلَا ذَلِكَ لَفَعَلْتُ} [لقمان: ١٤]. وهكذا نرى القرآن الكريم يحثنا على الشكر ويرغبنا فيه.

فما معنى الشكر الذى يريده الله عز وجل؟ إن الناس يقولون بالسنتهم نشكرك يارب. والله عز وجل يقول: {وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ} [سبأ: ١٣].

إذا يكون المقصود بالشكر شيئاً آخر غير النطق باللسان والمعنى الحقيقى هو أن نوجه كل نعمة أنعم الله بها علينا إلى ما خلقنا الله لأجله ابتغاء رحمة الله ورضوانه وهذا المعنى هو المراد بقول الله {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} [القصص: ٧٧].

أي اطلب بكل نعمة من نعم الله عليك ثواب الدار الآخرة.

فإذا أنعم الله عليك بنعمة المال وأردت أن تشكره عليها. فمعنى الشكر أن تؤدى زكاة مالك وأن تنفق من الفائض منه بعد حاجة أسرتك فى وجوه البر والخير ومعاونة الفقراء والمحتاجين وتنفيس الكريات عن المكروبين.

أما من يمتنع عن أداء زكاة ماله أو يبخل به على الفقراء أو ينفقه فيما حرم الله كالزنا والخمر والمخدرات والقمار وغير ذلك من

شكر المنعم

المحرمات فهو من الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الجاحدون...

وإذا أنعم الله عليك بنعمة العقل وأردت أن تشكره عليها فاستعمل عقلك فى التفكير فيما يصلح شأنك وشأن وطنك وفى آيات الله فى الكائنات لتعرف كمال قدرته..

أما الذين يتلفون عقولهم بتناول المخدرات السامة الفتاكة بالعقول كالخمر والحشيش والذين يفكرون بعقولهم فى إيذاء الناس وإلحاق الضرر بهم فهم من الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الجاحدون..

وإذا أنعم الله عليك بنعمة النسل وأردت أن تشكره عليها فعليك أن تربي أولادك تربية دينية قويمه وأن تنشأهم نشأة أخلاقية كريمة وأن تجعل هذه التربية الدينية بمثابة تحصين لهم من مساوئ الأشرار المفسدين حتى يصلوا إلى سن الرجولة بالتوجيه والرعاية فإذا كبروا لا يكونون فريسة ومرتعا خصباً لعقائد الملحدين وأفكار المضللين.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: يولد الإنسان على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه رواه البخارى ومسلم.

وكذلك الذين يتركون أولادهم بلا تربية ولا رعاية ولا تأديب فنراهم يجنون عاقبة الإهمال ومخالفة الشرع فى الدنيا وسوف يسألون بين يدى الله يوم القيامة.

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الجاه وأردت أن تشكر الله على هذه النعمة فعليك أن تخفض جناحك لمن حولك من المستضعفين وأن تستغل جاهك فى قضاء حوائج الناس ابتغاء وجه الله بحيث تكون كعبة آمالهم ومحط رحالهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: خير الناس أنفعهم للناس رواه البخارى ومسلم..

وقوله: خيركم خيركم لأهله رواه البخارى ومسلم.

وقوله: خيركم من قضيت حوائج الناس على يده رواه البخارى ومسلم.

ويجب عليك أن تقربهم منك وأن تحسن لقاءهم. أما الذين يغترون بالجاه وتمتلئ قلوبهم ونفوسهم بالكبر والغرور والزهو ويرفعون على الناس ويعيشون لأنفسهم فهؤلاء من الجاحدين لنعم الله وما هم بشاكرين..

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الصحة وأردت أن تشكره عليها فعليك أن تستعين بها على طاعة الله وعبادته والسعى على رزقك من طريق حلال. وتغيث الملهوف وتنصر المظلوم وتأخذ بيد الضعيف وتخدم وطنك بالدفاع عنه والعمل على رفع مستواه والجهاد فى سبيل الله والوطن. أما الذين يضيعون صحتهم وقوتهم فى إيذاء الناس والإضرار بهم ويحجمون عن خدمتهم ويمتنعون عن معاونة المنكوبين ونصرة المظلومين وإغاثة الملهوفين فهؤلاء الجاحدون لنعم الله وما هم بشاكرين.

وإذا أردت أن تشكر الله على نعمته عليك بوجودك فى الدنيا فعليك أن تتفانى فى عبادة الله فقد خلقك الله لأجلها قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦].

وأن تستعمل كل جوارحك فيما يرضى الله عز وجل...

أما الذين يؤذون الناس بالسنتهم بالغيبة والنميمة أو بأعينهم ليتتبعوا عوراتهم أو بأى عضو من أعضائهم فهؤلاء هم الجاحدون لنعمة الله وما هم بشاكرين.

فاتقوا الله أيها المؤمنون واشكروا الله على نعمه امتثالاً لأمره كى تفوزوا بما أعده الله من حسن الجزاء للشاكرين. واحذروا كفران

النعمة كى تنجوا من الوعيد الذى أعده الله للجاحدين.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه: لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فىم أفناه. وعن شبابه فىم أبلاه. وعن ماله من أين اكتسبه وفىم أنفق. وعن علمه ماذا عمل به رواه البخارى.

وقال صلى الله عليه وسلم: البر لا يبلى. والذنب لا ينسى. والديان لا يموت. إعمل ما شئت كما تدين تدان ..

* * *

٢١ - آداب الصبئة

الحمد لله الذى جعل الأخلاق الفاضلة للمؤمنين شعارا. وجعل طريقها للراغبين فى المجد مثابة ومنارا. وجعل التخلق بأهدافها نبلا وشرفا وكرامة وفخرا....

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل الأخلاق الفاضلة فى أية أمة سببا فى بقائها وعزها ومجدها. كما جعل ضياع الأخلاق فى أية أمة سببا فى ضياعها وشقائها واضمحلالها. لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه وخليله شهد له ربه فقال فى كتابه الكريم: {وَإِنَّكَ لَعَلَّيْ خُلِقْتَ عَظِيمٌ} [القلم: ٤].

اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الذين تخلقوا بأخلاقه وتأدبوا بآدابه ففازوا بالفضل والرضوان والنعيم المقيم...

أما بعد...

فيا عباد الله... قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ١١٥].

أيها المؤمنون.... إن سبيل المؤمنين هو الأخلاق الفاضلة التى هى مصدر الخير كله فمن عرف هذا وسلك سبيلا غيره مندفعاً وراء شهواته وأهوائه فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير..

فضل الألفة والأخوة:

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض

والتحاسد والتدابير.

وحسن الخلق مدح الله عز وجل به نبيه عليه الصلاة والسلام إذ قال: وإنك لعلی خلق عظيم وقال صلى الله عليه وسلم: أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق قال أبو هريرة: يا رسول الله وما حسن الخلق؟ تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك. وتعطى من حرمك رواه البخارى.

وقد ورد فى الثناء على النفس المطمئنة إذا كانت الرابطة هى التقوى والدين والمحبة فى الله قال تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة: {لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَئِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ} [الأنفال: ٦٣].

ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} [آل عمران: ١٠٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: إن أقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويألفون رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: فى الثناء على الأخوة فى الدين من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه رواه البخارى ومسلم.

المتحابون فى الله:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ينصب لطائفة من الناس

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

كراسى يوم القيامة حول العرش وجوهم كالقمر ليلة البدر يفرز الناس وهم لا يفرعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقل من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال هم المتحابون فى الله رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما تحابا اثنان فى الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه رواه البخارى ومسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى رواه أحمد.

وقال صلى الله عليه وسلم: سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل. وشاب نشأ فى عبادة ربه. ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه. ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه. ورجل دعت امرأته ذات حسب وجهال فقال إنى أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه رواه مسلم.

قال صلى الله عليه وسلم: ما زار رجل رجلا فى الله شوقا إليه ورغبة فى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة رواه الترمذى.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن رجلا زار أخاه فى الله فأرصد الله له ملكا سألته إلى أين؟ قال: أريد أن أزور أخى فلانا فقال: حاجة لك عنده؟ قال: لا. قال: لقراءة بينك وبينه؟ قال: لا. قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا. قال: فبم؟ قال: أحبه فى الله. قال: فإن الله أرسلنى إليك لأخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة رواه البخارى.

بيان الصفات الواجبة فيمن تختار صحبته:
واعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان. قال صلى الله عليه وسلم

:المراء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل رواه مسلم.

فإذا أردت أن تتخذ لك صديقاً فانظر في أمره فان كان على خلق حسن فاتخذة خليلاً وإذا كان ذا خلق سيئ فابتعد عنه ولا تصحبه. وينبغي أن تتوفر تلك الخصال فيمن تؤثر صحبته (أن يكون عاقلاً. حسن الخلق. غير فاسق. وأن لا يكون مبتدعاً. ولا حريصاً على الدنيا)

ولا خير في صحبة الأحمق قال الإمام على رضي الله عنه: -

لا تصحب أخا الجهل :: وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى :: حليماً حين آخاه
قال حكيم: لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرّك ويستتر عيبك
ويكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب..

وقال الإمام على رضي الله عنه:

إن أخاك الحق من كان معك :: ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك :: شئت فيك شمله ليجمعك
وقال بعض العلماء: -

لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئاً في أمر دينك
فينفعك. ورجل تعلمه شيئاً في أمر دينه فيقبل منك. والثالث تهرب
منه.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: -

لا تصحب خمسة: الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل
السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب. والأحمق لست منه
على شيء يريد أن ينفعك فيضرك. والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما
تكون إليه. والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة. والفاسق فإنه يبعك

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

بأكلة. فإن لم يجد رفيقا يؤاخيهِ ويستفيد به فالوحدة خير من جليس
السوء

قال أبو ذر رضى الله عنه: - الوحدة خير من الجليس السوء
والجليس الصالح خير من الوحدة..

قال لقمان: - يا بنى جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب
لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض بالماء..

الدعاء للأخ فى حياته وبعد مماته:

الدعاء للأخ فى حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله
فتدعو له كما تدعوا لنفسك ولا تفرق بين نفسك و بينه فإن دعاءك له
دعاء لنفسك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا دعا الرجل لأخيه. بظهر
الغيب قال الملك ولك مثل ذلك رواه البخارى ومسلم.. ويقول عليه
الصلاة والسلام: مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شىء ينتظر
دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب رواه مسلم.

وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل
الجبال.

وقال بعض السلف: - الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء
فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور فيقول: - هذه هدية لك
من عند أخيك فلان أو من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحى
بالهدية.

الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت وبعد الموت
مع أصدقائه وأولاده فإن الحب إنما يراد للأخرة قال عليه الصلاة

والسلام: في السبعة الذين سيظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه رواه البخارى.

ولذلك روى أنه صلى الله عليه وسلم أكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن كرم العهد من الدين .
ومن الوفاء أن لا تتغير حالة التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه فيا أيها الأبناء: - نشؤوا أبناءكم على الأخلاق الفاضلة وحصنوهم من الانحراف كما تحصونهم من الأمراض ووجهوهم إلى اختيار الأصدقاء الأخيار لتدوم الأخلاق الفاضلة شعارا لهم واعلموا أنكم مسؤولون عن تربيتهم ورعايتهم وتوجيههم فإن فرطتم وانحرف الأولاد عن الخلق الفاضل فأنتم المسؤولون عن ذلك.

قال صلى الله عليه وسلم: إنها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق رواه البخارى.

وقد جعل النبي الدين والخلق الفاضل في اختيار الأزواج أساسا حيث قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير رواه البخارى.

فاتقوا الله أيها المؤمنون واسلكوا سبيل المؤمنين كي تحشروا معهم لأن المرء يحشر مع من أحب وتخلقوا بأخلاق نبيكم تحققوا المجد لأمتكم فإن الأخلاق الفاضلة هي الركن الوحيد الذى يبني عليه مجد الأمم وكمالها:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت :: فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
صلاح أمرك للأخلاق مرجعه :: فقوم النفس بالأخلاق تستقم
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم :: فأقم عليهم مأتما وعويلا
يقول صلوات الله وسلامه عليه: أنا زعيم بيت في الجنة لمن حسن

خلقه رواه البخارى.

وقال عليه الصلاة والسلام: وخالق الناس بخلق حسن رواه البخارى.

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم. وإن الله يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطى الدين إلا لمن أحب رواه البخارى.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٢٢ - فضل شهر رجب

الحمد لله الذى جعل السنة اثنتى عشر شهرا منها أربعة حرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى أفرد الله وحده وجعله موسما للخيرات ومغنما للسعادة وغنيمة للصادقين.

فسبحانه من إله تفرد بالوحدانية فى ذاته وصفاته وأفعاله ليس كمثله شىء وهو السميع البصير..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المولى القدير.. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بين لأمته ما يصلح أحوالها وأسس قواعد الدين فهو الشفيع فيمن صلى عليه ومن أكثر من الصلاة عليه فاز بدار السلام صلى الله عليه وعلى آله السادة الكرام..

أما بعد...

قال تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الَّذِينَ الْفَسِمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٣٦].

اعلموا إخوانى وفقنى الله وإياكم لطاعته أن الله جل ذكره وتقديست أسماؤه فضل الأوقات بعضها على بعض لحكم كثيرة منها: أن سائر الأمم كان لهم عمر طويل وعمل كثير فأراد الله تعالى أن تكون أمة رسوله وخاتم أنبيائه سابقة عليهم فأعطاهم أياما وليالى لها قدرها لتسبق إلى الخيرات..

وقد قال جل وعلا:

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا } [التوبة: ٣٦].

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

والمراد والله أعلم أن حساب الشهور التى وجبت فيها الزكاة اثنا عشر شهرا فى كتاب الله أى اللوح المحفوظ: {يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} [التوبة: ٣٦]، وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب لا يحل فيهن القتل والغارة..

{ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْمُ} [التوبة: ٣٦]، ذلك العدد والحساب الصواب لوجوب الزكاة والصدقات: {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة: ٣٦] بالغارة والقتل فى هذه الأشهر الأربعة الحرم {وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً} [التوبة: ٣٦].

أى: كما يحاربونكم جميعا: {وَأَعْلَمُوا} [التوبة: ٣٦]، معاشر المجاهدين: {أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} [التوبة: ٣٦]، أى: ناصر المتقين الذين اتقوا الجهاد فى هذه الأشهر الأربعة الحرم. وهذا كان فى ابتداء الإسلام ثم نسخ تحريم القتال فى الأشهر الحرم..

وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} [البقرة:

[٢١٧]

وكان المشركون فى الجاهلية يعظمون حرمة رجب ويكفون عن القتال فيه فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم وخرجت سارية إلى بطن نخل قبيل وقعة بدر بشهرين حيث أن قافلة لقريش هناك وقد أمر الرسول بأخذها وكان ذلك فى أواخر جمادى الثانية واستهل عليهم شهر رجب ولم يعلموا فقاتلوا المشركين فى أول يوم من رجب فبعث المشركون إلى رسول الله يعيرون المسلمين بذلك ويقولون: إنكم قد استحللتم القتال فى الشهر الحرام فأنزل الله تبارك وتعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ} [البقرة: ٢١٧].

أى: يسألونك عن القتال فى رجب قل للمشركين صدكم الناس عن سبيل الله وإخراجكم أهل الحرم بكثرة الأذى أكبر إثما عند الله

من القتال فى رجب.

كانوا فى الجاهلية يكفون عن القتال فى شهر رجب فكيف لا يحفظ المسلمون ألسنتهم ويكفون عن الخوض فى الأعراض فإن اللسان فى بعض المواضع أحد من السيف القاطع.

ولهذا قال سفيان الثوري: (لأن ترمى إنسانا بسهم أهون من أن ترميه بلسانك فإن السهم قد يخطئه واللسان لا يخطئه). وقد قيل:

احفظ لسانك واستعد من شره :: إن اللسان هو العدو الذابح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس :: وزنا يلوح به الصواب اللائح
قال الحكماء فى الاستنباط المليح للعدد أربعة:

الأشهر الحرم أربعة: (ذو القعدة. وذو الحجة. والمحرم. ورجب).

وأخير الملائكة أربعة: (جبريل. وميكائيل. وإسرافيل. وعزرائيل).

وأفضل الكتب أربعة: (التوراة. والإنجيل. والزبور. والفرقان).

وأعضاء الضوء أربعة: (الوجه. واليدان. والرأس. والرجلان).

وكلمات التسبيح أربعة: (سبحان الله. والحمد لله. ولا إله إلا الله. والله أكبر).

والحساب أربع: (آحاد. وعشرات. ومئات. وألوف).

والأوقات أربعة: (الساعة. واليوم. والشهر. والسنة).

وفصول السنة أربعة: (الربيع. والصيف. والخريف.

والشتاء).

والطبائع أربعة: (الحرارة. والبرودة. والرطوبة. واليبوسة).
والخلفاء الراشدون أربعة: (أبو بكر. وعمر. وعثمان. وعلى).
وزين الله الأنبياء بأربعة: (الخليل. والكليم. والروح. والحبيب).
وزين السماء بأربعة: (العرش. والكرسي. والجنة. والملائكة).
وزين الأرض بأربعة: (الأنبياء. والعلماء. والشهداء. والأولياء).
وزين النفوس بأربعة: (الوضوء. والصلاة. والصوم. والحج).
وزين القلب بأربعة: (المعرفة. والعلم. والعقل. والتوحيد).
وزين الأعضاء بأربع: (العين. والأذن. واليد. والرجل).

ويرسل الله عز وجل عند موت الإنسان أربعة يقدمون على رأس قبره ينادى أحدهم ويقول: انقضت الآجال وانقطعت الآمال. وينادى الثانى ويقول: ذهبت الأموال وبقيت الأعمال. وينادى الثالث ويقول: زال الاشتغال وبقي الوبال. وينادى الرابع ويقول: طوبى لك إن كان مطعمك من الحلال وكنت مشغولا بخدمة ذى الجلال وقيل: إن رجب اسم لنهر فى الجنة مأؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل لا يشرب منه إلا من صام فى شهر رجب.

قال النبى صلى الله عليه وسلم: رجب شهر الله وشعبان شهرى ورمضان شهر أمتى) رواه مسلم.

وقيل: من صام أياما من شهر رجب تقربا إلى الله عز وجل لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه. واستوجب رضوان الله. وجعل الله بينه وبين النار حجابا. وعوفى من البلى. رواه مسلم.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل شيء زكاة وزكاة الجسد

الصوم رواه الترمذي.

فيا أيها المؤمنون: -

إن أردتم الفوز والنجاة والرضا والعفو والمغفرة وستر العيوب وتفريج الكروب فعليكم بطاعة الله عز وجل والتقرب إليه بما يرضيه عنكم وخاصة بكثرة الصيام والقيام بالليل والناس نيام لتذكروا الواحد الديان وتندموا على ما سلف من الذنوب والآثام واعلموا أن الله عز وجل فى أيامه نفحات فاغتنموها فها هو شهر رجب ويأتى بعده شعبان ثم رمضان بما فيه من العطاء الربانى وغير ذلك من النفحات الإلهية التى من الله علينا بها رحمة وكرما وقد روى أن أربعة تخفف عذاب القبر: قراءة القرآن فى كل زمان. وإكرام اليتيم فى كل مكان. وصوم أيام البيض وخاصة فى رجب وشعبان. والصلاة فى جوف الليل تنور القلب وتورث رضا الرحمن .

وقد ورد: -إذا صام أحدكم من الشهر ثلاثا فليصم ثالث عشرة ورابع عشرة وخامس عشرة رواه البخارى ومسلم.

والحسنة بعشر أمثالها فيكون اليوم بعشرة أيام أي أنه صام الشهر كله ثوابا من عند الله.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس ويقول: -

تعرض الأعمال على الله يوم الاثنين والخميس وأحب أن يعرض عملى وأنا صائم رواه البخارى ومسلم.

فيا أيها المؤمنون كم من إنسان أدرك رجب ولم يدرك شعبان وكم من إنسان أدركهما ولم يدرك رمضان فلا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ. ولا قدر الصحة إلا المرضى ولا قدر الغنى إلا الفقراء ولا

قدر الحياة إلا الموتى.

فعلكم بالتوبة وكثرة الصيام فى شهر رجب والندم على ما سلف
واحرصوا على العمل الصالح قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله.

فبادروا بالأعمال الصالحة. هل تنتظرون إلا فقرا منسيا. أو غنى
مطغيا. أو مرضا مفسدا. أو هرما مفندا. أو الدجال فشر غائب
ينتظر. أو الساعة والساعة أدهى وأمر

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك
الساعة.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون...

* * *

٢٣ - الإسراء والمعراج

الحمد لله على نعمه التي لا تستطيع الخلائق لها حصرا. وأستزيده من فضله دنيا وأخرى وأشكره والشكر بالزيادة أحرى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا ذخرا وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. نزه الله عمله عن الضلال والغواية فقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم: ٢]. ونزه نطقه عن الهوى... فقال: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: ٣]. ونزه فؤاده عن الكذب... فقال: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: ١١]. ونزه بصره عن الزيغ والطغيان.. فقال: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم: ١٧].

أكد الله سبحانه وتعالى ذلك كله وأقسم عليه ولا ريب أنه ثناء من رب العزة على رسوله صلى الله عليه وسلم اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. أما بعد...

فيا عباد الله... قال الله عز وجل في كتابه الكريم: {سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْنَانِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١].

عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتى جبريل عليه السلام بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة في الحلقة التي يربط فيها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له: من أنت؟ قال جبريل، قال: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. ففتح لنا فإذا

أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيّل له: من أنت؟ قال جبريل، قیل: ومن معك؟ قال: محمد قیل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبا بنا ودعوا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيّل: من أنت؟ قال: جبريل، قیل: ومن معك؟ قال: محمد، قیل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير..

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيّل من أنت؟ قال: جبريل، فقيّل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيّل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير..

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيّل من أنت؟ قال جبريل فقيّل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيّل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيّل: من أنت؟ قال: جبريل، قیل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيّل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم: ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيّل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيّل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيّل: قد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام وإذا هو مستند إلى البيت المعمور فرحب بى ودعا لى بخير. ثم ذهبت إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالغلال..

فلما غشيها من أمر الله ما غشيها فما أحد من خلق الله يستطيع

أن يصفها من حسناتها. قال: فأوحى الله إلى ما أوحى وقد فرض على في كل يوم خمسين صلاة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى قال ما فرض الله على أمتك؟ قلت: فرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك وإنى قد خبرت بنى إسرائيل.

قال: فرجعت إلى ربي فقلت: ربي خفف عن أمتي فحط عني خمسا. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فعلت؟ فقلت حط عني خمسا فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا حتى قُـال:

يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة الصلاة بعشر فتلك خمس في العمل وخمسون في الأجر والثواب، ما يبذل القول لدى. ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرة ومن هم بسيئة ولم يعملها لا يكتب عليه شيء فإن عملها كتبت سيئة واحدة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى وأخبرته فقال: ارجع إلى ربك واسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت . ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء إلى أن الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي وروحه عليه الصلاة والسلام وفي رواية ابن مسعود: ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين وهم ما بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفنا ننظر من يؤمنا فأخذ جبريل بيدي فقدمني فصليت بهم. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي ، فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. (رواه البخاري ومسلم).

وللحديث بقية نكملة إن شاء الله فى خطبنا القادمة...

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم

* * *

٢٤ - بعض المرائى التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلة الإسراء والمعراج

الحمد لله على نعمه التى لا تستطيع الخلائق لها حصرا و
أستزيده من فضله دنيا وأخرى وأشكره والشكر بالزيادة، أخرى..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا زخرا
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فقد:

١ - نزه الله علمه عن الضلال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ}.

٢ - وعلمه عن الغواية: {وَمَا غَوَى}.

٣ - ونطقه عن الهوى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى}.

٤ - وفؤاده عن التكذيب: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}.

٥ - وبصره عن الزيغ: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ}.

٦ - وعن الطغيان: {وَمَا طَغَى} [الآيات من سورة النجم].

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته
إلى يوم الدين.

أما بعد فيا عباد الله: إن موضوع خطبة الجمعة اليوم بعض
المشاهد التى شاهدها رسول الله ليلة الإسراء والمعراج:

(١) مر رسول الله على قوم يزرعون ويحصدون فى كل يوم

كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل عليه السلام: ما هذا؟

قال: هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف الحسنه إلى

سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير

الرازقين.

(٢) ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال: ما هذا يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين تتأقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة

(٣) ثم أتى على قوم على أقبلاهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال: ما هؤلاء؟

قال: هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد.

(٤) ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم نئى خبيث فجعلوا يأكلون من النئى الخبيث ويدعون النضيج، فقال: ما هؤلاء يا جبريل؟

قال: جبريل، هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح و المرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى تصبح. رواه البخارى ومسلم.

(٥) ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها..

(٦) ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء الفتنة.

(٧) ثم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نهرا من دم يفور كفوران المراحل وعلى حافتى النهر ملائكة بأيديهم نار كلما طلع طالع قذفوه بها فتقع فى فيه فيشتعل إلى أسفل ذلك النهر.. فلما سأل رسول الله عنهم قيل له أولئك الذين أكلوا الربا فهم يعذبون بها حتى يصيروا إلى النار.

(٨) ثم أتى على واد توجد فيه ريح طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت الجنة تقول: رب آتني ما وعدتني فقد كثرت غرقي واستبرقي وحريري وسندسي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وأباريقي وعسلي ومائي ولبنى وخمري. قال: لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بى وبرسلى وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا ولم يتخذ من دونى أندادا ومن خشينى فهو آمن ومن سألنى أعطيته ومن أقرضنى جازيته ومن توكل على كفيته إننى أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد. قد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين. قالت قد رضيت.

(٩) ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا نتنة. فقال ما هذا يا جبريل؟

قال: هذا صوت جهنم تقول: رب آتني ما وعدتني فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى وغساقى وعذابى وقد اشتد حرى. قال: لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة وكل جبار عنيد لا يؤمن بيوم الحساب قالت: قد رضيت.

(١٠) وانطلق الرسول والأمين جبريل فشم الرسول فى مسراه

اللائى الجوهريه فى الخطب المنبرية

رائحة طيبة فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها. بينما كانت تمشط بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت: بسم الله تعس فرعون. فسألته ابنة فرعون أولك رب غير أبى؟ قالت: نعم. قالت: أو أخبر بذلك أبى؟ قالت: نعم. فأخبرته. فدعاها وسألها: أولك رب غيرى؟ قالت: نعم ربهى وربك الله. وكان للمرأة زوج وثلاثة أولاد أصغرهم رضيع فأحضرهم جميعا وطلب من المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا. فقال: إنى قاتلكما.

فقالت: إن قتلتننا فاجعلنا فى مكان واحد. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت بزيت ثم أمر بهم فألقوا فيها واحدا بعد واحد حتى بلغ الرضيع وكانت أمه تحمله نظرت إلى الرضيع وتلكأت شفقة وحنانا وعطفا والدموع تنهمر على خديها فإذا بالرضيع ينطقه الله عز وجل ويقول لأمه: تقدمى ولا تقاعسى فإنك على الحق فكان هذا الرضيع ممن تكلموا فى المهد. إن الشهداء لهم رائحة طيبة زكية تستمر حتى يوم القيامة وهم أحياء عند ربهم يرزقون فى رياض الجنة. وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقيت الخليل إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . أخوة الإسلام والإيمان سنكمل فى اللقاء القادم باقى المشاهد. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم رواه البخارى ومسلم.

* * *

٢٥ - بقية المرائى التى رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلة الإسراء والمعراج

الحمد لله الكبير المتعال. ذى العظمة والجلال. لا رب غيره ولا معبود سواه. أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره. وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. وأسأله العافية من كل داء والنجاة من كل بلاء. إنه سميع قريب مجيب الدعاء. وأشهد أن سيدنا وحبیبنا وشفیعنا وعظیمنا سيد المرسلین وقائد المجاهدين صلى الله عليه وسلم..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لنا زخرا.

أما بعد.. فإن موضوع خطبة الجمعة اليوم.. هو استكمال المشاهد التى شاهدها رسول الله ليلة الإسراء والمعراج. فقد رأى على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقال: يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده شيء والمقترض لا يقترض إلا من حاجة.

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة من درة بيضاء وإذا فيها قباب اللؤلؤ فقال: يا جبريل إنهم يسألوننى عن الجنة فقال: أخبرهم أنها قيعان وأن ترابها المسك. وسمع الرسول صلى الله عليه وسلم صوتا خفيا فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا صوت بلال المؤذن. ثم سار فإذا هو بأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وبينما هو يسير إذا بنهر على حافته قباب الدر المجوف وإذا طينه مسك أزر فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر.

ثم عرضت عليه جهنم نستعيز بالله منها فإذا فيها غضب الله

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

وزجره ونقمته لو طرحت فيها الحجارة لأحرقتها ولو طرح فيها الحديد لأذابته وإذا فيها قوم يأكلون الجيف فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس...

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم مالك خازن النار فإذا هو عابس يعرف الغضب فى وجهه فبدأ النبى بالسلام.

ثم رفع الرسول إلى سدره المنتهى إلى جنة المأوى إذ يغشى السدر ما يغشى ما زاع البصر وما طغى عند ذلك رأى من آيات ربه الكبرى نظر بالنور الذى قواه من غير إدراك ولا إحاطة فردا صمدا لا فى شىء ولا من شىء ولا على شىء ولا قائما بشىء ليس كمثله شىء من غير أين ولا كيف فخر النبى ساجدا وألقى بالتحيات المباركات فقال الله عز وجل لحبيبه: لبيك تكلم وسل فقال عليه الصلاة والسلام: اتخذت إبراهيم خليلا. وكلمت موسى تكليما. وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد. وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وسخرت له الجن والشياطين وسخرت له الرياح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب. وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذنك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليها سبيل رواه البخارى ومسلم.

فقال له سبحانه وتعالى:

(قد اتخذتك حبيبا وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا. وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معى. وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس. وجعلت أمتك وسطا. وجعلت أمتك هم الأولون والآخرين. وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى. وجعلتك آخر النبيين بعثا وأولهم يقضى له. وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام.

بقية المرائى التى رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج

والهجرة. والجهاد. والصلاة. والصدقة. والصوم. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجعلتك سيد المرسلين. وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. ما أعظم هذا التكريم لرسولنا وحبيبنا ومصطفانا محمد صلى الله عليه وسلم. ومع الصباح أخبر قومه بأنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

فكان القوم بين مصدق ومكذب وكان المثل الأعلى فى التصديق هو سيدنا أبو بكر رضى الله عنه حينما أعلن فى غير تردد ولا فتور لأن كان قاله فقد صدق إنه ليخبرنى أن الخبر يأتى من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه هذا الإيمان المطلق بالرسول الذى جعل الرسول يطلق على أبى بكر رضوان الله عليه (الصديق)...

ثم طلب القوم من رسول الله أن يصف لهم بيت المقدس ومنهم من كان قد سافر إليه. فوصفه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت العطية والمنحة والفريضة من الله عز وجل لرسوله وأمتة أن فرض الصلاة وجعلها الصلة بينه وبين عبده رواه البخارى ومسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثرُوا من الدعاء رواه مسلم.

... أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم...

* * *

٢٦ - الصلاة وثمراتها

الحمد لله الذى أنار قلوب المؤمنين بالصلاة وجعل الخشوع فيها خير طريق يوصل المؤمنين إلى الفوز برحمة الله إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرف العبد بالوقوف أثناء صلاته بين يدي خالقه ومولاه ليتفرغ إلى ربه بما يهذب نفسه، ويبعده عن الفحشاء والمنكر ابتغاء رضوان الله، إن الله يعلم ما تسرون وما تعلنون وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله فرضت الصلاة على أمته فى شخصه من فوق سبع سموات وجعلت فرضيتها على المكلفين من المؤمنين والمؤمنات وكانت الصلاة أول فريضة أداها رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين جميع العبادات أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المهتدون..

أما بعد فيا عباد الله...

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا} [المزمل: ٢٠].

أيها المؤمنون بدأت هذه الآية الكريمة بمطالبة المؤمنين بأداء فريضتين عظيمتين هما من أقدس أنواع العبادات وهما الصلاة والزكاة..

فالصلاة أيها المؤمنون هى أسمى أنواع العبادات وأعظمها أثراً وأجلها قدراً وهى أول عبادة فرضت وقد فرضت ليلة الإسراء شفويًا

الصلاة وثمراتها

على شخص النبي صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات دون بقية العبادات حيث فرضت بطريق الوحي ينزل على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى الأرض.

وقد فرضت على المكلفين رجالاً ونساءً بلا فرق بينهما وفريضة الصلاة مميزات خاصة متعددة تعود آثارها وفوائدها على من أداها فمنها أنها هى الصلة بين العبد وربّه وهى التى تقرب العبد من خالقه عز وجل فتربط قلبه بالحضرة القدسية فإذا وقف العبد يصلى وتذكر بقلبه وعقله معانى الألفاظ التى ينطق بها لسانه فى قرآته وتكبيراته وتسبيحاته فى قيامه وركوعه وسجوده إذا فعل هذا امتلأ قلبه بالخشوع من جلال الله وحده والخضوع لعظمة الله، وجبروته والذل لرحمة الله وحكمه ونسى كل شئ حوله ما عدا جلال خالقه الذى وقف بين يديه يناجيه ويناديه ويتضرع إليه ابتغاء رحمته وخوفاً من عذابه وهنا يشرف العبد بقربه من ربه ذى الجلال والإكرام..

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فإذا وصل العبد فى صلاته إلى هذا المقام الجليل أبعدته صلاته عن الفحشاء والمنكر ووضعت فى صفوف الصديقين والصالحين ..

قال تعالى: ﴿لَا يَكُ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والمراد بالصلاة: الصلاة التى اتصف صاحبها بالخشوع والخضوع لربه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له " رواه ابن ماجه " أي: فلا ثواب له فى صلاته..

وقيل فليست له صلاة مقبولة لأنها مجردة من الخشوع والخضوع لا روح فيها تشبه الجثة الميتة ويشبه صاحبها بالشخص

اللائى الجوهرية فى الخطب المنبرية

الذى رفع إلى رئيسه هدية هى عبارة عن جثة ميتة فإنها بالطبع غير مقبولة وسترجع آثارها على صاحبها بالنكال والوبال إننا نلاحظ أن كثيراً من الناس يصلون ولا يبتعدون عن الفحشاء والمنكر هؤلاء تكون صلاتهم لا خشوع فيها إذا بدأت صلاتهم بدأت معهم وساوس الشيطان..

تذكرهم بكل ما حولهم من ألوان الحياة وأنواعها ومظاهرها فيشتغلون بالتفكير فى هذا متبعين شياطينهم وينسون جلال وقوفهم أمام الرقيب الجبار المطلع على القلوب والأسرار.

ثم يكونون مع الله بالسنتهم وحركات أجسامهم فى القيام والركوع أما قلوبهم فهى مع الشيطان طوال صلاتهم وهؤلاء تكون صلاتهم آلية لا تفيدهم شيئاً..

ومن ثمرات الصلاة أنها تكون سبباً فى نظافة الجسم والقلب فتنظافة الجسم مستفادة من الوضوء أو الغسل الذى فرض لأجل الصلاة ونظافة القلب قد استفيدت من الخشوع الذى يملأ القلب أثناء الصلاة ومنها أن الصلاة تعلمنا كيف نتعود توحيد صفوفنا وجمع كلماتنا فى نظام محكم عند ملاقة أعدائنا..

وإننا نتعلم هذا النظام من صلاة الجماعات فى تنظيم الصفوف فيها وتبعيتنا جميعاً للإمام فى جميع حركاته فى قيامه وقعوده مصغين إليه إذا قرأ متبعين له فى كل شئ ومنها أن الصلاة تزيل الفوارق بين الطبقات تلحم الفوارق التى تولد الكبر والغرور واحتقار الفقراء وحقد الفقراء على الأغنياء..

فإذا اجتمعنا فى مسجد للصلاة وأدركت قلوبنا وعقولنا أننا جميعاً نقف بنظام واحد أمام إله واحد مستقبلين قبلة واحدة ونسجد بجباهنا على الأرض لإله واحد وتتضرع قلوبنا إلى الله بأسلوب واحد لا

الصلاة وثمراتها

فرق بين غنى وفقير ولا عظيم ولا حقير فإذا أدركنا أن جميع أفراد البشر متساوون أمام الله فى التكاليف بالعبادات وهنا يتم تهذيب النفوس وفضام القلوب عن الكبر والغرور والعجب واحتقار بعض الناس لبعض.

ومتى تم للمسلمين هذا النظام استطاعوا أن ينهضوا بأمتهم إلى أعلى درجات الكمال وتلكم غاية دونها كل غاية.

ومنها أن الصلاة تعودنا كيف نحافظ على نظافة ملابسنا وكيف نحافظ على الجالسين معنا فى المساجد وذلك لأن طهارة الثوب شرط فى صحة الصلاة ولأن الرسول حثنا على التطيب ولبس أوفر ما عندنا من الثياب لاسيما الثياب البيض وذلك إذا اجتمعنا لصلاة الجمعة والعيدى وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذى ربح كرهه إذا اجتمعنا فى المسجد حيث قال: من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزلنا وليعتزل مسجدنا رواه مسلم.

وذلك حرصاً على تطيب نفوس الجالسين وحذراً من تنفيرهم من بعضهم كى يتم لهم حسن اللقاء وجمع الكلمة وارتباط القلوب فلهذه الامتيازات ولغيرها نرى عناية الدين بالصلاة عناية عظيمة فنرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدر أمره لأولياء الأمور فيقول:

مروا أولادكم بالصلاة وهم أولاد سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر رواه ابن حبان، وذلك كى ينشئوا متعودين عليها من الصغر فلا يستطيعون تركها وقت الكبر وإن كل من خالف أمر النبى من أولياء الأمور يكون عاصياً و لعل السبب فى ترك بعض الكبار للصلاة هو أن أولياء الأمور لم ينفذوا معهم وقت صغرهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم فريضة الصلاة

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

الركن الثانى فى الإسلام حيث قال: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

وقد حكم النبى: على تارك الصلاة باللعن فقال: تارك الصلاة ملعون رواه الترمذى، وجاء فى القرآن وعيد متعدد مختلف الأساليب لتارك الصلاة رجلاً كان أو امرأة فقد أعد الله الويل لمن سها عن صلاته فأخرها عن وقتها أو صلى لله رياء.

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ [الماعون: ٤ - ٦].

ثم بين ان مقر تارك الصلاة سيكون فى سقر وسيكون التاركون للصلاة وهم فى سقر محل توبيخ وتأنيب من المؤمنين فلا يسعهم إلا أن يعترفوا بجرهم: {لَا أَصْحَبَ أَلَيْهِينَ} ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَسَاءُ لَوْنٌ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ [المدثر: ٣٩ - ٤٣].

ولقد نصت الشريعة الإسلامية على أن تارك الصلاة تطلب منه التوبة بعد ثلاثة أوقات فإن تاب وصلى نجا وإذا استمر تاركاً لها كسلاً وهو معتقد أنها مفروضة عليه قتله الإمام حداً ويدفن فى مقابر المسلمين أما إذا تركها وهو معتقد أنها غير مفروضة عليه فعلينا أن نرشده ونعلمه حكم الدين فإن أبى إلا أن يبقى كما هو وجب على الإمام قتله كفراً ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين وماله غنيمة للمسلمين لأنه أصبح مرتداً فلا يرث ولا يورث ولا يحل لمسلمة. فطبقوا يا عباد الله هذه الأحكام على التاركين للصلاة رجلاً أو نساءً فإن رأيتم أن بعضهم يرى أنها عمل إنسانى وليست مفروضة عليه فعلموه أمر دينه.

فاتقوا الله أيها المؤمنون وحافظوا على فريضة الصلاة ونشؤوا

الصلاة وثمراتها

عليها أولادكم منذ صغرهم امتثالاً لأمر رسول الله وأملؤوا قلوبكم بالخشوع أثناء صلاتكم تفوزوا بابتعادكم عن المنكرات التي تغضب ربكم..

قوموا بالنصح والإرشاد للتاركين للصلاة ممن حولكم فإن صلوا فهذا نجاح لكم ولهم وإن رفضوا فاجتنبوهم ولا تخالطوهم ولا تأكلوهم غيره على دينكم وابتغاء رضوان ربكم حتى يعودوا إلى أداء هذه الفريضة لأن أداءها شرط في أخوة الدين فمن تركها وأصرّ على تركها فليس من إخواننا في الدين..

وقد قرر بعض الأئمة أن تارك الصلاة المصر على تركها لا تعطى له الزكاة بل وتحرم معاونته حتى ولو كاد أن يموت جوعاً إلى أن يعود إلى الصلاة (عن خلاد بن رافع وهو المعروف بالمسيئ صلاته) (لأنه كان يسرع في الصلاة)..

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه وهو يصلي فلما انتهى خلاد من صلاته، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: صل فإنك لم تصل فصلي مرة ثانية كما فعل في الأولى..

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: صل فإنك لم تصل فصلي مرة ثالثة كما فعل في المرة الأولى والثانية..

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: صل فإنك لم تصل ..

فقال خلاد: هذا ما أعلمه يا رسول الله فعلمني ما لم أكن أعلم فقال: صلى الله عليه وسلم: إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ فاتحة الكتاب وفي رواية ما تيسر من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تطمئن رافعاً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك في كل ركعة رواه ابن أبي الدنيا.

وقال صلى الله عليه وسلم: صلوا كما رأيتمونى أصلى رواه مسلم.

وفى الحديث القدسى: أهل ذكرى أهل مجالستى وأهل شكرى أهل زيادتى وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى إن تابوا إلىّ فإنى حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعاييب رواه البخارى ومسلم.

(توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون).

* * *

٢٧ - الزكاة وفوائدها

الحمد لله الذى طهر بالزكاة قلوب المؤمنين وهذب بها قلوب
الأتقياء وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شرع الزكاة
للتطهير والنماء وتأمين الخائفين وسد حاجة المعوزين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أمره ربه بقتال
المانعين للزكاة وبين أن سفك دمائهم موقوف على أدائهم الزكاة
للمسلمين اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه الذين طبعت
نفوسهم على البذل والسخاء وفطموا عن البخل والشح فكانوا من
المهتدين الفائزين.

أما بعد فيا عباد الله يقول الله عز وجل وهو أصدق القائلين:
{وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا
وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل: ٢٠].

أيها المؤمنون.. قد اقتضت حكمة الله أن يخلق الناس فى الدنيا
متعاونين فى أرزاقهم فمنهم الغنى ومنهم الفقير وهذا ضرورى لتمام
نظام الكون إذ لو كان الناس جميعاً أغنياء فى درجة واحدة لما
وجدوا من يقومون بقضاء مصالحهم الضرورية ولو كانوا جميعاً
فقراء لما وجدوا من يعينوهم بالمال كأجر على أعمالهم التى يقومون
بها ليستعينوا به فى معاشهم وإلى هذا المعنى الكريم يشير الله جل
شأنه بقوله: {لَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف: ٣٢].

وقد جعل الله حق الفقير فى مال الغنى على نوعين: أحدهما:
الحق الذى يستحقه أجراً على عمل يقوم به للغنى، ثانيهما: حق جعله
الله للفقير منحة فى مال الغنى وهذا الحق الثانى هو على ضربين

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

أيضاً: أحدهما: حق واجب على الأغنياء للفقراء وهو المعروف بالزكاة.

الثانى: حق مستحسن قد حث عليه الدين ورغب فيه وهو المعروف بصدقة التطوع والزكاة هى التى أمر الله بأدائها فى هذه الآية الكريمة: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ٤٣]، بين الله أن من أدى هذه الزكاة فكأنه قد أقرض الله قرضاً سماه حسناً فيضاعفه له فى الأجر وقد تكرر الأمر بأداء الزكاة والترغيب فيها مع بيان الوعيد لتاركها فى كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ولقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم أداء الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام حيث قال: بنى الإسلام على خمس إلى أن قال: وإيتاء الزكاة.. .

وقد قال صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم رواه البخارى ومسلم.

وهكذا نرى عناية الدين بالزكاة عناية بالغة الأثر لما لها من آثار عظيمة واسعة الآفاق فى تنظيم وبناء مجتمع الدولة الإسلامية فمن الحكم التى من أجلها شرعت الزكاة:

١ - التطهير الشامل فى مال المزكى ونفسه وقلبه والزيادة فى ماله بإحلال البركة فيه قال تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ} [التوبة: ١٠٣].

أي: (ادع لهم): {إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [التوبة: ١٠٣].

٢ - هذه الزكاة قد شرعت لسد حاجة الفقراء ومعاونتهم فى معاشهم وهذا بالتالى يؤدى إلى اطمئنان الأغنياء على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم لأنه قد ثبت أن أكثر البواعث على ارتكاب

جرائم السرقة والقتل وانتهاك الأعراض ترجع كلها إلى الجوع الناشئ عن قسوة قلوب الأغنياء وامتناعهم عن أداء الزكاة للفقراء فكأنهم بهذا قد فتحوا مدارس للإجرام تخرج لنا في كل عام عدداً من المجرمين والمتسولين الذين يعتدون على الأموال والأرواح رغبة في الحصول على المال وأساتذة هذه المدرسة هم الأغنياء الذين قست قلوبهم فبخلوا على الفقراء بركاتهم فلو أن جميع الناس قاموا بأداء الزكاة التي فرضها الله عليهم على الوجه الذي أمر الله به في مصارف الزكاة لاستغنى بها الفقراء في قضاء حوائجهم ودفع غائلة الجوع عنهم وعن أولادهم وما رأينا بعد هذا فقيراً تسول له نفسه في الاعتداء على إنسان ليقتله كي يحصل على ماله أو في الاعتداء عليه ليسرقه أو على عرض لينتهكه رغبة في الحصول على مال وذلك لأن دوافع هذه الاعتداءات تكون حينئذ قد أزيلت ومحيت آثارها من الوجود وما دام كل فقير قد اطمأن على رزقه ورزق أولاده وبهذا يتم اطمئنان الأغنياء على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وبهذا يزول الحقد الذي كان كامناً في قلوب الفقراء على الأغنياء..

وهنا يمكن بناء مجتمع سليم للدولة الإسلامية لن يشوبه ما يعكر الصفو تلکم هي غاية المصلحين وأمنية الهداة المرشدين خصوصاً إذا عرفنا مقدار ما يمكن جمعه من الزكاة على الوجه الذي أمر الله به فهي على قلنتها في النسبة المئوية للأموال تجمع المليارات من الجنيهاً وذلك لأن الله فرض الزكاة في المال والتجارة بنسبة ٢,٥ % كل عام وقد فرضها في المزروعات التي هي أقوات الأدميين بنسبة ٥ % كل عام إذ كانت تروى بالآلة وبنسبة ١٠ % كل عام إذ كانت تروى بدون آلة وفرضها في الإبل والبقر والغنم التي لا تكلف صاحبها لهذا طعامها بنسبة ضئيلة جداً وفرضها أيضاً فيما وجد من الأموال والمعادن في بطن الأرض مثل البترول والذهب وما

استخرج من باطن الأرض ويسمى بالركاز بنسبة ٢٠% وأعفى
حلى النساء من الزكاة..

كما فرض الله على المؤمنين زكاة أخرى فى الأبدان هى زكاة
الفطر قيمتها قدحان من قوت البلد عن كل فرد من هذا كله تتضح
قيمة الأموال التى يمكن أن تجمع من الناس لو أن كل المسلمين
أدوها كما أمر الله فإذا قارنا بين إيرادات هذه الزكاة وبين مصارفها
التي أرشدنا الله إليها لوجدناها ميزانية ضخمة تتسع لتحقيق جميع
مصالح الدولة وتنظيم مرافق الحياة تنظيمًا يكفى لرفع شأن الدولة
إلى المستوى العلمى فى درجات المجد. فلا عجب حينئذ إذا رأينا
الدين يهتم بأداء هذه الزكاة ويتوعد الممتنعين عن أدائها بالهلاك
والنكال و رأينا من قصص القرآن الكريم قصة فى هذا الشأن تصور
ما حل بالممتنعين عن الزكاة من هلاك ودمار القصة الأولى: قصة
ثعلبة وخلصتها أن رجلاً يدعى ثعلبة طلب من الرسول أن يدعو له
ليكثر ماله وقد عاهد الله ورسوله على أنه إن كثر ماله فسيؤدى
زكاته كاملة. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: يا ثعلبة إن قليلاً تؤدى
زكاته خير من كثير لا تؤدى زكاته فيبعدك عن رحمة الله فألح ثعلبة فى
طلبه الدعاء فدعا له الرسول فكثر ماله حتى ملأ الوادى فلما أرسل
إليه الرسول فى طلب الزكاة رفض وتبجح ونقض عهده مع الله
ورسوله وقد علم الرسول بهذا قبل أن يأتية الجواب من الجبابة فقال:
يا ويح ثعلبة وكررها ثلاثاً فلما علم ثعلبة جاء بزكاته نادماً فردها
رسول الله ثم جاء فى عهد أبى بكر بزكاته فردها عليه ثم جاء بها
فى عهد عمر فردها اقتداء برسول الله وقد أنزل الله
فيه قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ
مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾
فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا

يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧].

والقصة الثانية: أن قارون كان من قوم موسى عليه السلام وقد أغناه الله بالمال حتى أن مفاتيح كنوز أمواله كانت حملاً ثقيلاً على حاملها مع قوتهم وكثرة عددهم وكان بعض أفراد من قوم قارون إذا رأوه في زينته يعجبون من عظم حظه ويتمنون أن يكونوا مثله ولكن ذوى العلم والعقل كانوا يؤنبونهم وأن ثواب الله خير من هذا كله..

ولقد جاء موسى عليه السلام يطلب من قارون زكاة ماله فأخبره قومه بأنها حيلة لجأ إليها موسى ليأخذ مال قارون بها وأشار أصحابه عليه بمكيدة دبرت لنبي الله موسى وهى أن يستأجروا بغياً لترمى موسى بالزنا كي يكف لسانه عن السير فى دعوته ويحتفظ قارون بماله فلما وقف موسى يوماً بين الناس يقول لهم: أيها الناس من زنا رجمناه ومن سرق قطعناه قال قارون: حتى أنت يا موسى؟ قال: حتى أنا قال قارون: إن فى هذا المجلس امرأة قررت أنك زنيت بها فطلب موسى أن تقف المرأة لتقرر هذا أمامه فوقفت فقال لها موسى: أناشدك الله الذى خلق السماوات والأرض أن تنطقى بالحق..

ففزعت المرأة ورفضت أجر قارون وقالت: والذى بعثك بالحق نبياً يا موسى إنهم قد استأجرونى على أن أرميك بالزنا والله يعلم أنك منه بريء فغضب موسى وتضرع إلى ربه وقال: اللهم إن كنت نبيك حقاً فاغضب لى فنزل جبريل يخبر موسى بأن الله أمره بأن يخسف الأرض بقارون وماله وداره ليكون عظة وعبرة..

فاتقوا الله أيها المؤمنون وخذوا لنفسكم العبرة بهاتين القصتين وأدوا زكاة أموالكم التى فرضها عليكم ربكم كي تعملوا على بناء مجتمع سليم وتقضوا على آثار الفقر بينكم ولا تظنوا أن أداء الزكاة يسبب نقصاً فى أموالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نقص

اللائئ الجوهريه فى الخطب المنبرية

مال من صدقة رواه مسلم.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون هذه الساعة..

* * *

٢٨ - فضائل ليلة النصف من شعبان

الحمد لله الذى عظم حرمة شعبان بليلة نصفه الفاضلة وفرق فيها كل أمر حكيم إلى مثلها من السنة القابلة وقدر فيها الأرزاق والآجال فهى الليلة المباركة فسبحان من شرف بعض الليالى وجعلها موسماً للخيرات.. أحمده حمد عبد متطفل على موائد كرمه فى تلك الليالى.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقرب قائلها من الجنات..

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى كان يتقرب لمولاه فى تلك الليالى بكثرة السجود متعوذاً حامداً بمحامد تليق بذلك المعبود صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الذين بذلوا فى محبته المجهود..

أما بعد...

قال الله فى كتابه العزيز: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمْدٌ ۝١
وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۝٣ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ۝٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ [الدخان: ١ - ٤].

قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ﴾، قال ابن عباس رضى الله عنهما: يريد القرآن الكريم وما أنزل فيه من البيان والحلال والحرام والمبين أي: الموضح لكل ما يراد منه فالناس فى حاجة إليه فى دينهم.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: إنا بما لنا من العظمة أنزلناه وهو القرآن الكريم وقوله: ﴿فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ كثيرة الخير فإن الله تعالى قد خص تلك الليلة ببركة ليست فى غيرها.

واختلف العلماء فى تعيين تلك الليلة المباركة فقال عكرمة: المراد بالليلة المباركة هنا ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

السنة وتنسخ الأموات ويكتب الحاج فلا يزداد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد وذكر بعض أهل العلم فى قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ} [الدخان: ٣]، أن من قال هى ليلة القدر فالهاء فى: {أَنْزَلْنَاهُ} ضمير القرآن أى أنزلنا هذا الكتاب المبين الذى هو القرآن فى ليلة جعلت مباركة على المؤمنين ومن قال ليلة النصف من شعبان فالهاء ضمير الأمر والمراد أنزلنا أمراً من عندنا فى هذه الليلة قدرناه وقضيناه فى الآجال والأرزاق والإغناء والإفقار والإعزاز والإذلال والإحياء والإماتة على رؤساء الملائكة يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وروى أبو الضحى رضى الله عنه ان الله يقضى الأفضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر..

قال أبو سعيد الخدرى.. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى صلاة الصبح قال: اللهم املأ سمعى نوراً وبصرى نوراً وبين يدى نوراً ومن خلفى نوراً وعن شمالى نوراً ومن فوقى نوراً ومن تحتى نور وأعظم لى النور برحمتك (رواه مسلم).

قالت عائشة رضى الله عنها: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع عنه ثوبيه ثم قام فلبسهما فأخذتنى غيرة شديدة ظننت أنه يأتى بعض صويحباتى فخرجت أتبعه فوجدته بالبقيع (البقيع بجوار المسجد النبوى) يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء.

فقلت بأبى وأمى أنت فى حاجة ربك عز وجل وأنا فى حاجة الدنيا فانصرفت فدخلت فى حجرتى ولى نفس عالٍ فلحقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا النفس؟ فقلت: بأبى أنت وأمى أتيتنى فوضعت عنك ثوبك..

فضائل ليلة النصف من شعبان

ثم قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك أتيت بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع قال: يا عائشة أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قال: أتاني جبريل عليه السلام فقال هذه ليلة النصف من شعبان والله عز وجل عتقاء من النار بعدد شعر غنم بني كلب لا ينظر الله عز وجل فيها إلى مشرك ولا إلى مشاحن ولا إلى قاطع رحم ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر ثم وضع عنه ثوبيه .

قال: يا عائشة تأذنين لي في قيام هذه الليلة قلت: نعم بأبي أنت وأمي فقام فسجد طويلاً حتى ظننت أنه قبض فقامت ألتمسه ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك ففرحت وسمعتة يقول في سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلما أصبح ذكرتهن له فقال: يا عائشة تعلميهن وعلميهن وأمرني أن أرددهن في السجود رواه مسلم.

فبادر أيها المفرط إلى التوبة في هذه الليلة العظيمة الشأن لأنه تعالى من رحمته يستعرض حوائج عباده كل ليلة في جميع الزمان وخصوصاً ليلة النصف من شعبان وليلة النصف إحدى الليالي التي ليلتها كيومها ويومها كليلتها في الفضل..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أربع ليال لياليهن كأيامهن وأيامهن كليلاليهن يبر فيهن القسم ويعتق فيهن النسم ويعطى فيهن الجزيل ليلة القدر وصباحها وليلة النصف من شعبان وصباحها وليلة عرفة وصباحها وليلة الجمعة وصباحها رواه البخاري ومسلم.

ومن خصائص ليلة النصف من شعبان ما ورد في الترغيب في إحياء ليلة النصف من شعبان. ما رواه عبد الرزاق وابن ماجه من

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

قوله صلى الله عليه وسلم :إذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله عز وجل ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء الدنيا فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسترزق فأرزقه حتى يطلع الفجر .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من أحيا الليالى الخمس وجبت له الجنة، ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان.. رواه البخارى.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من قام ليلة النصف من شعبان وليلى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب رواه مسلم ومعنى لم يمت قلبه: أي محبة الدنيا حتى تصده عن الآخرة كما جاء لا تجالسوا الموتى يعنى: أهل الدنيا..

وما أحسن قول القائل: -

وقم ليلة النصف مصلياً :: فأشرف هذا الشهر ليلة نصفه وصم يومه لله وارج ثوابه :: لتظفر يوم العرض منه بلطفه فمن أقام الفرائض وتقرب إلى الله بالنوافل واجتهد إلى الله فى الأوقات الفواضل وآثر رضا الله فاز بعظم أنسه فى حضرة قدسه فى مقعد صدق عند مليك مقتدر..

فنسأل الله أن يعيننا على ذلك وأن يسلك بنا أحسن المسالك وأن يعتقنا فى هذه الليلة من النار، وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم فى دار القرار وأن يديم علينا نعمة الإسلام، وأن يحشرنا فى ذمرة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأن يشغلنا فيما فيه رضاه وأن لا يجعلنا من أهل الاشتغال والتلاهى بل يجعلنا من أهل كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

ومن فضائل شهر شعبان قال أسامة بن زيد قلت: يا رسول الله لم

أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم في شعبان؟

قال: ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم رواه البخاري ومسلم.

وقالت السيدة عائشة عليها رضوان الله كان أكثر صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت: يا رسول الله أرى أكثر صيامك في شعبان قال: إن هذا الشهر يكتب لملك الموت من يقبض فأنا لا أحب أن ينسخ اسمي إلا وأنا صائم (رواه مسلم).

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٢٩ - تحويل القبلة

الحمد لله الذي عظم حرمة شعبان بليلة نصفه الفاضلة وفرق فيها كل أمر حكيم إلى مثلها في السنة القابلة وقدر فيها الأرزاق والآجال فهي الليلة المباركة فسبحان من شرف بعض الليالي وجعلها موسماً للخيرات..

أحمده حمد عبد متطفل على موائد كرمه في تلك الليالي وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقرب قائلها من رضوان الله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي كان يتقرب لمولاه في تلك الليالي بكثرة السجود متعوذاً حامداً بمحامد تليق بذلك المعبود صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الذين بذلوا في محبته المجهود أما بعد...

يقول الله في كتابه العزيز... بسم الله الرحمن الرحيم:
 {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ }
 [البقرة: ١٤٢ - ١٤٣].

عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صلى نحو بيوت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يحب أن يوجه نحو الكعبة فأنزل الله: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تحويل القبلة

تَرَضُّبَهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ { [البقرة: ١٤٤].

قال فوجهه نحو الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها؟ فأنزل الله: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ١٤٢].

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها رسول الله بضعة عشر شهراً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله عز وجل:

{قُولُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: ١٤٤]، أي نحوه فارتاب من ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها؟ فأنزل الله: {قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [البقرة: ١٤٢]، وقد وردت أحاديث كثيرة..

عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يعنى أهل الكتاب" إنهم لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على الجمعة التى هداها الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هداها لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام أمين رواه أبو داود والترمذى.

وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣].

يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل.

وكان رسول الله وسطاً فى قومه أي أشرفهم نسباً قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم :يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أأتانا من نذير وما أأتانا من أحد فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأُمته قال: فذلك قوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣] قال: الوسط: العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم رواه مسلم.

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ} [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك ما كان ليضيع ثوابها عند الله عن البراء قال: مات قوم كانوا يصلون إلى بيت المقدس فقال الناس وما حالهم؟ (أي: بالقبلة الأولى وتصديقكم نبيكم واتباعه إلى القبلة الأخرى أي ليعطيكم أجرها جميعاً، {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَءُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٤٣].

وقال الحسن البصري: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَنَكُمْ} [البقرة: ١٤٣]، أي: ما كان الله ليضيع محمداً صلى الله عليه وسلم وانصرفكم معه حيث انصرف: {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَءُوفٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٤٣]، وفي الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها فجعلت كلما وجدت صبيّاً من السبي أخذته فالصقته بصدرها وهي تدور على ولدها فلما وجدته ضمته إليها وألصقته ثديها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على أن لا تطرحه؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فوالله الله أرحم بعباده من هذه بولدها رواه ابن ماجة والبيهقي وغيرهما.

{قَدْ زَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤٤].

وذلك لأن رسول الله لما هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود فأمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها

تحويل القبلة

رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهراً وكان يحب قبلة إبراهيم فكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة: ١٤٤]، فارتابت من ذلك اليهود وقالوا:

{مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} [البقرة: ١٤٢]، وقوله: {وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} [البقرة: ١٤٤]، أي واليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرفكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله تعالى سيوجهكم إليها بما في كتبهم عن أنبيائهم من النعت والصفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته وما خصه الله تعالى به وشرفه من الشريعة الكاملة العظيمة ولكن أهل الكتاب يتكاثرون ذلك بينهم حسداً وكفراً وعناداً لهذا يهددهم تعالى بقوله: {وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} [البقرة: ١٤٤].

وتحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام ورد أنه قد تم في ليلة النصف من شعبان وعن يحيى بن معاذ أنه قال: إن في شعبان خمسة أحرف يعطى بكل حرف عطية للمؤمنين:

- بالشين: الشرف والشفاعة.

- وبالعين: العزة والكرامة.

- وبالباء: البر.

- وبالألف: الألفة.

- وبالنون: النور.

ولذلك قيل رجب لتطهير البدن وشعبان لتطهير القلب ورمضان لتطهير الروح..

اللائئ الجوهريه فى الخطب المنبرية

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون
تلك الساعة..

* * *

٣٠ - شهر رمضان المعظم وقدره

الحمد لله الذى أكرم الأمة الإسلامية بشهر رمضان حيث أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرض الصيام تطهيراً للنفوس وتهذيباً للقلوب وإبعاداً للصائمين عن مواطن الهلكة والشقاء وجعله باعثاً على الإشفاق والرأفة والرحمة بالفقراء والمساكين إن الله يعلم ما تسرون وما تعلنون..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليته أرشدنا فى هديه الكريم إلى خير الطرق وأقومها لفوز الصائمين وإسعاد المسلمين الذين هم بربهم يؤمنون.

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بتعاليمه من جماعة المسلمين....

أما بعد...

فيا عباد الله... يقول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].

اعلموا إخوانى.. وفقنى الله وإياكم لطاعته أن النداء على دربين: نداء: علامة ونداء: كرامة.

ونادى الله تعالى جميع الأنبياء بنداء العلامة فقال: يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا موسى يا عيسى.

ونادى سيدنا محمد بنداء الكرامة فقال يا أيها النبى يا أيها

الرسول
يا أيها المزمّل يا أيها المدثر ونادى جميع الأمم ببدء العلامة فقال فى التوراة يا قوم موسى يا أيها المساكين وقال فى الإنجيل يا أبناء الماء والطين فلما آل الأمر إلى هذه الأمة قال فى القرآن الكريم فى نيف وثمانين موضعاً ببدء الكرامة... فمن دخل فى هذا الخطاب يعنى من المؤمنين صار أهلاً لست بشارات.

١ - الأولى: المحبة قال تعالى: {يَقَوْمٌ يُجِبُّهُمْ وَيُجِبُونَهُ} [المائدة: ٥٤].

٢ - الثانية: النصره قال تعالى: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧].

٣ - الثالثة: العزة قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨].

٤ - الرابعة: الرحمة قال تعالى: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣].

٥ - الخامسة: الفضل والمغفرة قال تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا} [الأحزاب: ٤٧].

٦ - السادسة: الشفاعة العظمى يوم القيامة قال تعالى: {وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ} [النساء: ٦٩].

وقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} [البقرة: ١٨٣]، أي فرض أو وجب.

والصيام لغة: الإمساك.. وشرعاً: هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية فى وقت مخصوص..

وقوله: {كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} [البقرة: ١٨٣]، أي: من

الأنبياء والأمم وقيل: ما من أمة إلا وفرض الله عليهم صيام رمضان إلا أنهم ضلوا عنه وقوله تعالى: {لَمَلَكُمْ تَنْقُوتٌ} [البقرة: ١٨٣]، أي: تتحررون من العقوبة بفعل ما أمرتم وقوله: {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} [البقرة: ١٨٤]، وكأنه سبحانه وتعالى يقول: فرضت عليكم أياماً معدودة وطاعة محدودة وثوابي وعطائي لا حدود له ولا نهاية له.

وفرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة.. وهو معلوم من الدين بالضرورة فمن أنكره فهو كافر إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام أو بعيداً عن العلماء وهو أفضل الشهور في الحديث ورمضان سيد الشهور وأنزل الله تعالى فيه القرآن.

وورد في فضله أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال: أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك فيه ليلة القدر خير من ألف شهر جعل الله تعالى صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فرض فيما سواه ومن أدى فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزداد فيه رزق المؤمن من فطر فيه صائماً كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه .

قلنا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم قال: يعطى الله هذا الثواب من يفطر صائماً على مزقة لبن أو شربة ماء أو ثمرة ومن أشبع صائماً كان له مغفرة لذنوبه وسقاه ربه من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبداً وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيئاً وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار فاستكثروا من أربع خصال: خصلتان ترضون بهما ربكم... وخصلتان لا غنى لكم عنهما... أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم... فشهادة أن لا إله إلا الله وتستغفرونه.. وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما تسألون ربكم الجنة وتعودون به من النار رواه

البخارى ومسلم.

وفىها قوله صلى الله عليه وسلم: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه . رواه أحمد صاحب السنة، وقوله صلى الله عليه وسلم: أعطيت أمتى خمس خصال فى شهر رمضان لم تعط أمة قبلها:

١ - خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

٢ - وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا.

٣ - وتصفد فيه مردة الشياطين.

٤ - ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ويقول يوشك عبادى الصالحون أن يكف عنهم السوء والأذى.

٥ - ويغفر لهم فى ليلة منه قيل: يا رسول الله أهى ليلة القدر؟ قال: لا ولكن العامل إنما يؤتى أجره إذا قضى عمله . رواه أحمد ومسلم والنسائي.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه ويقول: قد جاءكم شهر رمضان شهر فرض عليكم الله صيامه وتفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر . رواه مسلم

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: فى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى باب الريان لا يدخله إلا الصائمون... ومنها قوله صلى الله عليه وسلم الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة... يقول الصيام ربى إننى منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه، ويقول القرآن رب منعتك النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان فيه . رواه البيهقى وغيره.

وللصوم أركان: النية يقول صلى الله عليه وسلم: إنما الأعمال بالنيات . ومحلها القلب ولا يشترط التلفظ بها فلو تسحر ليتقوى فى الصوم أو شرب ليدفع العطش نهاراً أو امتنع عن الأكل، أو الشراب

أو الجماع من طلوع الفجر كان ذلك نية إن خطر بباله الصوم..
ويشترط لفرض الصوم: التثبيت وهو النطق بالنية ليلاً لقوله
صلى الله عليه وسلم : من لم يبيت الصيام قبل الفجر فلا صيام له رواه
مسلم.

الركن الثانى: الصائم وشرطه الإسلام والعقل والطهارة من
الحيض والنفاس فلا يصح صوم الكافر بحال ولا صوم المجنون
والطفل ويصح من صبى مميز

الركن الثالث: الإمساك عن المفطرات فشرط الصوم الإمساك
عن الجماع بالإجماع ولو بغير إنزال وتجب الكفارة بإفساد صوم يوم
من رمضان بجماع أثم به بسبب الصوم وهى عتق رقبة مؤمنة فإن
لم يجد فصيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.
والحديث عن الصيام وأحكامه مستمر إن شاء الله فى خطبنا
القادمة..

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..

* * *

٣١ - مدرسة رمضان

الحمد لله أكرم الأمة الإسلامية بشهر رمضان حيث أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فرض صيام رمضان تطهيراً للنفوس وتهذيباً للقلوب وإبعاداً للصائمين عن مواطن الهلكة والشقاء وجعله باعثاً على الإشفاق والرحمة والرأفة بالفقراء والمساكين إنه يعلم ما تسرون وما تعلنون، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرشدنا فى هديه الكريم إلى خير الطرق وأقومها لفوز الصائمين وإسعاد المسلمين الذين هم بربهم يؤمنون، اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بتعاليمه من جماعة المسلمين...

أما بعد..

فيا عباد الله.. يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين:

بسم الله الرحمن الرحيم: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} {١٨٥} [البقرة: ١٨٥].

أيها المؤمنون: -

إذا تأملنا فى المدارس الموجودة بيننا من جهة المناهج الدراسية القائمة فيها وواضعى هذه المناهج وملاحظة أهدافها وإقبال الناس عليها ونتائجها..

إذا تأملنا فى هذا كله وجدنا أن لدينا مدرسة أخرى هى أعظم شأنًا وأسمى قداسة من هذه المدارس كلها لعظم آثارها فى تكوين المجتمع الصالح للمسلمين..

تلكم هى المدرسة الرمضانية.. هى مدرسة شهر رمضان المبارك قد أنشأها وفتحها الله الخالق البارئ جل وعلا حيث قال {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].

وقد جعل مدة الدراسة فيها شهراً قمرياً من كل سنة وجعل التعليم فيها مجانياً بل وأعد أجوراً وجوائز مختلفة القيم والمقادير للفائزين من أبنائها وقد جعل الدخول فيها إجبارياً على كل المكلفين القادرين من المسلمين ذكوراً وإناثاً حيث قال: {فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: ١٨٥] وحث على الدخول فيها غير القادرين من ذوى الأعذار متى كانوا قادرين على تلقى دروسها حيث قال: {وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٤].

وأن الذى وضع مناهج الدراسة فيها رب العالمين الخبير بشؤون خلقه العليم بما يصلح من شؤونهم وينظم حياتهم.. ولهذا كانت مناهجها ولا تزال محققة لأمانى وأمال الأمم الإسلامية وغايتها مهما اختلفت ألسنتها وألوانها وبيئاتها وطبقاتها وعاداتها وعصورها صالحة للبقاء إلى آخر أيام الدنيا إذ أن الذى وضعها إله حكيم عادل منزّه عن الأخطاء فى أفعاله وأوامره لا يخلف وعده ولا وعيده ولهذا لا تقبل تبديلاً ولا تعديلاً لا يأتىها الباطل من بين يديها ولا من خلفها تنزِيل من حكيم حميد وإن السقوط فى هذه المدرسة سقوط مهلك إذ لا ملحق ولا شفاعة فيه فهو سقوط من رحمة الله يستحق صاحبه مقت الله وعذابه وأما الدروس التى نتعلمها فى هذه المدرسة فهى دروس كريمة قيمة نتعلمها من صيام رمضان..

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

الدرس الأول: فى هذه المدرسة هو أن نتخذ لأنفسنا الوقاية من عذاب الله وذلك بابتعادنا عن جميع المعاصى والموبقات فإننا نتلقى هذه الدروس من الصيام فالصائم متى أدرك أنه قد امتنع عن جميع المفطرات التى كانت مباحة له قبل دخوله فى الصيام وقد تركها خوفاً من عذاب الله وطمعاً فى ثوابه فإن إدراكه لهذه المعانى يجره حتماً إلى امتناعه عن جميع المعاصى التى حرمها الله من باب أولى خوفاً من عذابه وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}..

الدرس الثانى: فى هذه المدرسة الإعراف بالجميل لصاحبه وفى مقدمة هذا شكر المنعم البارى جل وعلا على نعمه فإن الإنسان لا يدرك قيمة النعمة إلا وقت حرمانه منها فلا يدرك الغنى لذة غناه إلا إذا ذاق الفقر ولا يشعر الإنسان بنعمة الصحة إلا إذا أصيب بالمرض وكذلك الصائم فإنه لا يدرك قيمة نعمة الله عليه فيجره هذا إلى أن يشكر الله على نعمه فيوجه كل نعمة إلى ما خلقت له وإلى هذا يشير الله بقوله: {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

الدرس الثالث: فى هذه المدرسة: أن يتعود الرأفة والإشفاق والعطف على الفقراء وذوى الحاجات فإن الصائم عندما يشعر بآلام الجوع وشدته يحس بآلام الفقراء فيقوم بمعاونتهم فى قضاء حوائجهم وهذا يجعل نفسه خيرة مطبوعة على الجود والكرم والسخاء والعطف والإشفاق ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة وكان أكثر ما يجود فى رمضان، رواه البخارى وغيره.

الدرس الرابع: فى هذه المدرسة: أن نتعود الصبر على احتمال المكاره والمشقات فى كفاحنا وجهادنا والوصول إلى تحقيق آمالنا وتربيتنا لأبنائنا فإن الصيام وحده هو الذى يتم به صفاء النفوس وتهذيبها وتطهير القلوب وجلائها خصوصاً وأنه عبادة صرفة لا

رقيب على الصائم إلا ربه وضميره فلا يدخلها الرياء.

ولهذا فإن صبر الصائم على امتناعه عن المفطرات ومقاومته لنفسه وشهواته يجره إلى أن يتعود الصبر الدائم على احتمال جميع المكاره والمشقات في جميع نواحي الحياة لأن الصبر ثلاثة أنواع: -

١ - صبر على الطاعات.

٢ - صبر على المصائب والملمات.

٣ - صبر على مقاومة النفس والشهوات.

الدرس الخامس في هذه المدرسة: هو صحة أجسامنا فلقد أجمع جمهور الأطباء على أن هناك أمراضاً مستعصية فتاكة لا علاج لها سوى الصيام ولهذا نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **جوعوا تصحوا** رواه ابن ماجة.

الدرس السادس: في مدرسة رمضان.

هو تقديسنا وتعظيمنا لكتاب الله تعالى واهتمامنا واعتزازنا به حيث قد أدركنا أن الله قد أنزل القرآن في شهر رمضان وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام في كل رمضان وقد صدرت في القرآن أوامر متعددة للنبي صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن: **رَتَّبْنَاهَا الْمُرْمَلُ ١** **فُرِئَ لَيْلَ الْإِقْلِيلِ ٢** **نُصِّفَهُ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣** **أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَبَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا** {المزمل: ١ - ٤}، **{وَأَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٧}** {الكهف: ٢٧}.

فإن هذا كله يدفعنا إلى أن نملاً بيوتنا بتلاوة القرآن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.

فيا عباد الله..

هذه هي المدرسة الرمضانية الكبرى وهذه هي الدروس التي

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

نتلقاها فيها وإن المجتمع الذى تسوده هذه الفضائل الطيبة والخصال الحميدة ويكون شعاره اتخاذ الوقاية لأبنائه من المعاصى والمهلكات وشكر المنعم على ما أولانا به من الطيبات والصبر فى كفاحنا على احتمال المكاره بمقاومة النفس والشهوات والعطف والإشفاق على الفقراء والبائسين وزوى الحاجات والعمل على صحة الأجسام وسلامتها من المهلكات.

إن المجتمع الذى هذا شأنه فهو جدير حقاً بأن ينهض بأمتة حتى يضعها فى صفوف الأمم المتحضرة وأن يرقى بها إلى أسمى درجات السعادة والسيادة والكمال.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه رواه البخارى ومسلم.
توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٣٢ - غزوة بدر الكبرى

الحمد لله الذى أيد دينه ونصر نبيه وأعلى كلمته وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

أحمده فالحمد منه وإليه وأشكره ولا أحصى ثناء عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شديد البطش أليم الأخذ عزيز ذو انتقام وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله قائد العُر المحجلين الذى بعثه الله بالحق بين يدي الساعة مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه فقوم به الجبارين وعالج به رءوس المتكبرين..

اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون...

أما بعد...

فيقول العزيز الحكيم جل شأنه: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۖ﴾ [١٣] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ﴾ [١٣] { [الأنفال: ١٢ - ١٣].

أيها المسلمون كان لقريش عير عائدة من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكباً فيهم أبو سفيان فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بأمر تلك القافلة فأخبر النبي أصحابه فأعجبهم تلقى العير لقلة القوم وكثرة الخير ولما تهيؤوا للخروج عليها علمت قريش عن طريق رسول بعثه أبو سفيان يطلب النجدة فصعد أبو جهل فوق الكعبة ونادى: يا أهل مكة النجاة النجاة على كل صعب وذلول عيركم وأموالكم إن أصابها محمد بسوء فإنكم

لن تغفلوا بعدها أبداً..

فاجتمع حوله أهل مكة وخرجوا جميعاً لحماية القافلة ولكن أراد الله أن تنجو القافلة بتجارها عن طريق الساحل ولما علم بذلك أبو جهل أبى أن يرجع إلى مكة هو ومن معه من المقاتلين وعلم الله سوء نيته فأوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم.. {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ} [الأنفال: ٧].

وقد أبهم فلم يبين الطائفة المرادة ليستدرج المسلمين إلى الخروج لملاقاة الفريقين إذ الحكمة تقتضى ذلك لما بين الفريقين من تفاوت فى العدد والعدة فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال: العير أحب إليكم أم النفير؟ فقال بعض المؤثرين السلامة الكارهين للجهاد بل العير أحب إلينا يا رسول الله فتغير وجه النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الرد الذى ينبئ عن حب الدنيا وكراهية الموت فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: ولكن العير أخذت طريق الساحل ونجت ..

وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فليس لدينا عدة لملاقاته فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ قام أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وتحدثا وأحسنا..

ثم قام سعد بن عباد رضى الله عنه وقال:

يا رسول الله: انظر أمرك فامض فوالله لن يتخلف عنك رجل من الأنصار ثم قام المقداد بن عمرو رضى الله عنه وقال:

يا رسول الله: امض لما أمرك الله فإننا معك حيث أحببت فوالله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول المقداد

رضى الله عنه..

ثم قام سعد بن معاذ وكان مما قال:

امض يا رسول الله لما أردت فوالله الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل فسر على بركة الله

فسرّ النبي من قول سعد وقال: سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الساعة إلى مصارع القوم .

ثم سار المسلمون إلى بدر تحرسهم عناية الله وكان ذلك فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان وكان عدد المسلمين يقرب من ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بينما عدد المشركين يزيد عن ثلاثة أضعافهم وعند ماء بدر التقى الجمعان وبدأ القتال ببعض المناوشات الأولى.

فخرج من قريش ثلاثة مقاتلين عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ثم دعوا المسلمين إلى المبارزة فانبرى لهم فتية من الأنصار ثلاثة وهم: عوف بن الحارث وأخوه معوذ وعبد الله بن رواحة فلما برزا قال لهم عتبة: من أنتم؟؟

فقالوا: نحن فتية من الأنصار فقال ما لنا بكم حاجة يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قومنا.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قم يا حمزة بن عبد المطلب قم يا على بن أبى طالب قم يا عبيدة بن الحارث ..

فقام كل منهم يخطر بسيفه ولسان حاله يقول:

ولست أبالى حين أقتل مسلماً :: على أي شق كان فى الله مصرعى
ثم بارز حمزة بن عبد المطلب شيبة بن ربيعة...

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

وبارز على الوليد بن عتبة وبارز عبدة بن الحارث عتبة بن ربيعة فأما حمزة فصرع شيبة وأما على فركز على الوليد ضربة أفقدته الحياة ولكن عبدة بن الحارث أصيب فى فخذه فحمل عليه حمزة وعلى فصرعاه وحملا عبدة إلى صفوف المسلمين فارتضى أمام النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول: ألسنت شهيداً يا رسول الله؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم: بلى .

ثم تراحف الجمعان فثار النقع واشتبكت الرماح واصطكت الأسنان واستلت السيوف والتحمت الصفوف والمسلمون يهجمون يميناً وشمالاً والرسول صلى الله عليه وسلم واقف يستغيث بربه وهو رافع يديه إلى السماء قد سقط رداؤه من فوق كتفيه وكان يقول: اللهم نصرك الذى وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم فلن تعبد بعد، فاستجاب الله لرسوله وأوحى إلى الملائكة أن يثبتوا المؤمنين: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩ - ١٠].

وقد قيل: إن الملائكة كانت تقاتل فى صفوف المسلمين وترد هجمات المشركين حتى قال أبو جهل لابن مسعود وهو فى النزاع الأخير: من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الضارب.

ثم قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم: خذ قبضة من تراب فارم بها وجوه المشركين فأخذ النبى قبضة من تراب ورمى بها وجوه المشركين وقال شامت الوجوه فلم يبق مشرك إلا وقد شغل بعينه وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، ثم صاح النبى صلى الله عليه وسلم فى المسلمين قائلاً: والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .. فقام

غزوة بدر الكبرى

عبد الله بن الحمام وكان بيده ثمرات يأكلها وقال بخ بخ.. فما بينى وبين أن أدخل الجنة إلا أن أقتل في سبيل الله.. ثم قذف التمرات من يديه واستل سيفه من غمده وقاتل القوم قتالاً مريراً حتى قتل شهيداً رضى الله عنه رواه البخارى ومسلم.

ثم أخذ المشركون يتساقطون وتنهار كتائبهم والمسلمون يفتكون بهم فتكاً ذريعاً وحمزة أسد الله يشق الصفوف ويحصد الرؤس ويمزق شمل الكافرين واضطرت البقية الباقية منهم أن تلوذ بالفرار وأن تعود إلى مكة بالخزى والعار وقائلهم يقول:

يا معشر قريش: لقد أذلكم حمزة بن عبد المطلب ووضع قدركم وجعلكم الأذلة المستبدين فى الأرض مات بيده صفوة رجالكم وأصحاب الصدارة فى منتدياتكم فى الثارات قريش وبالأحقادها الكامنة..

وكانت نتيجة الغزوة أن قتل من المشركين سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون ولم يقتل من المسلمين سوى أربعة عشر رجلاً واستشار النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة فى الأسرى فقال أبو بكر نأخذ منهم الفدية لنقوى عليهم وقال عمر بن الخطاب: نقتلهم فهم أئمة الكفر فقال الرسول لأبى بكر: مثلك كمثل إبراهيم حين قال فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم وإن مثلك يا عمر كمثل نوح حين قال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ﴿٦٦﴾ [نوح: ٢٦] .

فأخذ رسول الله برأى أبى بكر وأخذ الرسول منهم الفدية فنزل قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لِمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦٨﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٨] .

أما المسلمون: فقد عادوا كراماً أعزة تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمتهم هذه التجربة أن النصر للمؤمنين وإن قل

اللائئ الجوهريّة فى الخطب المنبرية

عددهم لأن الله معهم وأن الهزيمة للمشركين وإن كثر عددهم لأن الله خاذلهم فلم يعودوا يقيمون وزناً لجاحل الكفر وكتائب الشرك وانتصروا فى كل معركة كما انتصروا فى يوم بدر وهو اليوم السابع عشر من رمضان قال صلى الله عليه وسلم: الجنة تحت ظلال السيوف (رواه مسلم).

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة

* * *

٣٣ - فتح مكة وليلة القدر

الحمد لله الذى أيد دينه ونصر نبيه ودخل الناس فى دين الله أفواجاً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله، الرحمة المهداه والنعمة المسداة والسراج المنير تحققت أمنية رسول الله بدخول مكة بغير حرب ولا قتال اللهم صلى وسلم على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته.. أما بعد..

فيا عباد الله.. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمنى ويحب أن يدخل مكة ويفتحها فهي حصن الشرك ومعقل الكفر وهو يعلق الآمال على هداية أهلها الذين وقفوا بعنفوان دائماً فى وجه الدعوة الإسلامية ولكن أبى الله ذلك وهو مرتبط بعهد مع قريش بهدنة لا تحل لأحد الطرفين أن يهاجم الآخر خلالها، نقض قريش عهد الحديبية فى أواخر السنة الثامنة من الهجرة كان قد مضى على صلح الحديبية سنتان تقريباً حافظ المتعاقدان فى أثنائها على مواد المعاهدة التى كان من شرطها أنه من أحب أن يدخل فى عقد مع قريش فليدخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليدخل فيه وكانت خزاعة قد انضمت إلى الرسول وبنو بكر دخلت فى عهد مع قريش وكانت بينهما عداوات قديمة هدأت فترات واشتعلت أخرى فلما كانت الهدنة بين المسلمين وقريش انتهزتها بنو بكر فرصة وساعدتهم جماعة قريش فهاجمو خزاعة وقتلوا بعضاً منهم فلجأت خزاعة إلى حلفائها المسلمين تشكو نقض قريش وبنو بكر العهد وأرسلت وفداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبره بما حدث لهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزعيمهم عمرو

قال العباس: أنصحك بأن تركب ورائي (وكان يركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه بك وأستأمن لك وأردف العباس أبا سفيان وسار نحو خيمة رسول الله يقول العباس: فلما مررت بنار عمر بن الخطاب عرف أبا سفيان وأسرع إلى خيمة النبي صلى الله عليه وسلم وطلب أن يضرب عنقه..

فقال العباس: إني أجرته فقال صلى الله عليه وسلم: اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبح الصباح أئتنى به فلما جاء الصباح جاء العباس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجرى الحديث الآتي..

ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟

أبو سفيان: ما أحلمك وأوصلك والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً.

الرسول صلى الله عليه وسلم ويحك أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟

أبو سفيان: أما هذه فوالله إن في النفس منها حتى الآن شيئاً فتدخل العباس وقال له: ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك فأسلم.

فقال العباس: يا رسول الله أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم من دخل دار أبو سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن .

الجيش يدخل مكة: -

وبعد ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يقف مع أبو سفيان في الطريق الضيق المؤدى إلى مكة حتى تمر عليه جنود المسلمين فيراها ليحدث قومه عن قوة المسلمين ومرت القبائل بأبي سفيان وهو يسأل عنها العباس حتى قال: يا عباس ما لإحد

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

بهؤلاء قبل ولا طاقة وأسرع إلى مكة ليصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق بابيه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن وركب الرسول ناقته القصواء وأصدر الأوامر إلى قادة الجيش ألا تقاتل إلا إذا أكرهت على القتال وساروا حتى دخلوا مكة ولم يحدث إلا مناوشات خفيفة وأهمها:

ما لاقاه خالد بن الوليد قائد الجناح الأيمن فقد قتل عشرين رجلاً ممن وقفوا فى طريقة ولم يقتل من المسلمين سوى اثنين.

ولما تم للمسلمين الاستيلاء على مكة نظر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى البلد الأمين وإلى الجبال التى كان يأوى إليها حين يشتد أذى قريش فترقرقت فى عينه دمة شكرًا لله ثم سار حتى بلغ البيت الحرام فطاف سبعاً ثم استلم الحجر الأسود وتكاثر الناس حوله فى المسجد فخطبهم وتلا عليهم قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ} [الحجرات: ١٣].

ثم قال: يا معشر قريش ويا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم؟ فقالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء وبهذه الكلمة صدر العفو العام عن أهل مكة جميعاً.

وهكذا سقط أكبر معقل للوثنية فى بلاد العرب فى ٢٠ رمضان سنة ٨ هـ.

تطهير الكعبة من الأصنام: -

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة وكان بداخلها وخارجها أصنام تعبدها قريش فأخذ يشير إليها بقضيب فى يده ويقول: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء: ٨١].

فتح مكة وليلة القدر

وأمر باخراجها وتحطيمها وتطهير البيت الحرام منها.

نتائج فتح مكة: -

- ١ - قضى الإسلام على الوثنية والشرك فى أغلب جزيرة العرب وأنشأ لها نظاماً وتشريعات جديدة سعدت بها وارتقت.
- ٢ - قضى على عهد الصراع بين القبائل فانصرفت على نشر الإسلام.

العبرة من فتح مكة: -

العفو عند المقدرة بعد أن تم فتح مكة واجتمع الناس من حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فرأى من ائتمروا عليه ليقتلوه ومن قاتلوه فى بدر وأعلنوا له العداء فى أحد وحاصروه فى غزوة الخندق وعذبوه وأصحابه نظر إليهم وهم جميعاً فى قبضة يده - وأمره نافذ فى رقابهم وحياتهم رهن كلمة ينطق بها ومع كل هذا فقد نظر لهم نظرة كلها عفو ورحمة قائلاً لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء فكان مثلاً أعلى للعالم كله فى سمو النفس والعفو عند المقدرة.

المحافظة على الدماء: -

كما ضرب المثل الأعلى فى المحافظة على الدماء بإصدار الأوامر إلى قادة الجيوش ألا تسفك دماً إلا إذا أكرهت إكراهاً وقد كان من أثر هذه السياسة أن كسب الرسول قلوب أهل مكة فأقبل على الإسلام فتيان قريش وشيوخها ولم يحجم عنه إلا نفر أكل الحسد قلوبهم وسيطر العناد على أفئدتهم..

فضل ليلة القدر:

بسم الله الرحمن الرحيم.. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ نَزَّلَ الْمَلَكُ فِيهَا وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ١ - ٥].

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ} أي: القرآن روى أنه نزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحاجة إليه.

وسميت ليلة القدر بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره إلى السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغيره ويسلمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى يقضى الأ قضى فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها إلى أربابها فى ليلة القدر وهذا يصلح أن يكون جمعاً بين القولين فى قوله تعالى: {فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ مَرْحُومٍ} [الدخان: ٤]، وقد قيل: إنها ليلة النصف من شعبان وقيل: ليلة القدر وقيل سميت بذلك: لضيقها بالملائكة، وقيل سميت بذلك: لعظمها، وشرفها وقيل سميت بذلك: لأن للطاعة فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً.

وقيل: لأنه أنزل فيها كتاب ذو قدر على رسول الله و على أمته وقيل سميت بذلك: لأن للطاعة فيها قدراً عظيماً وثواباً جزيلاً.

ومعنى أن الله تعالى يقدر الآجال والأرواح أن يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ما هو كائن و يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم إياه..

وليس المراد منه أن يحدثه فى تلك الليلة لأن الله تعالى قدر المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض..

وليلة القدر أربعة أسماء ليلة القدر وليلة البركة وليلة السلام وليلة الرحمة وليلة القدر أفضل فى حق الأمة لأنها خير من عمل ثمانين

فتح مكة وليلة القدر

سنة ممن قبلهم..

عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال: في رمضان فالتمسوها في العشر - الأواخر من رمضان ، وقال بن عباس رضى الله عنهما: هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب أكثر أهل العلم وما روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كان متحرياً إياها فليتحرها ليلة سبع وعشرين يعنى ليلة القدر، رواه مسلم. واستنبط ذلك بعضهم من أن ليلة القدر ذكرت ثلاث مرات وهي تسعة حروف وإذا ضربت تسعة في ثلاثة يكن سبعة وعشرين وقيل في الوتر في العشر الأواخر من رمضان.

ويسن لمن رآها أن يكتمها وأن يكثر من الدعاء في ليالي رمضان وأن يكون من دعائه: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني. ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..

* * *

٣٤ - انتهاء رمضان وزكاة الفطر

الحمد لله الباقي على الدوام مالك الملك ذي الجلال والإكرام بيده الخير وهو على كل شئ قدير.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الأول والآخر والظاهر والباطن أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وهو بكل شئ عليم وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليفه أمرنا أن نتخذ من ماضينا وحاضرنا عظة وعبرة ننتفع بهما في مستقبلنا..

ولا عجب فهو صلى الله عليه وسلم السراج المنير البشير النذير اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته وترسم خطاه ابتغاء رضوان الحكم العدل اللطيف الخبير..

أما بعد..

فيا عباد الله.. يقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

أيها المؤمنون:

يريد الله في هذه الآية أن يرشد الناس إلى الطريق المحتوم وبنهاية الشوط لكل من المفرطين والطائعين المتقين وينبه العقول والقلوب إلى نهاية كل من الفريقين ليختار كل إنسان ما هو خير له وليعمل على ما يوصله إلى ما اختاره لنفسه وأخبر أن كل إنسان مجزى بما عمل من خير أو شر وكأنه يريد القول أي الفريقين خير عندكم وفي اعتقادكم هل هو الذي ألقى في النار يصلّى عذابها أم هو الذي يأتي يوم القيامة آمناً مطمئناً بحسن عمله فيدخل الجنة متمتعاً بنعيمها..

إذا عرفتكم خير الفريقين فاعملوا ما شئتم من خير أو شر فالله الذى خلقكم وبين لكم نهاية الخير والشر مطلع على أعمالكم لا تخفى عليه خافية (أيها المؤمنون) ها هو شهر رمضان قد انتهى وهكذا تنتهى الآجال فلكل أجل كتاب تذكروا أيها المؤمنون، من ماتوا هذا العام من أقاربكم وأصدقائكم وأحبائكم ومعارفكم تذكروا أنهم كانوا فى مثل هذا اليوم يجلسون معكم فى مثل هذا المكان كما تجلسون ويصلون كما تصلون ويتمتعون كما تتمتعون فهاهم قد فارقوكم إلى بطن الأرض حيث انتهت آجالهم وأنتم فوق ظهرها..

تذكروا هؤلاء وترحموا عليهم واتعظوا بالموت وبانتهاء الآجال فكفى بالموت واعظاً ثم تعالوا بنا نحاسب أنفسنا على مما قدمنا فى شهر رمضان الكريم الذى نحن فى نهايته وإذا أردنا أن نجرى الحساب فإنما نجرىه مع الذين دخلوا مدرسة رمضان أما الذين لم يدخلوها بدون عذر فحسابهم على الله ولا حساب لنا معهم لأنهم من الفريق الأول الذى استوجب لنفسه غضب الله فمصيرهم جهنم وبئس المصير أما الذين دخلوا مدرسة رمضان وانتفعوا بدروسها فهم الذين يأتون يوم القيامة آمنين مطمئنين فرحين مستبشرين فيا من وفقكم الله لدخول هذه المدرسة.

هل انتفعتم بدروسها؟ هل امتنعتم عن جميع المحرمات طمعاً فى ثوابه وخوفاً من عقابه كما امتنعتم عن المباحات أثناء صيامكم طمعاً فى ثوابه وخوفاً من عقابه وهل أدركتم فى صيامكم قيمة نعم الله عليكم عندما حرمت منها أثناء صيامكم فقمتم بشكر الله على نعمه؟

وهل أحسستم أثناء صيامكم بآلام الجوع فأدركتم آلام الفقراء الجائعين فقمتم بمعاونتهم والعطف عليهم بما يسد حاجتهم وهل تهذبت نفوسكم أثناء الصيام حين صبرتم على مقاومة شهواتكم من المفطرات فتعودتم الصبر على احتمال المكروه والمشقات..

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

وهل أدركتم تقدماً فى صحتكم بفضل الصيام فعملتم على تربية أولادكم على حبه؟

وهل أدركتم قيمة دينكم بفضل ما تلوتموه من القرآن فى رمضان؟ الذى هو دستور الإسلام والمسلمين وفهمتم قيمة هذا الدستور الأعلى فأخذتم أنفسكم باحترامه..

وهل أدركتم النظم المستفادة من الصيام حيث تحددت مبادئ الصيام وأوقات الإفطار لجميع الأفراد بلا فرق وبلا استثناء هل أدركتم هذا فتعودتم النظام فى جميع تصرفاتكم إن من وفقهم الله لهذا كله هم الفائزون بالنجاح فى هذه المدرسة المنتفعون بدروسها أولئك عند الله هم الآمنون..

اما الذين دخلوا مدرسة رمضان وسيخرجون منها على ماكانوا عليه لا يمتنعون عن المحرمات أو كانوا يصومون ولا يصلون أو يصلون فى رمضان ويتركون الصلاة فى غير رمضان أو جحدوا نعمة الله فلم يشكروا الله على نعمه واستمروا فى بخلهم وشحهم على الفقراء واستمروا فى ازدياد الغضب الطائش والعريضة لأتفه الأسباب فهؤلاء هم الذين خرجوا من مدرسة رمضان خاسرين قد أضاعوا أوقاتهم فيها دون أن يستفيدوا منها شيئاً فلم يوفقهم الله إلى الخير المنتظر من هذه المدرسة وهم الذين وصفهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله: كم من صائم لم يستفد من صيامه سوى الجوع والعطش رواه مسلم.

أيها المؤمنون: اعملوا على أن تحققوا لأنفسكم ولمواطنيكم الفوائد والثمرات التى من أجلها فرض ربكم الصيام عليكم فإنكم إن فعلتم هذا تمت لكم السعادة والسيادة وفزتم برحمة الله وفضله ورضوانه فى الدارين قال صلى الله عليه وسلم: من صام رمضان

وأُتبعه ستة من شوال فكأنها صام الدهر كله رواه أبو داود.

زكاة الفطر:

المقصود بزكاة الفطر: ما يخرج به الإنسان من مال للفقراء والمحتاجين قبل حلول عيد الفطر من شهر رمضان..

وحكمها: أنها فرض عين عند جمهور الفقهاء فقد جاء في الصحيحين البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر في رمضان صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة أي: صلاة العيد وقد فرضها النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بها في السنة التي فرض فيها الصيام من السنة الثانية للهجرة والحكمة من مشروعيتها: شرعت زكاة الفطر لحكم سامية ومقاصد عالية منها: التوسعة على المحتاجين وسد حاجتهم وجبر النقص أو الخطأ الذى يكون قد وقع فيه الإنسان خلال صومه فقد أخرج أبو داود فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال:

فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات. رواه البخارى ومسلم

وتجب زكاة الفطر على كل مسلم قادر على إخراجها حتى ولو كان يملك نصاب الزكاة وإنما يملك ما يزيد عن قوته وقوت أسرته فى يوم العيد ولا مانع من أن يدفع فى هذه الحالة الزكاة لغيره من الفقراء والمساكين وأن يقبلها ما دام محتاجاً لها ويخرجها المسلم عن نفسه وعن الأشخاص الذين تلزمه نفقاتهم كأولاده ووالديه وزوجته

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

وغيرهم ممن هم فى كفالتهم ويتولى الإنفاق عليهم وأفضل وقت لإخراج زكاة الفطر هو ليلة العيد ولا تسقط زكاة الفطر لحاجة المحتاجين الذين قال الرسول فى شأنهم: أغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم رواة مسلم، روى أبو داود عن عبد الله بن ثعلبة رضى الله عنه قال خطب رسول صلى الله عليه وسلم قبل يوم الفطر بيوم أو يومين فقال: أدوا صاعاً من بر أو قمح أو صاعاً من تمر أو شعير عن كل حر أو عبد صغير أو كبير .

والصاع بالكيل المصرى يقدر بقدحين وثلاث والكيله تكفى ستة أفراد عند الحنفية والصاع عند المالكية والحنابلة قدح وثلاث والكيله عندهم تكفى ستة أفراد أما الشافعية فالصاع عندهم قدحان والكيله تكفى أربعة أشخاص والحنفيه وحدهم يرون أنه يجوز دفع زكاة الفطر نقداً، لأن النقود قد تكون أنفع للفقراء وهذا ما يسير عليه معظم سكان المدن المصرية لأن هذا أيسر لهم..

وأما المالكية والشافعية والحنابلة يرون أن دفع زكاة الفطر تكون من غالب قوت البلد سواء كان الغالب قمحا أو أرزا أو شعيراً..

ومصارف زكاة الفطر هى مصارف الزكاة الذين جاء تحديدهم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُؤُجُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠].

ولا يجوز للمزكى نقل صدقة الفطر من بلد إلى بلد آخر إلا لعذر قوى كأن ينقلها لقريب له محتاج أو كأن يكون أهل البلد الذى يعيش فيه حالتهم ميسورة أو ليسوا فى حاجة إلى زكاة الفطر بينما غيرهم فى بلد آخر فى حاجة شديدة إليها..

يقول رسول الله تركت فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدى

انتهاء رمضان وزكاة الفطر

أبدأ كتاب الله وسنة نبيه

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..

* * *

عيد الفطر المبارك

الله أكبر ما رفع كل مسلم صوته فى مثل هذا اليوم الكريم
بالتكبير والتهليل وإظهارا لشعائر الدين ورغبة فى أن ينال من الله
الحظ الأوفر..

الحمد لله الذى توالى نعمه على الصائمين فى رمضان..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل عيد الفطر مكافأة
ومنحة للمجاهدين نفوسهم المكافحين شهواتهم أثناء صيامهم. إنه
بالناس لرءوف رحيم..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله البشير النذير
والسراج المنير صاحب الخلق العظيم اللهم صلى على محمد عبد الله
ورسوله وعلى آله وأصحابه والتابعين..

أيها المؤمنون: -

إن يومكم هذا يوم سعيد إنه يوم فرح وسرور لأنه موسم ربح فيه
من ربح والله يباهى بالأتقياء من أهل الأرض أهل السماوات
فبإسعاد من اغتسل فيه بطيب التقى والعفاف وبإفوز من جمع فيه
إلى لباس الزينة لباس الضراعة والخشوع فالعيد لمن خشى يوم
الوعيد ولمن لمولاه يخلص إخلاص الأتقياء أولئك يفرحون يوم
يحزن الناس ويأمنون يوم يخاف الناس ويرضون عن الله قائلين
الحمد لله الذى أورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر
العاملين..

أيها المسلم لقد انقضى شهر رمضان وكأنه طيف وخيال أو
أضغاث أحلام رحل عنا هذا الشهر الكريم كما رحلت قبله أعوام
وسنن رحل عنا شهر رمضان بأعمال العباد فمنهم المقبول ومنهم
من حقت عليه كلمة العذاب وكتب من الأشقياء فبإسعاد من كان
هذا الشهر شاهداً له بالحسنى وبإسقاء من كان شاهداً عليه بأعماله

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

السيئة ولقد فاز من أحسن صيامه وحفظ لسانه من الغيبة والنميمة والكذب وحافظ على الصلاة وأخرج زكاة الفطر سرأً وعن طيب نفس..

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: "إن رسول الله عليه الصلاة والسلام صعد المنبر فقال: آمين ثم صعد الدرجة الثانية فقال: آمين ثم صعد الدرجة الثالثة فقال: آمين ثم استوى فجلس فقال له معاذ بن جبل: صعدت فأمنت ثلاث مرات فما حكمته يا رسول الله..

قال: أتانى جبريل قال: يا محمد من أدرك شهر رمضان ولم يصمه إلى آخره ولم يغفر له دخل النار فأبعده الله منها فقلت: آمين، وقال: من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يبرهما فمات دخل النار فأبعده الله منها فقلت: آمين، وقال: من ذكر عنده اسمك ولم يصل عليك دخل النار فأبعده منها فقلت آمين رواه مسلم.

عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: إذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم يقول الله يا ملائكتى كل عامل يطلب أجره وعبادى الذين صاموا شهرهم وخرجوا إلى عيدهم يطلبون أجورهم اشهدوا أنى قد غفرت لهم، فينادى منادى يا أمة محمد ارجعوا إلى منازلكم قد بدلت سيئاتكم حسنات فيقول الله تعالى: صمتم لى وأفطرتم لى فقوموا مغفورا لكم . رواه مسلم عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال: رمضان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار .

قال أنس بن مالك: للمؤمنين خمسة أعياد..

١ - كل يوم يمر على المؤمن لا يكتب فيه ذنب فهو يوم عيد.

٢ - اليوم الذى يخرج فيه من الدنيا بالإيمان والشهادة والعصمة من كيد الشيطان فهو يوم عيد.

٣ - اليوم الذى يجاوز فيه الصراط ويأمن من أهوال القيامة

عيد الفطر المبارك

ويخلص من أيدي الخصوم والزبانية فهو يوم عيد..

٤ - اليوم الذى يدخل فيه الجنة ويأمن من الجحيم فهو يوم عيد.

٥ - اليوم الذى ينظر فيه إلى ربه فهو يوم عيد أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

ملاحظة:

على الخطيب أن يجلس بعد إتمام هذه الخطبة جلسة خفيفة ثم يقوم فيكبر سبع مرات ثم يأتى بالخطبة الثانية للجمعة (النعى) ويختمها بقولة: ربنا تقبل منا إنك السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم و اجعلنا من الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

* * *

٣٦ - فضل الدعاء

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير.

وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداه والنعمة المسداة والسراج المنير اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله والتابعين أجمعين.

أما بعد...

فيا عباد الله.. الله يستجيب لدعوة المؤمن إذا كانت خيراً ويمنع الاستجابة التي لا تحقق للمؤمن خيراً وقد يظن الإنسان فى أمر ما خيراً ويعلم الله أنه ليس خيراً له والخير الذى يعلمه الله فوق الخير الذى يعلمه البشر.

والإنسان يتعجل بطبعه وقد يخطئ فيما يراه خيراً بينما هو شر فالرجل فى ساعة الغضب قد يدعو على ولده بالهلاك لكن إذا هلك ولده حزن.

{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا} [الإسراء: ١١].

أصاب المدينة قحط وبينما رسول الله يخطب على المنبر قام رجل وقال: يا رسول الله هلكت الخيل وهلكت الأغنام فادع الله أن يسقينا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء أسبوعاً وإلى أن جاء يوم الجمعة من الأسبوع الآخر قام رجل ورسول الله يخطب وقال يا رسول الله تهدمت بعض البيوت من المطر فادع الله أن يحبس المطر فابتسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم حوالينا ولا علينا فابتعد السحاب ليمطر

حول المدينة فقط وصدق الله:

{ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ } [الأنبياء: ٣٧].

س ١: وهل يستجاب دعاء الكافر؟

ج ١: لا يستجاب بدليل قوله تعالى: {وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر: ٥٠].

وما نراه حولهم من متع الدنيا هو نقمة وليس نعمة لأن الله يقول: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [محمد: ١٢].

س ٢: وهل الدعاء يرد القضاء والبلاء؟

ج ٢: نعم الدعاء عدو للبلاء يقاومه ويمنع نزوله أو يضعف قوته إذا نزل وللدعاء مع البلاء ثلاث حالات:

الأولى: أن يكون أقوى من البلاء فيمنعه ويرده.

الثانية: أن يكون أضعف من البلاء فيتغلب عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن الدعاء يخففه

الثالثة: أن يتقاوما ويمنع كل منهما الآخر قال صلى الله عليه وسلم: الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان ويقاوم أحدهما الآخر إلى يوم القيامة رواه مسلم.

وفى حديث آخر: لا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه رواه البخاري ومسلم.

نتيجة الدعاء: -

والمسلم ينال من دعائه إحدى ثلاث: -

١ - إما أن تعجل له دعوته.

٢ - وإما أن تدخر له فى الآخرة.

٣ - وإما أن يبعد الله عنه من السوء والشر ما يعادلها.

نصيحة ابن أدهم:

اجتمع إبراهيم بن أدهم بأهل البصرة قالوا: ما بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا.

قال: لأن قلوبكم ماتت. قالوا: ما الذى أماتها؟ قال: عشر خصال:

١ - عرفتكم الله فلم تؤدوا حقه.

٢ - وزعتم حب النبى صلى الله عليه وسلم وتركتم سنته.

٣ - وقرأتم القرآن ولم تعملوا به.

٤ - وأكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها.

٥ - قلتم إن الشيطان عدوكم واتبعتموه.

٦ - قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها.

٧ - قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.

٨ - قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

٩ - اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

١٠ - دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

قصة أبو حمزة الخرسانى:

أبو حمزة الخرسانى خرج للحج ومشى فى الصحراء ليلاً متوكلاً على الله فوقع فى بئر قال: فأردت أن أستغيث ولكننى قلت: بمن أستغيث ولا آدمى هنا..

فبينما أنا أحدث نفسى إذا برجلين يمران على مسافة قريبة من البئر فقلت: أصبح اليهما ولكننى سكت وقلت: أصبح بمن هو أقرب

فضل الدعاء

منهما ألم يقل الرب: {وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦]، ثم سكوت فإذا بشئ يتدلى في البئر فتعلقت به وخرجت فإذا هو ذيل سبع فنظر إلى وانصرف فهتف بى هاتف يا أبا حمزة:

قد يعطى الله الخير بدون سؤال ففي الحديث القدسي: من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أضعاف ما أعطى السائلين رواه أبو داود.

استجابة الله للمظلوم:

وهو يستجيب دعاء المظلوم قال صلى الله عليه وسلم: اتقوا سهام الليل قالوا وما سهام الليل يا رسول الله؟ قال: دعوة المظلوم في جوف الليل رواه مسلم.

ونذكر قول الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا :: فالظلم ترجع عقباه إلى الندم
تمام عيناك والمظلوم منتبه :: يدعو عليك وعين الله لم تنم
من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١ - ومن الدعاء حال التوجه إلى المسجد ما روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة وهو يقول: اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصرى نوراً وفي سمعى نوراً وعن يمينى نوراً وخلفى نوراً وفي عصبى نوراً وفي لحمى نوراً وفي دمي نوراً وفي شعري نوراً رواه البخاري ومسلم.

٢ - ومن دعائه: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى وأسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً رواه مسلم.

٣ - ومن دعائه صلى الله عليه وسلم: اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى واصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى إليها معادى واجعل اللهم الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى

اللائلئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

من كل شر يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفه عين رواه مسلم.

٤ - ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من البخل والجبن وأعوذ بك من غلبة الدين ومن قهر الرجال رواه البخارى.

٥ - ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت رواهما البخارى.

من دعاء الأنبياء فى القرآن:

١ - من دعاء إبراهيم: { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: ١٢٨].

٢ - { رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٢٥٠].

٣ - { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } [البقرة: ٢٨٦].

٤ - ومن دعاء إبراهيم: { رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ } (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنى كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِىَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفَى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَاةِ

فضل الدعاء

وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٤١].

٥ - {رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَقْفَهُ أَقْوَلِي ﴿٢٨﴾} [طه: ٢٥ - ٢٨].

قصة أحمد بن حنبل وتلميذه:

مرضت والدته أحد تلاميذه مرضاً أقعدها عن المشي وتعب التلميذ في علاجها أكثر من عشر سنوات وشكى يوماً إلى زميل له فدله على الإمام أحمد ليطلب دعاءه لها.

وذهب الشاب إلى الإمام وقص عليه قصة أمه فقال الإمام: يا بني نحن الذين في حاجة إلى دعائها ولم يدع لها فخرج الشاب حزينا ولما انصرف لحقت به عجوز من داخل الدار وقالت له: أبشر فوالله ما غادرت المكان حتى توجه الإمام إلى الله ودعا لها وذهب الشاب إلى منزله وطرق الباب وكم كانت دهشته إذ جاءت أمه تفتح له الباب لقد سرى إلى السماء دعاؤه في لمح البصر وكان مقبولا عند الله.

الدعاء من غير طاعة لا يفيد:

١ - سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من رمى بسهم في سبيل الله قال يا رسول الله ادع الله لي أن أكون مستجاب الدعوة وكان يكفي أن يرفع يديه ويدعو ربه ليكرم سعد باستجابة الدعاء.. ولكنه لم يسلك هذا الطريق وإنما دله على العمل الصالح فقال له: يا سعد أظب مطعمك تستجب دعوتك وواظب سعد على أكل الحلال حتى أصبح مستجاب الدعاء وكان يرى السنبلة في حشيش دوابه فيقول؟ ردوها من حيث حصدتموها وقد كف بصره وهو كبير فقيل له: ادع الله أن يعيد إليك بصرك فقال: أعلم ذلك ولكن قضاء الله أحب إلي من رد

بصرى.

وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يتحسر على فراق رسول الله فى الآخرة ويطلب من الرسول أن يكون رفيقه فى الجنة فكان يكفى أن يدع له رسول الله ويطمئنه ولكن الوحي ينزل بالقرآن مرشداً إلى طريق الوصول إلى رسول الله فى الآخرة وهو الطاعة لله ورسوله: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً} [النساء: ٦٩، ٧٠].

٣ - ويجمع الرسول أعز الناس عنده فاطمة وصفية بنت عبد المطلب والعباس.

ويقول: يا فاطمة ابنتى ويا صفية عمتى ويا عمى العباس اعملوا فىنى والله لست أغنى عنكم من الله شيئاً إن لى عملى ولكم عملكم رواه مسلم. وكان يكفى أن يرفع يديه ويدعو الله أن يجعلهم من أهل الفردوس الأعلى وهو الطاهر الأنفاس المقبول الرجاء المستجاب الدعاء لأنه يطبق قانون العمل والطاعة يا بنى عبد المطلب لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأنسابكم: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

٤ - وكان صلى الله عليه وسلم يدعو ربه لنصرة الحق ولكن بعد أن يأخذ بالأسباب ويعد العدة وينزل بنفسه إلى الميدان ويدير خطط الحرب ويأمر أصحابه بالتقوى: {وَكَايْنِ مِّنْ نَّبِيٍّ قَتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا} [آل عمران: ١٤٦].

٥ - الاهتمام بالناس وإكرامهم وعدم ظلمهم من عناصر استجابة الدعاء وقال صلى الله عليه وسلم لأنس: يا بنى إذا قدرت أن تصبح

وتمسى وليس في قلبك غش لأحد فافعل يا بنى إن ذلك من ستنى فمن أحيى ستنى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة رواه مسلم.

٦ - ويزداد الإنسان صفاءً وقبولاً بحبه للقرآن ولرسول الله أما القرآن فقد قال صلى الله عليه وسلم: إذا أحببت أن أناجى ربي قرأت القرآن وقال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قالوا: يا رسول الله، فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن رواه النسائي عن أبى ذر قال: قلت: يا رسول الله أوصنى قال: عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كله قلت: يا رسول الله زدنى، قال: عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض وذخرا لك فى السماء رواه مسلم.

الدعاء واليقين من الإجابة:

قصة أبى الدرداء: -

جاء رجل إلى أبى الدرداء وقال شب حريق وقد احترق بيتك فقال أبو الدرداء لم يحترق ولم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح.

“ اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شئ قدير و أنه قد أحاط بكل شئ علماً اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم “ ثم قام ابو الدرداء مطمئناً فإذا به يجد البيوت التى حول بيته قد احترقت وأما بيته فلم يصبه أذى، رواه البيهقى.

“ الطاعة والإحسان نعمة وجحود النعمة يعرضها للزوال .”

١ - الله يعطيك الصحة فتستخدمها فى إيذاء الناس.

٢ - ويعطيك المال فتتفقه فى المعصية.

٣ - وينعم عليك بالعقل فتستغله فى الفساد.

وهنا يبدل الله الصحة مرضاً والمال فقراً والعقل جنوناً أو ضعفاً والعزة ذلاً.

ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة.

* * *

٣٧ - الدعاء عبادة عظيمة

الحمد لله الذى يوفق من أقبل عليه ويكرم كل من رجع إليه وأشهد بما شهد به لنفسه " أشهد أن لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير اللهم صلى عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين..
أما بعد..

فيا عباد الله... عن عبد الله بن عباس قال: كنت أصلى خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف، رواه البخارى ومسلم.

شرح الحديث: -

احفظ الله بالطاعة والبعد عن المعصية يحفظك الله فى نفسك وأهلك ودنياك ودينك... إذا سألت فاسأل الله لأنه لا يصح للإنسان أن يسأل غير ربه وفى الحديث: ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شمس نعله (رواه مسلم) ومن هنا قال لموسى: سلنى فى دعائك حتى فى ملح طعامك.

الدعاء عبادة عظيمة: -

قال صلى الله عليه وسلم: لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة رواه

مسلم وقال: وما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له فى الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها رواه البخارى وقال صلى الله عليه وسلم: من لم يسأل الله غضب عليه (رواه مسلم).

وقال الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله :: وبني آدم حين يسأل يغضب
ولو سئل الناس التراب لأوشكوا :: إذا قيل هاتوا أن يملوا فيمنعوا
فما أعظم أن يلوذ المسلم بالله وأن يقف ببابه سائلاً والدعاء
مطلوب فى اليسر لتستديم النعمة ومطلوب فى الشدة لاستمطار
رحمات الله.. قال تعالى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْكَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ
يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنعام: ١٧].

قال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم
خُلَفَاءَ الْأَرْضِ} [النمل: ٦٢].

وفى قصة زكريا بعد أن بلغ به اليأس بامرأته حيث كانت عقيماً
لا تلد استجاب الله له.

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ} (٨٩)
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا
يُكْفَرُونَ فى الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ {
[الأنبياء: ٨٩، ٩٠]. وفى القرآن آيات كثيرة إذا قرأها الإنسان استغنى
بالله عن الناس.

سؤال الله: -

وسؤال الله هو الدعاء وليس شئ أحب إلى الله منه وقد جاء فى
الأثر أن الدعاء مخ العبادة أي هو منها بمنزلة المخ فى الإنسان وفى
الحديث: الدعاء هو العبادة ولعل السر فى ذلك حضور القلب عند

الدعاء والدعاء شكوى إلى الله ولذلك حثنا القرآن عليه .

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلِّهِمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦].
 {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

وفى الحديث: سلوا الله من فضله فإن الله عز وجل يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج رواه البخارى.

إجابة الدعاء:

وقد ضمن الله الإجابة ولكن فى الوقت الذى يريده هو لا فى الوقت الذى تريده أنت وفى الحديث: إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته وإما أن تدخر له فى الآخرة وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها رواه ابن ماجة.

اختلاف الداعين:

ومن عباد الله من يحب أن يسمع دعاءهم فيبتليهم ليقولوا يارب ومنهم من ينطبق عليهم: إذا سأل عبد ربه مسألة يقول الله: يا جبريل اعطه مسألتة فإنى لا أحب أن اسمع صوته.

أقسام الدعاء: -

١ - واجب كأن تسال الله الإيمان وحسن الختام.

٢ - مندوب كالدعاء لطلب الرزق والإنجاب والمغفرة والهداية وكل دعاء ورد فى القرآن. والسنة فهو دعاء جائز يشمل المندوب والواجب.

٣ - الدعاء المحرم أن تدعو الله بدعوة فيها سوء أدب أو بأن تقول: اللهم اغفر لى إن شئت لقوله صلى الله عليه وسلم: لا يقل

أحدكم اللهم اغفر لى إن شئت لأن هذا متضمن معنى الاستغناء وعدم الاحتياج رواه مسلم، وكأنك تقول إن شئت أن لا تغفر فلا تغفر.

ومن الدعاء المحرم دعاء اللص حين يسرق...

ومن الدعاء المحرم: اللهم اغفر للمؤمنين جميع ذنوبهم أو اللهم لا تضيق على أحد من خلقك أبداً أو اللهم لا تدع لأحد من المؤمنين فى هذا اليوم ذنباً إلا غفرته ولا عيباً إلا سترته لماذا؟ لأن سنة الله فى الكون اقتضت أن يغفر للبعض دون البعض وأن يعافى فريقاً دون الآخر وإنما يكون الدعاء عام للمؤمنين بدون تحديد..

{يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَإِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

٤ - الدعاء المكروه: مثل قول بعض المأمومين استعنت بالله حين يقول الإمام إياك نعبد وإياك نستعين لأن الفاتحة نفسها دعاء ومن هنا يجب على المأموم السكوت حتى إذا قال الإمام ولا الضالين قال آمين بمعنى استجب يا الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: إن اليهود لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على يوم الجمعة التى هداها الله إليها وضلوا عنها وعلى القبلة التى هداها الله إليها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بها صوته والمأمون خلفه يجهر بها حتى يرتج المسجد ذلك فى صلاة المغرب والعشاء والصبح.

ومن الدعاء المكروه التعجيل بالعقوبة فى الدنيا فعن أنس أن رسول الله عاد رجلاً من المسلمين قد ضعف فصار مثل الفرخ - أي ضعيف - فقال له: هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه قال: نعم، كنت أقول: اللهم إن كنت معاقباً لى فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه

أفلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار
رواه الترمذي.

والدعاء المكروه: مثل تمنى الموت لضر نزل به قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد
متمنياً فليقل اللهم أحيى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة
خيراً لى رواه مسلم.

آداب الدعاء وشروطه:

أولاً: آداب تسبق الدعاء:

١ - الوضوء. ٢ - التوبة ورد المظالم.

٣ - الأكل الحلال والمشرب الحلال والملبس الحلال، إنما يتقبل
الله من المتقين. قال صلى الله عليه وسلم: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً

وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا
الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون: ٥١]، ثم ذكر: الرجل يطيل
السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام
وغذى بالحرام فأنى يستجاب له رواه البخارى ومسلم.

فأكل الحرام مانع من إجابة الدعاء وفعل المعاصى عموماً مانع
من إستجابة الدعاء فقال تعالى: {لِيَلِيَهُ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ} [فاطر: ١٠].

٤ - ترقب الأوقات الفاضلة كالسحر وأثناء نزول المطر وعند
إقامة الصلاة وعند اشتداد الكرب وبين الأذان والإقامة ووقت السحر
وعند الفجر ويوم الجمعة وعقب تكبيرة الإحرام وفى آخر التشهد وقبل
السلام وعند صعود الإمام على المنبر يوم الجمعة وحتى انتهاء
الصلاة ووراء الصلوات المفروضة قال صلى الله عليه وسلم: إن

لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً رواه البخارى ومسلم.

ثانياً: آداب أثناء الدعاء: -

١ - التوجه للقبلة.

٢ - بدأ الدعاء بذكر الله ويقدم صدقة إن أمكن.

٣ - رفع اليدين.

٤ - البدء بالحمد والثناء.

٥ - ثم الصلاة والسلام على رسول الله ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة والسلام على رسول الله لأن الصلاة على النبى مقبولة والله أكرم من أن يقبل الصلاتين ويرد الدعاء الذى بينهما.

٦ - يخفض الصوت بحيث يكون بين الجهر والمخافتة.

٧ - يدعو بالمأثور من كتاب الله وسنة رسوله وفى ذلة وانكسار وخشوع.

٨ - التيقن من الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم: ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه .

٩ - يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثاً: {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} [الأعراف: ٥٥].

١٠ - لا ترفع بصرك إلى السماء.

١١ - امسح وجهك بيديك.

ثالثاً: آداب بعد الدعاء:

١ - دوام الخشوع.

٢ - المبالغة فى التقرب إلى الله لأنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا

رفع إلا بتوبة.

٣ - انتظار الفرج ففي الحديث القدسي: من ذا الذي دعاني فلم أجبه وسألني فلم أعطه واستغفرني فلم أغفر له وأنا أرحم الراحمين حديث قدسي.

الإمام البخاري:

ذهب بصره وهو صغير وعمى وكانت أمه مجابة الدعوة فدعت له فرأت رسول الله في المنام يقول لها قد رد الله بصر ابنك لكثرة دعائك وقامت من نومها مسرعة إليه فإذا بصره قد رد إليه وقد ألهم حفظ الحديث في صغره وهو ابن عشر سنين أو أقل وحج به أبوه وكان الإمام مسلم كلما دخل عليه يسلم ويقول دعني أقبل رجلك يا طيب الحديث ومن شعره:

اغتنم من الفراغ قدر ركوع :: فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم :: ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

سعيد بن جبیر:

هو سيد التابعين.. حين أراد الحجاج قتله قال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى فما قتل أحداً بعده وأصيب الحجاج بغيبوبة وكان يرى سعيداً في المنام أخذاً بمجامع ثوبه قائلاً له: يا عدو الله لماذا قتلتني؟ وحدث الحجاج قبل وفاته في هذه الغيبوبة لقد قتلني ربى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلني بسعيد بن جبیر سبعين قتلة.

عثمان بن عفان:

رؤى رجل يصيح: النار النار فاجتمع الناس حوله يسألونه قال كنت من الذين دخلوا على عثمان ليقتلونه في أيام الفتنة فلما اقتربت منه حالت بيني وبينه زوجته فلطمتها على وجهها لظمة شديدة فقال عثمان قطع الله يديك وبتر ساقيك وأعمى عينيك وأدخلك النار وقد استجاب الله دعاء عثمان فقطعت يداى وعميت عيناى ولم يبق من

دعوته إلا النار.

وفى هذا اليوم كان عثمان صائماً وفى وقت القيلولة أخذته سنة من النوم فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد مات منذ أكثر من خمسة عشر سنة قال له صلى الله عليه وسلم فى رؤياه أحاط بك الثوار ليقتلوك، قال: نعم، قال: إن شئت دعوت الله فنصرك عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فقال عثمان: بل أفطر عندكم يا رسول الله وانتبه من نومه وقبل الغروب اعتلى الثوار بيته وقتلوه وهو يقرأ القرآن.

شروط إجابة الدعاء:

- ١ - التيقن من الإجابة.
- ٢ - الخشوع والتذلل فى الدعاء.
- ٣ - عدم الاستعجال.
- ٤ - أكل الحلال.

قصة سب على وطلحة والزبير:

سمع سعد بن أبى وقاص رجلاً يسب علياً وطلحة والزبير فنهاه فلم ينته فقال سعد للرجل: أترضى أن أدعو عليك؟ فقال الرجل مستهزئاً أراك تهددنى فكأنك نبى فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه وقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً سبقت لهم منك الحسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم فاجعله آية وعبرة.

ولم يمض إلا وقت يسير حتى خرجت ناقة من إحدى الدور لا يردّها شئ ودخلت فى زحام الناس كأنها تبحث عن شئ ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها وما زالت تتخطيه حتى مات.

موسى والعشب:

مرض موسى فلما كلم ربه وهو فى طور سيناء سأله عن شئ يستطب به فدلّه على عشب فى الصحراء فأخذه موسى واستخدمه فشفاه الله وبعد مدة عاوده المرض نفسه فأسرع إلى الصحراء وأخذ العشب الذى استخدمه فى المرة الأولى ولكن المرض اشتدّ عليه وهو فى طور سيناء سأل ربه لماذا لم أشف هذه المرة فقال الله له: إنك فى المرة الأولى لجأت إلىّ ولكن فى المرة الثانية لجأت إلى العشب ونسيت أننى أنا الشافى.

الدعاء ينفع فى حسن الخاتمة:

قال صلى الله عليه وسلم: إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها رواه البخارى ومسلم.

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

* * *

٣٨ - الإسلام وتصرفات بعض المسلمين

الحمد لله الذى رضى لنا الإسلام ديناً وجعل فيه العزة للمسلمين حصناً حصيناً وركناً قوياً متيناً حيث جعل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعد بالمغفرة والرضوان من كانوا لأحكام الإسلام منفذين وبتعاليمه متمسكين وبأخلاقه متخلقين وأوعد بالذلة والشقاء والخسران من كانوا معرضين ولأحكام الإسلام جاحدين ولأخلاقه وتعاليمه محتقرين وعن آدابه مستكبرين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله سيد المرسلين وقوة الهداة والمصلحين اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

أما بعد..

فيا عباد الله.. يقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران: ١٩].

أيها المؤمنون: الإسلام هو الدين الحق ولا يقبل الله التعبد بغيره.. والإسلام هو الاستسلام والانقياد إلى طاعة الله..

فأفراد من المسلمين قد انتسبوا إلى الإسلام بحكم بيئتهم وأسرهم فهم يعتزون بانتسابهم إلى الإسلام ويفخرون بأنهم مسلمون ويتخذون اسم الإسلام تاجاً وشرفاً لهم أينما كانوا ولكن أعمالهم تناقض تعامل

الإسلام فلا يمثلون أمره ولا يجتنبون نهيه ولا ينفذون أحكامه ولا يحترمون تعاليمه ولا آدابه..

وإذا تقدم إليهم ناصح أو واعظ يبصرهم بأخطائهم ويرشدهم إلى وجوب الرجوع إلى أحكام دينهم واحترامهم لها بالتقديس والتنفيذ ضاقت صدورهم منه واشمأزت نفوسهم واحتقروه وربما بالسنة حداد..

فهؤلاء المعاول التي تحاول هدم الدين من أساسه ولكن الله يحفظ دينه وسأسوق لكم عدة أمثلة توضح لكم ما أقول فالمرأة التي تسير في الطريق سافرة كاشفة رأسها محتقرة تعاليم الإسلام وإذا تقدم إليها ناصح اشمأزت نفسها ونراها بعد هذا تزعم أنها مسلمة وهي تفعل ما يخالف تعاليم الإسلام وتغضب الجبار رب الإسلام. والتاجر الذي يسلك سبيل الغش والجشع والشر والاحتكار ليسلب الناس أموالهم بالباطل دون أن يراعى للإسلام قداسة ولا لأحكامه حرمة ولا لتعاليمه هيبة وكأن همه كله أن يستولى على أموال الناس من حرام أو حلال دون أن يرقب فيهم إلا ولا ذمة غير مبال بما أعد له من سوء المصير وإذا دعى إلى الرجوع عن هذه المنكرات خوفاً من بطش الله وعذابه وطمعاً في رحمته ضاق صدره واشمأزت نفسه وكاد أن يفتك بالداعى معلناً احتقاره لتعاليم الإسلام التي تحول بينه وبين جشعه وغشه زاعماً أنه لا يستطيع أن يعيش إلا بهذا العمل وكأنه يعتقد أن أحكام الدين ظالمة لأمثاله نراه بعد هذا كله يدعى الإسلام ويفخر بانتسابه للإسلام..

وكل من الصانع والعامل الذي تعود خلف الوعد وتعود الغش في عمله والكذب على الناس ابتغاء الحصول على المال ولو من حرام دون مبالاه بأحكام الإسلام وتعاليمه..

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

وإذا دعى إلى ترك هذه الجرائم غضب وضاق صدره وسلك المسلك الذى سبق بيانه بالنسبة للتاجر معلناً عدم اكترائه بأحكام الدين..

وبعد هذا يزعم أنه مسلم ويفخر بانتسابه للإسلام..

وشاهد الزور الذى يذهب إلى ساحة القضاء ويقسم بالله أمام القاضى أن ينطق بالحق ثم يؤدى شهادة الزور كاملة إما استيفاء لصداقة أو حرصاً على أجر تافه وإذا ذكر من أحد بعظم جريمته وبين له أن الرسول عدها من كبائر الموبقات وقال فيها بعد أن أقسم: لن تزول قدم شاهد الزور حتى يكبه الله فى النار رواه مسلم.

إذا ذكر بهذا كله ضاق صدره وزاد غضبه وربما فكر فى الفتك بمن ذكره بأحكام دين الله زاعماً أنه مضطر إلى هذا كوسيلة لعيشه، إبقاء على صداقة أو جوار ولا يهمه بعد هذا غضب العزيز الجبار نراه بعد هذا يزعم أنه مسلم ويفتخر بانتسابه للإسلام..

والرجل الذى أصيب بموت أحد من أفراد أسرته يفتح الباب على مصراعيه للنساء يكفرن جهاراً فى بيته بفعل ما برئ منه رسول الله من اللطم وشق الثياب والنطق بالألفاظ المكفرة.

يفعل هذا مجاراة للناس وخوفاً من لومهم عليه..

وإذا ذكر من أحد بعظم جريمته وأخبره أنه شريك لهؤلاء النساء فى جرمهن لأنه هو الداعى لهن وأسمعه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ومن دعى إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه رواه البخارى ومسلم.

إذا ذكر بهذا ضاق صدره وقال معذراً أو محتقراً لما سمع..

هذه عادات الناس لا أستطيع أن أخالفها وكأنه بهذا يرى أن خوفه

الإسلام وتصرفات بعض المسلمين

من لوم الناس إذا خالف العادة أشد على نفسه من خوفه من الله الذي نهاه عن هذه المنكرات ونراه بعد هذا يزعم أنه مسلم ويفخر بانتسابه للإسلام. والعالم الذي يكتم علمه عن الناس أو يفتى بما يخالف الإسلام مجارة للعصاة ومجاملة لهم على حساب الدين أو يشاركهم فيما يفعلون من المنكرات كالخمر والحشيش مجارة لهم أو يخرج امرأته أو ابنته مكشوفة الرأس إرضاء لها أو مجارة للناس كي يصفوه بالتمدين وهو الذي يعلم عظم هذه الجرائم ويعلم ما أعده الإسلام من الوعيد لأصحابها..

وهو الذي يقرأ أو يشرح قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

وهو الذي رفع الإسلام شأنه بما علمه من أحكامه وكان الدين ولا زال مورداً لرزقه ورزق أسرته وإذا استلقت نظره إلى هذه المخالفات أخذته العزة بالإثم وازداد غضبه وزعم أنه مضطر إلى هذا مجارة للناس وسيراً في إطارهم كي لا يصفوه بالتأخر والرجعية والجمود.

فكأن كل همه أن يرضى الناس ليكون مشكوراً عندهم ولو بما يغضب الله ويخالف تعاليم الدين الذي ارتفع شأنه بسببه فلا خير فيه لدينه الذي هو مورد رزقه فهو وأمثاله من المعروفين باسم علماء السوء الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم: ما أخاف على أمتي من الدجال مثل ما أخاف عليهم من علماء السوء رواه مسلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم: أخوف ما أخاف على أمتي منافق سليط اللسان رواه الترمذي.

وهو بعد هذا يزعم أنه مسلم ويفخر بانتسابه إلى الإسلام وبكونه

من العلماء..

والذين يشربون المخدرات والآكلون أموال الناس بالباطل كالسرقة والغصب والرشوة والآكلون لأموال اليتامى والسفاكون للدماء والمغتابون والنامون والمعرضون عن الصيام بدون عذر كل هؤلاء إذا ذكروا بعاقبة جرائمهم ونهوا عنها ودعوا إلى تركها والرجوع إلى دين الإسلام ضاقت صدورهم وفكروا فى تدبير المكائد للداعى كى يستريحوا منه ومن صوت الدين الذين يدعوا إليه نراهم بعد هذا يزعمون أنهم مسلمون ويفخرون بانتسابهم للإسلام.

فيا أيها المؤمنون...

يحدثنا الرسول صلى الله عليه وسلم :المسلم قلعة فلا يؤتى الإسلام من قبله ومعنى هذا؟ أن المسلم بالنسبة للإسلام حصن وحارس فلا ينبغى أن يُجرح الإسلام من قبل المسلم وسأضرب لكم مثلاً من أنفسكم يوضح لكم الحديث..

إن الرجل منا على زوجه وآل بيته حصن وحارس..

فهل يليق بالكرامة أن تعرض زوجتك أو إحدى محارمك للاعتداء على عرضها أو النيل من عفافها؟

الجواب طبعاً لا..

فكان ينبغى أن تكون هكذا نحو الإسلام ولكننا قد تساهلنا فيه حتى آل إلى السقوط والانهيـار وتهاونا فى أحكامه حتى كادت أن تنتهى بالدمار وحتى كاد أن يتمكن منا أعداء الله الذين هم أهل النار..

فعار عظيم قد لحق الإسلام والمسلمين وأيما عار فيا لهوان الإسلام وذلة المسلمين

فيا أيها المسلمون..

هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون المنتسبون إليه المف اخرون
به وهذه هي أعمالهم أستم معى فى أن هؤلاء معاول هدم للإسلام
باسم المحافظة على الإسلام

فرققاً بنا يا خالق السماوات والأرض رققاً بنا يا من عليك يكون
العرض رققاً بنا فقد تركنا السنة وأضعنا الفرض رققاً بنا وشفقة
علينا
يا أرحم الراحمين.

أيها المؤمنون: حسبكم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: والذي
نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده
ونفسه الذى بين جنبيه والناس أجمعين رواه البخارى ومسلم
وليس معنى المحبة أن نبكى عند ذكر اسمه ونحن لا ننفذ له أمراً
إن مظهر المحب الطاعة وإن المحب لمن يحب مطيع فمحبتنا
للرسول التى يريدنا منا لا تتحقق إلا بطاعتنا له واتباعنا لهديه وإن
لم نفعل كنا كاذبين فى ادعائنا المحبة للرسول صلى الله عليه وسلم..
فيا أيها المؤمنون..

إنما أعظمكم بواحدة هى أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تعملوا
على نصرة دينكم وحمائتكم له من أن تعبت به أيدي العابثين ولن يتم
لكم هذا إلا إذا قاومتكم نفوسكم وأهواءكم وشهواتكم ونساءكم ورفضتم
قوانين التقاليد والعادات ورجعتم إلى أحكام دينكم تقدسونها وتعملون
على تنفيذها وتجاهدون نفوسكم فى سبيل نصرة دينكم حق الجهاد
ولا تخشون فى الحق لومة لائم.

فإن لم تفعلوا هذا ضاع عزكم وتشتت شملكم وتفرق جمعكم
واختلفت كلمتم وتقلص الظل الذى تقيأه المسلمون قبلكم فالعدو
وراءكم ينتهز الفرصة لهدم دينكم والجنة والنار أمامكم كل منهما

تنتظر أهلها منكم والدين يطالبكم بحقه الذى وجب عليكم والله رقيب عليكم ولن يترككم أعمالكم فإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ومعنى نصرتنا لله: أن تنصروا دينه بتنفيذ أحكامه.

{يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧].

“وإن تؤمنوا وتتقوا ربكم حق تقوا يؤتكم أجوركم كاملة مستوفاة“.

فاتقوا الله أيها المسلمون واشكروه على ما أولاكم به من النعم وعلى أن رضى لكم الإسلام ديناً ووفقكم لتكونوا من المسلمين واجعلوا فخركم بانتسابكم إلى الإسلام ظاهراً فى أقوالكم وفى أفعالكم نسودوا وتفوزوا بالسعادة الأبدية فى الدارين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به . رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء .

قالوا ومن الغرباء يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وسلم: هم الذين يحبون ما أمات الناس من ستنى رواه البخارى.

وفى رواية: هم الذين يصلحون عند فساد الناس .
توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون

* * *

٣٩ - الإخلاص لله في كل أعمالنا

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) { [الأنعام: ٢ - ٣].

أحمده وأستعينه وأستغفريه وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له سبحانه أكرم بفضل عبادته المخلصين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا أمرنا بالإخلاص له وحده في العبادة سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين وأتم به النعمة وأكمل به الدين وأنزل عليه البشيرة وذلك في قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

اللهم صلى وسلم وبارك على محمد وعلى آله الذين آمنوا به واتبعوا النور الذي أنزل معه فكانوا من الفائزين ونسأل الله أن يجعلنا ممن سلك سبيلهم ونسج على منوالهم إلى أن نلقى الله رب العالمين.. أما بعد...

فيقول الله الواحد الأحد: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (٢٥) { [الأنبياء: ٢٥].

ويقول تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٨) { [آل عمران: ١٨].

أيها المؤمنون..

لا إله إلا الله إنها كلمة التوحيد والإخلاص وهى الكلمة الطيبة التى أوحى الله بها إلى الرسل جميعاً وجعلها أساس الديانات جميعاً وشهد الله لنفسه بها وشهد معه الملائكة وأولوا العلم ممن آتاهم الله الحكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب.

من أجلها خلق الله العالم وخلق السماوات والأرض ونصب الموازين يوم القيامة وجعل الناس فريقين: فريقاً فى الجنة وفريقاً فى السعير.

وتنص هذه الكلمة المباركة (لا إله إلا الله) على أنه لا بد أن يبرأ العبد من عبادة غير الله وأن يخلص لله سره ونجواه فهذا الإخلاص والميثاق الذى يعاهد به العبد ربه لا يشرك به أحداً أو يطلب من غيره مدداً فمعناها: لا معبود بحق إلا الله وكل معبود سواه فتأليهه شرك وباطل لأن الله وحده هو المستحق لجميع العبادات القلبية والبدنية.

ولا عجب فهو رب الفضل والكرم وصاحب الجود والنعيم قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْفُتُوا} [فاطر: ٣].

وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الروم: ٤٠].

وإن ذنوب العبد مهما عظمت فإنه يرجى لها التجاوز والغفران من الله الذى وسعت رحمته كل شئ..

أما الشرك فلا رجاء فيه لمغفرة أو رحمة.. {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ١١٦].. وقال صلى الله عليه وسلم: من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار رواه مسلم.

فالشرك محبط للأعمال ومخرج للعبد من رحمة الله ومهما قدم المرء من الصالحات فهي تذهب هباء ولا يكون لها عند الله وزن ما دام مشركاً بالله تعالى لا يؤدي له ما ينبغي أن يؤديه عبد لرب أوجده وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة..

قال تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [النحل: ١٨]. وإن وحدانية الله تعالى تتطلب من العبد الخضوع والاستسلام لمعبوده وصدق التوجه عند كل شدة واللجوء إليه كرب والاعتقاد بأنه لا مغيث ولا مجيب ولا مجبر إلا الله وحده ويقتضى هذا الاعتقاد من العبد ألا يستغيث بغير الله وألا يسأل أحداً غير الله وألا يطلب من أحد ممدداً إلا من الله ولا يتوكل إلا على الله وألا يركن إلا إلى قدرة الله فهو الذى بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه.

قال تعالى: {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَكْفُرُونَ} (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَكْفُرُونَ} (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَكْفُرُونَ} (٦٤) [النمل: ٦١ - ٦٤].

هذه آيات القرآن الناطقة بأن الله وحده هو صاحب التصريف فى

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

ملكه وهو صاحب القدرة والعظمة فى ملكوته لا يشاركه أحد فى خلقه فى افعاله أو صفاته.

وحاشا لله أن يترك عبده محتاجاً إلى معونة مخلوق أو مساعدة عبد عاجز لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

أيها المسلمون:

فاتقوا الله وأخلصوا لله عقيدتكم وعبادتكم واعلموا أن أحداً من خلق الله أياً كانت صفته لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً.. فاتجهوا إلى الله دائماً فيما تحتاجون اليه واستعينوا به وحده عند نزول كل شدة وحلول كل مكروه فهو الذى يكشف السوء ويزيل الكرب ويفرج الهموم ماض فيهم حكمه عدل فيهم قضاؤه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه..

قال تعالى: {هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ} [فاطر: ٣].

قال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: ٣٦].

وقال تعالى: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل: ٩].

فعليك أيها المؤمن ألا تلجأ فى شئ من عبادتك إلا إلى الله وحده ولا تستعين إلا به وحده خصوصاً وأنت تقطع على نفسك عهداً قوياً بينك وبين ربك عدة مرات فى كل يوم وليلة بأنك لا تعبد إلا هو ولا تستعين إلا به وذلك حين تقرأ فى سورة الفاتحة فى كل ركعة من ركعات الصلاة: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥].

فيجب أن يكون عملك موافقاً لقولك الذى قطعت به العهد على

الإخلاص لله فى كل أعمالنا

نفسك مع الله واحذر أن تكون ممن قال فيهم: {يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَمْنُونَ تَقْوُورًا} مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

واعلم أيها المؤمن أن العبادة ليست قاصرة على الصلاة والصيام والحج بل إن العبادة تتناول بعد هذا جميع الأعمال الصالحة التى يقوم بها المرء لإصلاح شأنه وإصلاح شأن أمته.

فعليك أيها المؤمن أن تتجمل بالإخلاص لله وحده فى كل ما تقدمه من عبادة بدنية أو قلبية ذلك الإخلاص الذى امتلأ القرآن بالإشارة إليه فى قوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر: ١٤].

فالإخلاص لله وحده فى العبادة هو المطهر للقلوب والمقرب إلى ساحة رضوان الله علام الغيوب المفرج للكروب الغفار الذنوب.. وتجنبوا الرياء فى عباداتكم فإن الرياء إذا دخل فى أي شئ أحبطه وأبطله وعاد على صاحبه بالوبال والنكال حتى ولو كان هذا الشئ من أنواع العبادات وحسبنا فى هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعالم فيقول الله تعالى أدخلوه النار فيقول: يارب لماذا؟ وقد تعلمت العلم وعلمته الناس فيقول الله تعالى: إنك لم تعلم الناس ابتغاء مرضاتى وإنما علمتهم ليقال إنك عالم وقد قيل فقد استوفيت أجرك فى الدنيا ويؤتى بالمجاهد فيقول الله تعالى: أدخلوه النار فيقول يارب لماذا؟ وقد فرضت على الجهاد فجاهدت فى سبيلك، فيقول الله تعالى: إنك لم تجاهد فى سبيلى لابتغاء مرضاتى وإنما جاهدت ليقال إنك مجاهد وقد قيل فقد استوفيت أجرك فى الدنيا.. ويؤتى بالمتصدق فيقول الله تعالى أدخلوه النار فيقول: يارب لماذا وقد تصدقت بما أنعمت على فيقول الله تعالى: إنك لم تصدق ابتغاء مرضاتى وإنما تصدقت ليقال إنك محسن وقد قيل: فقد استوفيت أجرك فى الدنيا رواه مسلم.

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

وقد وصف الله المرأين فى بعض العبادات بالنفاق فقال الله تعالى: {إِنَّ الْمُتَفِقِينَ يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} [النساء: ١٤٢].

وفقنى الله وإياكم إلى الإخلاص فى كل أعمالنا وجنبنا مواطن الرياء والزلل..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال لا إله إلا الله مخلصاً مقراً من قلبه دخل الجنة رواه البخارى ومسلم.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٠ - صفات المؤمنين

الحمد لله الذى أعز المؤمنين بعزته وأذل المنافقين والكافرين بعذابه وشقوته وذلك تقدير العزيز العليم... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعد المؤمنين بالنصرة والنجاة والتمتع فى الدار الآخرة بالجزاء الدائم والنعيم المقيم وأوعد المنافقين بالنكال والخسران وسجل لهم فى الآخرة العذاب الأليم وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله أمر بالتعاون بين طوائف المؤمنين وحث عليه ورغب فيه..

ولا عجب فهو صلى الله عليه وسلم وصفه ربه بقوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨].

اللهم صلى على محمداً وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه وتخلقوا بأخلاقه ابتغاء رضوان الله العليم الحكيم...
أما بعد...

فيا عباد الله لقد تفضل الله على عباده المؤمنين فأعطاهم عدة مميزات تحقق لهم السعادة والسيادة والعزة والهناء والحياة الطيبة فى الدارين فلقد منحهم الله العزة حيث قال:

{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨] وضمن لهم النصرة على الأعداء حيث قال: {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} [آل عمران: ١٥٠] ووعدهم بالنجاة من الأهوال والخلاص من كل مأزق ومنحهم الرفعة وعلو الشأن حيث قال: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩] وخص المؤمنين بالسعادة الأبدية والمتعة بنعيم الدار الآخرة حيث قال: {وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِى الْجَنَّةِ

خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} [هود: ١٠٨].

وقد وعد الله المؤمنين بالتمتع بما فى الجنة من مساكن طيبة ونعيم مقيم.. وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك الفوز العظيم..

فيا عباد الله.. تلکم بعض المميزات التى أكرم بها الله المؤمنين ولكن من هم المؤمنون الذين يستحقون هذه المميزات كلها.. إننا سنقدم إليکم بعض صفاتهم لتكون أمامکم كالمرأة لينظر کل منکم فيها فمن رأى نفسه ضمن من شملتهم هذه المرأة فليحمد الله وليزدد من الطاعة وأعمال البر بقدر استطاعته ومن لم يجد لنفسه صورة فى هذه المرأة.. فليعمل جاهداً على أن يكون بين الأفراد الذين اشتملت عليهم هذه المرأة..

الصفة الأولى من صفات المؤمنين:

وهم الذين إذا ذكرت أمامهم بعض صفات الله تذكروا جلال الله وجلت قلوبهم واقشعرت أبدانهم رهبة من عقابه وطمعاً فى ثوابه وإذا سمعوا شيئاً من آيات القرآن الكريم زاد إيمانهم وسلکوا سبيل التوکل على الله وبادروا إلى التفانى فى عبادة الله والقرآن الكريم زاد إيمانهم وسلکوا سبيل التوکل على الله وبادروا إلى التفانى فى عبادة الله وإلى الإنفاق مما رزقهم الله فى سبيل الخير.

قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: ٢ - ٤].

وأما الذين لا تتأثر قلوبهم بذكر الله ولا تنهذب نفوسهم بسماع

صفات المؤمنين

القرآن الكريم فليسوا من المستحقين لما وعد الله به المؤمنين.

الصفة الثانية من صفات المؤمنين:

وهم الذين إذا دعوا ليُتَحاكَموا إلى كتاب الله وسنة رسوله أجابوا الدعاء ولبوا النداء فسمعوا وأطاعوا مختارين ففازوا بالفلاح والطيبات والرزق..

أما الذين إذا دعوا إلى الحكم بكتاب الله ورسوله أعرضوا إذا كان الحكم مخالفاً لأهوائهم وإن كان في صالحهم أذعنوا له وأقبلوا عليه فهو لاء هم الظالمون لأنفسهم..

الصفة الثالثة:

وهم الذين تنشرح صدورهم وتطيب نفوسهم بما قضى الله ورسوله وتطمئن قلوبهم إلى حكم رسول الله فيما اختلفوا فيه فيسلموا بقضائه وحكمه راضين مختارين قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥].

أما الذين تضيق صدورهم وتمتلئ نفوسهم بالحرص مما قضى به رسول الله ولم يقبلوا التسليم بحكمه صلى الله عليه وسلم فليسوا من زمرة المؤمنين..

الصفة الرابعة:

وهم الذين يرجعون في كل ما يتنازعون فيه إلى الله والرسول قال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

الصفة الخامسة:

وهم الذين يتولى بعضهم بعضاً بالتضامن والمعاونة في الخير

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

ورعايه المصالح وقد أخذوا أنفسم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وآداء الفرائض والتفانى فى طاعة الله رجاء التمتع برحمة الله.. قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ } [التوبة: ٧١].

أما الذين ينفرون من بعضهم فى الأوقات العصبية التى تقتضى التضامن والترابط ويأمررون بالمنكر وينهون عن المعروف ويبخلون بأموالهم فلا ينفقون منها شيئاً فى وجوه الخير عند اشتداد الأزمات فهم المنافقون الذين أبعدهم الله عن رحمته وحكم بفسقهم قال تعالى: { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [التوبة: ٦٧].

الصفة السادسة:

وهم الذين آمنوا برسوله ولم يترددوا فيما جاءهم به رسول الله ولم يتخلفوا عن ركب المجاهدين بالنفس والمال قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } [الحجرات: ١٥].

الصفة السابعة:

وهم الذين يحترمون حرية الرأى فيبيحون لكل إنسان منهم أن يبدى رأيه فيما يتشاورون فيه مهما كانت حالته وصفته بغض النظر عن الفوارق المادية والمعنوية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمنون يأخذ عليهم أذنهم رواه البخارى ومسلم.

الصفة الثامنة:

صفات المؤمنين

وهم الذين يكونون فى المودة والتعاطف والتراحم والمحبة والتعاون كالجسد الواحد إذا تألم منه عضو أحس الجسد كله بهذا الألم الذى أصيب به هذا العضو قال صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر رواه البخارى ومسلم.

الصفة التاسعة:

وهم الذين تمتلئ قلوبهم بمحبة الله ورسوله أكثر من محبتهم لأنفسهم وأولادهم وأموالهم وجميع الناس قال صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه التى بين جنبيه رواه البخارى ومسلم.

الصفة العاشرة:

وهم الذين يحسنون إلى جيرانهم ويؤدون لهم حقوقهم وواجباتهم ويبتعدون عن إيذائهم قال صلى الله عليه وسلم: وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً رواه البخارى ومسلم.

أما الذين يقومون بإيذاء الجار فقد أقسم النبى ثلاثاً على نفى الإيمان عنهم حيث قال: والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن .. فقالوا: من هذا يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الذى لا يأمن جاره بوائقه (يعنى شروره) رواه البخارى ومسلم.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة... توبوا إلى الله جميعاً لعلكم تفلحون...

* * *

٤١ - الحج إلى بيت الله الحرام

الحمد لله الذى فرض على المستطيعين من الناس حج بيت الله الحرام ووعد الحجاج المخلصين مغفرة الذنوب وتطهيرهم من الآثام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا وأمرهم أن يتخذوا من مقام إبراهيم صلى وشرع فريضة الحج استجابة لدعوة نبيه إبراهيم وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله بين لنا مناسك الحج بقوله وعمله فقال لنا: خذوا عني مناسككم وأرشدنا إلى ما فى الحج من منافع وثمرات تعود على الحجاج المخلصين فى الدنيا والآخرة وعلى سكان أرض بيت الله الحرام هذه الأرض الطيبة المقدسة الطاهرة ولا عجب فهو الذى وصفه ربه بقوله:

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨].

اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين سارعوا إلى كل خير أدركوه من وحى النبوة وخصوصاً مناسك الحج ففازوا عند الله بالخط الأوفر والرضوان الأكبر والنعيم المقيم.. أما بعد..

فيا عباد الله يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧].

أيها المؤمنون أمر الله المستطيعين من الناس أن يؤدوا فريضة الحج إلى بيته الحرام مرة واحدة فى العمر وفريضة الحج هذه من الفرائض القيمة التى نالت من الدين عناية عظمت لما لها من آثار كريمة وآفاق واسعة وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم فريضة

الحج إلى بيت الله الحرام

الحج من أركان الإسلام حيث قال في حديثه: بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً) رواه البخاري ومسلم.

وهذا البيت يا عباد الله وعدنى الله وإياكم بالتشرف بحجه هو بيت الله الحرام بمكة المكرمة هو الكعبة الشريفة التي هي قبلة المسلمين جميعاً في الصلاة وقد جعله الله مثابة للناس وأمناً وهو الحرم الآمن من دخله كان آمناً وهو الذي تجلب إليه ثمرات كل شيء بتوفيق الله وعنايته بسكانه وبمن يقصدونه للحج فيجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه وهو البيت الذي بناه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام متضرعين إلى الله أثناء البناء..

كما بين تعالى ذلك بقوله:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾} [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨].

وهذا البيت هو الذى قصده أبرهة بجيشه الذى تتقدمه الفيلة يريد هدمه ولكن الله قد حفظه من كيد الأعداء فلم ينالوا منه شيئاً حيث أرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ولقداسة هذا البيت وتشريفه جعلت أرض مكة كلها وما حولها بلداً حراماً له قداسته وإجلاله فلا يدخلها مشرك ولا يقتل صيدها ولا يقطع شجرها وقد وصفها الله بأنها البلد الأمين فى قوله تعالى: {وَالَّذِينَ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾} [التين: ١ - ٣].

يريد به مكة ومعنى الحج إلى بيت الله الحرام أن يقصده المسلمون فيطوفوا حوله سبع مرات محرمين متجردين من الأثواب المخيطة كاشفين رؤوسهم أما النساء فيطفن بملابسهم كاشفين

وجوههن..

والى هذا الطواف يشير بقوله: {وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: ٢٩] وبين الميقات الزمنى للحج فقال، {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ} [البقرة: ١٩٧] وهى شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذى الحجة وقد أحاط أعمال الحج بسياج من القدسية فقال: {فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: ١٩٧] وهذا كله مظهر من مظاهر عناية الله بفريضة الحج وذلك ما فى هذه الفريضة من فوائد كبرى وثمرات لا تكاد تحصى وقد أشار الله إلى هذه الفوائد بقوله: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ} [الحج: ٢٨].

ومن هذه المنافع: امتلاء قلوب الحجاج بحب الله وعظمته وجلاله حيث خرجوا من بيوتهم ممثلين أمر الله طامعين فى ثوابه خائفين من عذابه إذا هم قصرُوا تاركين وراءهم أوطانهم وديارهم وأولادهم وأحبابهم لم يشغلهم شئ من هذا كله عن التفانى فى طاعة الله ومحبة والتشرف ببيته الحرام وكأنهم قد نسوا كل شئ إلا جلال الله وجبروت الله ورحمة الله وبيت الله فملأ قلوبهم بهذا كله وجعلوه هدفهم ومن هذه المنافع اجتماع الحجاج فى عرفات فى اليوم التاسع من ذى الحجة على هيئة مؤتمر إسلامى عام لجميع الحجاج المسلمين الذين خرجوا من جميع الأقطار الإسلامية.

فى هذا المؤتمر العام يتم فيه التعارف بين جميع المسلمين على اختلاف دولهم وطبقاتهم وعناصرهم وألسنتهم وألوانهم هذا التعارف الذى لا يخلو من تبادل المنافع والثمرات والفوائد الاقتصادية والاجتماعية بين أفراد المسلمين وهذا التعارف أيضاً هو الذى يؤكد الصلة فى الإسلام ويقوى روابطها وقد قيل: إن جبل عرفات قد لقب بهذا اللقب بسبب التعارف الذى يقع عليه بين الحجاج والوقوف بعرفة هو أعظم ركن من أركان الحج لقد قال فيه الرسول صلى الله

الحج إلى بيت الله الحرام

عليه وسلم: الحج عرفة رواه مسلم ويمكن لهذا المؤتمر أن يتناول أفرادَه وجهات النظر فيما يصلح شأن الدولة الإسلامية ويُحكم نظامها ويُقوى بناءها وأقل فائدة من فوائد هذا المؤتمر أن يرجع منه المصرى مثلاً وقد أصبح صديقاً لشامى أو هندى أو يمنى أو تركى ولا يخفى ما لهذه الصداقات من آثار جليلة..

ومن المنافع أيضاً إزالة الفوارق بين الناس والشعور بالمساواة الكاملة بين جميع الطبقات حيث يكونون جميعاً محرمين على صورة واحدة هدفهم واحد كالموتى فى أكفانهم يمثلون فى منظرهم صورة مصغرة ليوم الهول الأكبر..

كلهم يتجهون بقلوبهم إلى إله واحد يدعون رباً واحداً يرددون فى التلبية ألفاظاً واحدة بأساليب واحدة هدفهم واحد وقبلتهم واحدة فى لهذا الموقف الرهيب من روعة وقداسة وهيبة ووقار وجلال لا فرق هنا بين غنى وفقير يدرك هذا من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ويعقله كل ذى ضمير من أولى الأبواب ويتجلى هذا الموقف الرائع الرهيب واضحاً فى المزدلفة التى تؤخذ منها حصيات لرمى الجمار عند المشعر الحرام الذى أيده الله بقوله: {فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} [البقرة: ١٩٨] حيث لا توجد فى هذه امتيازات لفرد من المسلمين مهما عظم شأنه فلا خيام ولا مساكن ولا فنادق بل إنهم جميعاً يفترشون الأرض بترابها ويلتحفون السماء بهوائها يا لها من روعة تملك المشاعر التى تأخذ بالأبواب فهنيئاً لمن وفقه الله لهذا الموقف الجليل ومن المنافع أيضاً ما يعود على أهل هذه الأرض المقدسة من المعاونة الاقتصادية التى يحصلون عليها بطريق التجارة والسكنى وقضاء المصالح للحجاج الغرباء وبما يتبرع به الحجاج من صدقات بدافع البذل والسخاء الذى انبعث من قلوبهم بسبب هذه المشاهد الكريمة والمواقف الرحيمة

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

وكان توفيق الله الناس لهذا كله تحقيقاً وإجابة لدعوة نبي الله إبراهيم حيث قال: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} {٣٧} [إبراهيم: ٣٧].

ومن المنافع أيضاً المعلومات العامة التى يأخذها الحاج عن هذه الجهة الطيبة حتى يرجع مزوداً بها بعد أن كان يجهلها ومنها أيضاً التمتع بالشرب من ماء زمزم الماء الذى هو من نعم الله جل شأنه حيث قد نبع بعناية الله لإكرام جد العرب نبي الله اسماعيل عليه السلام حيث اشتد عطشه وهو فى طفولته وقد بحثت أمه عن الماء فلم تجده فأكرم الله الطفل بهذا الماء الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماء زمزم لما شرب له رواه البخارى ومسلم.

ومن المنافع أيضاً أن الحجاج يؤدون فى الحج بعض أعمال تذكرهم بما قام به أجداد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم إبراهيم وهاجر وإسماعيل عليهم جميعاً سلام الله وكأن الله قد شرع هذه الأعمال ليذكر المسلمين بما قام به هؤلاء البررة من الكفاح وجهاد النفس والشيطان ومن هذه الأعمال السعى بين الصفا والمروة سبع مرات وهذا مفروض وهو ركن فى الحج ورمى الجمار على الوجه المبين فى نصوص الشريعة الإسلامية ومن المنافع أيضاً: فوز الحجاج بصلاة ممتازة فى المسجد الحرام حيث أن ثواب الركعة فى هذا المسجد يعادل ثواب مائة ألف ركعة فيما سواه من المساجد ومنها أيضاً: أن الحجاج المخلصين فى حجهم يرجعون من الحج إلى بيوتهم وقد تطهروا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم والسعيد من الحجاج هو الذى وفقه الله فى رحلة حجه إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لينال فضل الصلاة فى المسجد النبوى حيث أن ثواب الركعة فى هذا المسجد تعادل ثواب ألف ركعة فيما سواه ما عدا

الحج إلى بيت الله الحرام

المسجد الحرام وليشرف أيضاً برؤية وزيارة قبر الحبيب المصطفى سيد الخلق ويشهد هنالك أن الرسول قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ولقد قال صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى. . رواه مسلم، وقال أيضاً: إن ركعة في مسجدى هذا بألف فيما سواه من المساجد ما عدا المسجد الحرام رواه مسلم، فاتقوا الله أيها المؤمنون ومن استطاع منكم الحج فلا يتأخر حيث أن من استطاع الحج ولم يحج فقد أثم فعليكم أيها المسلمون أن تبادروا إلى أداء هذه الفريضة كي تنتفعوا بفوائدها وثمراتها وضعوا نصب أعينكم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: حجوا قبل ألا تحجوا رواه ابن ماجه.

يعنى: أدوا فريضة الحج قبل أن يأتى يوم ترغبون فيه أن تؤدوها فتمتنعوا عن أدائها قهراً نسال الله ألا يرينا هذا اليوم.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة ادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٢ - فى موكب الحج

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.. وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير..

أما بعد...

فى قمة الصالحات التى يقوم المسلمون بها أداء مناسك الحج.. إن هذه المناسك مشهد ضخم وميدان رحب للعباد الذين جاءوا من كل فج عميق يُرْضُونَ ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه.. إن لأعمال الحج حكماً ينبغى أن تدرس بآناة وأن تعرف حقائقها حتى يدرك الناس أن الإسلام ليس دين أو هام أو أضغاث أحلام هذا دين كل شيء فيه له حكمته وله معناه.. الطواف بالبيت وهو ركن ركين من أركان الحج ما سببه؟

سببه واضح هناك أربعة نقط نذكرها فى هذا المجال..

النقطة الأولى: هذا البيت أول بيت وضع للناس متعبداً للناس فى أعماق القارات كلها لم يبن قبله بيت للعبادة فمن حق أول بيت أقيم ليكون قلعة للتوحيد ومثابة للموحدين وملقى للمؤمنين المخلصين من حق البيت الأول على ظهر الأرض أن تكون له مكانة خاصة..

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾}

[آل عمران: ٩٦].

النقطة الثانية: إن المسلمين فى المشارق والمغارب فى الشمال والجنوب يولون وجوههم شطر هذا المسجد فى كل صلاة تقام فى القارات كلها ومن حق الذين اتخذوا المسجد قبلة لهم أن يبعثوا كل

عام منهم الوفد المستطيع لكى يرى قبلته كى يحج إليها ويزورها.

النقطة الثالثة: إن هذه الأمة الإسلامية إنما ولدت فى التاريخ إثر دعوة صالحة مستجابة للأنبياء الذين وضعوا حجر الأساس فى البيت العتيق ونهضوا به وأعلوا دعائمه.

{وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهٖمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا اِنَّكَ اَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ يَتْلُوْا عَلَیْهِمْ اٰیٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّیْهِمْ اِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِیْزُ الْحَكِيْمُ ﴿١٢٩﴾} [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

{وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا اُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ} [البقرة: ١٢٨]، هى أمتنا {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيْهِمْ رَسُوْلًا مِّنْهُمْ} [البقرة: ١٢٩]، هو رسولنا صلى الله عليه وسلم صاحب الأمانة العامة فى محراب العبادة لخلق الله كلهم صاحب الرسالة الخاتمة التى لا معقب عليها بنسخ أو تصحيح فمن حقنا ونبينا وأمتنا وتاريخنا نتيجة دعوة فى بناء هذا البيت.. من حقنا أن نزور هذا البيت..

النقطة الرابعة: أن الله شرف الجنس العربى برسالة الإسلام وعندما أمر الناس فى كل شبر من أرضه أن يتجهوا لهذا البيت العتيق قال لنا نحن الذين نقرأ القرآن وننطق باللغة العربية أنا فعلت هذا تشريفا لكم

النتيجة المطلوبة: {فَاذْكُرُوْٓاْ اِذْ كُرِّمْتُمْ اَوْ شُكِّرْتُمْ اِلٰى وَلَا تَكْفُرُوْنَ ﴿١٥٢﴾} [البقرة: ١٥٢].

اذكروا دينى الذى شرفتم به اذكروا الكتاب الذى أنزلته بلسانكم.. إن أول ما نأخذه من الحج.. السعى بين الصفا والمروة ما معناه؟

لما نمثل الدور الذى كانت تمثله هاجر؟

المعنى واضح أن الإنسان ماضى حسى والأسباب الحسية هى التى تملكه أو هى التى تحكمه يوم يكون فى يده مال يقول ما لى فى يدي فهو يعتز به... لكن يوم يكون هذا المال وعداً فى الغيب وأملاً فى المستقبل ورجاء عند الله فإن قلبه يضطرب ويقول ليس معى شيء.

لكن أنا ضعيف جداً ما فى يدي هو الذى أتوثق منه..

أما ما فى يد الله فإنه لا يؤمن به إلا القليل، الرزق غيب ولا يؤمن به إلا أصحاب الإيمان الراسخ.. فلمح هذا اليقين أو هذا التوكل عندما نجد أن إبراهيم عليه السلام

كلف بأن يسكن امرأته هاجر وابنها الرضيع إسماعيل قريباً من البيت العتيق تركهما إبراهيم وانطلق إلى أين؟

مكة صحراء جرداء فى ذلك الوقت الرجل ماذا يقول؟ سكت لكن تكلمت المرأة قالت له: الله أمرك بهذا؟

قال: نعم قالت: " إذا لا يضيعنا ".

كيف؟ لا شيء هنا إطلاقاً السماء والرمال والجبال الصم يختبر الإيمان لآخر رمق بدأ الرضيع يتلوى من العطش..

وبدأت الأم تحس بأن المستقبل يظلم أمامها وبدأت تجرى يميناً وشمالاً ثم أخبرها الملك أن النجدة جاءت وغمز بجناحه الأرض فتفجرت زمزم وشرب الرضيع وشربت الأم وبدأ الخير.. أستغرب عندما أنظر إلى دنيا الناس وإلى الغيب الذى لا يعلمه إلا الله أكانت المرأة مع رضيعها هذا تدرك أن ابنها هذا سيكون من ذريته نبى خاتم؟

سيكون من ذريته شعب كبير؟

سيكون من أثره حضارة تظل الأرض برحمتها وسناها؟

ما كانت الأم تدرى شيئاً من هذا ونحن البشر علمنا قاصر علمنا محدود ولكن الله ذا العلم الواسع يدرى ما يصنع بعباده ويختبرهم فى حدود علمهم القاصر وسعيهم المحدود وقدرتهم الضيقة وهذا هو الاختبار الذى يتجدد باستمرار.. الاختيار مستمر. الثقة فى الله وفيما عنده وفيما غيبه عنا.

هو عنده واقع لأن الله يستوى فى علمه الماضى والحاضر والمستقبل من هنا يجيء الاختبار فإذا كُلف الناس أن يفعلوا ما فعلت أم إسماعيل فلكى تجدد فى مسالكهم عواطف التوكل على الله الثقة فى الله الإيمان بأن ما عنده أهم مما عندى قد يحرق قد يسرق لكن ما عنده لا حرق ولا سرقة لذلك يجب أن نعرف معنى هذه الشعيرة فى مناسك الحج..

ثم يلتقى الناس فى عرفة وهو لقاء مهيب ولقاء غريب لأن الناس فعلاً جاؤوا من كل مكان شعناً غبراً ليس هناك ما يميزهم من أبهة ولا من مُلك ولا سلطان وحدت بينهم شارات لا تفاوت فيها فى ملابس الإحرام ثم جمعتهم فى هذا المكان طاعة الله والجوار فى هذه الساحة بالدعاء النشيد الذى يتردد باستمرار هناك “ لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير “.

ولذلك كان هذا اللقاء الجامع فى يوم عرفة نقطة استغلال لرؤساء الإسلام وقادته كى يوجهوا المسلمين فى اليوم المشهود إلى ما ينفعهم ولذلك وقعت حجتان فى أيام النبي صلى الله عليه وسلم حجة أبى بكر رضى الله عنه بالناس وحجته صلى الله عليه وسلم.

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

فأما حج أبى بكر رضى الله عنه بالناس فقد تقرر فيه إلغاء المعاهدات غير المتكافئة الواقعة بين المسلمين وغيرهم..

وتقرر إلى جانب هذا تنظيف المجتمع الداخلى للأمة الإسلامية من المشركين ومنع طواف العرايا بالبيت العتيق..

ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك حجة الوداع.. وكان يشعر أن هذه الحجة آخر لقاء بينه وبين الناس.

ولذلك كان يقول: أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا .

فماذا يريد؟ أب يودع أبناءه فماذا يريد؟

يلقى فى آذانهم آخر ما فى قلبه من حب ونصح: تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنة نبيه رواه مسلم.

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وأنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت رواه البخارى وغيره.

كانت الحجة الأخيرة.. حجة الوداع..

ملئئة بما يمكن أن يسمى بالتقرير الحقيقى لحقوق الإنسان وحرىات الشعوب وعالمية البشر والقواعد الإنسانية النبيلة وحسن العلاقة بين الرجل والمرأة..

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٣ - تأملات فى سورة الضحى

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الحمد والثناء.. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله أكرمه ربه أعظم تكريم.. اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد...

فيا عباد الله... يقول الله تعالى فى كتابه العزيز...

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَالضُّحَىٰ ١} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢} مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣} وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤} وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥} أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ٦} وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ٧} وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ٨} فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩} وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠} وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١} { [الضحى: ١ - ١١].

تعالوا بنا نتأمل فى هذه السورة قوله تعالى: {وَالضُّحَىٰ ١} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢} { [الضحى: ١ - ٢].

والضحى المراد به النهار قال أهل المعانى فيه إضمار مجازى ورب الضحى.

ويقال والضحى يعنى النور الذى فى قلوب العارفين كهيئة النهار والليل إذا سجد.

يعنى السواد الذى فى قلوب الكافرين كهيئة الليل فأقسم الله عز وجل بهذه الأشياء.

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

{مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ} [الضحى: ٣]، هذا جواب القسم وكان جبريل عليه السلام أبطأ على النبی صلى الله عليه وسلم فقال المشركون: قلاه الله وودعه فنزلت الآية فقال النبی صلى الله عليه وسلم لجبريل: ما جئت حتى اشتقت إليك .

فقال جبريل: وأنا كنت أشد إليك شوقاً ولكنى عبد مأمور ثم أنزل عليه: {وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ} [مريم: ٦٤]، {وَدَّعَكَ} ومعناه تركك {وَمَا قَلَى} أي: ما أبغضك ربك.

{وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى} ٤ {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} ٥ [الضحى: ٤ - ٥].

روى سلمة عن ابن إسحاق قال: {وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى} أي: ما عندى فى مرجعك إلى يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا.

وقال ابن عباس: أرى النبی صلى الله عليه وسلم ما يفتح الله على أمته بعده فسر بذلك فنزل جبريل يقول له: {وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى} ٤ {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} ٥ [الضحى: ٤ - ٥].

قيل: هى الشفاعة فى جميع المؤمنين.

وعن على رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. يشفعنى الله فى أمتى حتى يقول الله سبحانه لى رضيت يا محمد؟ فأقول يا رب رضيت .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن النبی صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى فى إبراهيم: {فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ} [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: اللهم أمتى وبكى فقال الله تعالى

لجبريل: اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبيئك .

فأتى جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره...

فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد فقل له: إن الله يقول لك إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك .

وقال على رضى الله عنه لأهل العراق إنكم تقولون إن أرجى آية في كتاب الله تعالى: {قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ} [الزمر: ٥٣].

قالوا: إنا نقول ذلك قال ولكننا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} [الضحى: ٥]، وفي الحديث

لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا والله لا أَرْضِي وواحد من أمتي في النار .

وقوله تعالى -: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} [الضحى: ٦].

عدد سبحانه مننه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا}.

قد مات أبوك {فَعَاوَى} أي: جعل لك مأوى تأوى إليه عند عمك أبى طالب فكفلك.

وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم أؤتم النبي صلى الله عليه وسلم من أبويه؟

فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق..

وقيل: ضالا في شعاب مكة فهذاك وردك إلى جدك عبد المطلب..

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

قال ابن عباس: ضل النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير فى شعاب مكة فرآه أبو جهل منصرفاً عن أغنامه فردّه إلى جده عبد المطلب فمن الله عليه حين رده إلى جده على يد عدوه..

وقيل: إن حليلة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب..

فسمعت عند باب مكة: هنيئاً لك يا بطحاء مكة اليوم يرد إليك النور والدين والبهاء والجمال.

قالت: فوضعت له لأصلح ثيابى فسمعت هزة شديدة فالتفت فلم أره فقلت: معشر الناس أين الصبى؟

فقالوا: لم نر شيئاً فصحت: ومحمداه...

فإذا بشيخ فان يتوكأ على عصاه فقال اذهبى إلى الصنم الأعظم فإن شاء أن يردّه إليك.

ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال: يا رب لم تنزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها ضل فردّه إن شئت فانكب هبل على وجهه وتساقطت الأصنام.

فطاف عبد المطلب بالكعبة وتضرع إلى الله أن يردّه وقال:

يا رب رُدْ لى محمدًا :: اردده ربى واتخذ عندى يدا

يا رب إن محمدًا لم يوجَدًا :: فَشَمَلُ قومى كلهم تبددا

فسمعوا مناديا من السماء: معاشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد

ربا لا يخذله ولا يضيعه وأن محمدًا بوادى تهامة عند شجرة السمر

فسار

عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فإذا النبى صلى الله عليه وسلم قائم

تحت شجرة يلعب بالأغصان وبالورق..

قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} [الضحى: ٨]، أي: فقيراً لا مال لك: {فَأَغْنَى} فأغناك بخديجة رضى الله عنها..

وقوله تعالى -: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى: ٩]، لا تسلط عليه بالظلم ادفع إليه حقه.

وعن مجاهد " فلا تقهر " فلا تحتقر..

وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ في أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه

ودلت الآية على اللطف باليتيم وبره والإحسان إليه..

وروى عن أبي هريرة أن رجلاً شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه

فقال: إن أردت أن يلين فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين رواه مسلم.

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله تعالى لملائكته: يا ملائكتي من ذا الذى أبكى هذا اليتيم الذى غيبت أباه فى التراب؟ فتقول الملائكة: ربنا أنت أعلم فيقول الله تعالى لملائكته يا ملائكتي اشهدوا أن من أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة رواه البخارى ومسلم.

فكان ابن عمر إذا رأى يتيماً مسح برأسه وأعطاه شيئاً..

وعن أنس رضى الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ضم يتيماً فكان فى نفقته وكفاه مؤنته كان له حجاباً من النار يوم القيامة ومن مسح برأس يتيماً كان له بكل شعرة حسنة رواه مسلم وغيره.

قوله تعالى: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} [الضحى: ١٠]، أي: لا تزجره فهو نهى عن إغلاظ القول ولكن رده ببذل يسير أو رد جميل وقيل المراد بالسائل هنا الذى يسأل عن الدين أي: فلا تنهره بالغلظة

والجفوة وأجبه برفق ولين..

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سألت ربي مسألة وودت أني لم أسأها قلت يا رب.. اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن وأعطيت فلانا كذا فقال عز وجل:

ألم أجذك يتيما فأويتك ألم أجذك ضالا فهديتك ألم أجذك عائلا فأغنيتك؟ ألم أشرح لك صدرك؟ ألم أوتك ما لم أوت أحداً قبلك خواتيم سورة البقرة؟ ألم أتخذك حبيبا لما اتخذت إبراهيم خليلا؟ قلت: بلى يا رب رواه أبو داود.

وقوله تعالى -: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١] أي: انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكرا لله.. وعن مجاهد: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} قال: بالقرآن.

وقيل: بالنبوة، أي: بلغ ما أرسلت به.. والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره

قال: ابن الجشمي كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فرأني رث الثياب فقال: ألك مال؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: إذا أتاك الله مالا فلير أثره عليك .

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله جميل يحب الجمال ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده رواه النسائي.

ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٤ - يوم عرفه وأحكام الأضحية

الحمد لله عز وجل يبذل ولا يتبدل ويحول ولا يتحول: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الحديد: ٦]، أشهد أن لا إله إلا الله: {يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} [النور: ٤٤]، وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله أدى الأمانة وبلغ الرسالة وهذب الحياة وقوم الأحياء فصلوات الله وسلامه عليه وعلى الطاهرين من آله وذريته والسابقين من أنصاره وصحابته والثابتين على هديه وسنته: {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: ٥].

أيها المؤمنون.. يوم عرفة هو اليوم التاسع من ذى الحجة يقف الناس هناك يطلبون المغفرة وقد وعدهم الله بنزول الرحمة عليهم.. خير يوم طلعت عليه الشمس يوم عرفة وخير الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير.. “ وما روى إبليس يوماً أذحر وأخزى من يوم عرفه “ الرحمات تنزل على الحاج في عرفات..

وعيد الأضحى يسمى العيد الأكبر ويسمى عيد الفداء أما تسميته بالأضحى والفداء فلما كان من إبراهيم وإسماعيل من تضحية وفداء وأما تسميته بالأكبر فلأكبر عطاء الله فيه وهو اليوم الذى تتم فيه مناسك الحج..

وقد نزل على رسول الله فيه وهو فى حجة الوداع.. {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]، وقد سمى عيداً لأنه يعود ويتكرر ولكن العيد لمن؟ العيد لمن خشى يوم الوعيد ولمن لمولاه يخلص إخلاص الاتقياء..

الاحتفال بالعيد:

- ١ - يبدأ بالتكبير من فجر يوم عرفه ويستمر عقب الصلوات إلى عصر آخر أيام التشريق وهى ١١، ١٢، ١٣..
- ٢ - ويبدأ بصلاة العيد جماعة وقد شرع ذلك فى السنة الثانية من الهجرة وأول عيد صلاه رسول الله عيد الفطر..
- ٣ - ثم بعد صلاة العيد يذبح الأضحية التى تعتبر أهم أنواع التكافل فى يوم العيد وإن دماءها لتقع من الله بمكان قبل أن تقع على الأرض فطيبوا بها نفسا..
- ٤ - ثم بالتجمل وأخذ الزينة: رَبَّنِيْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ { [الأعراف: ٣١ - ٣٢]
- وقال صلى الله عليه وسلم: من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة فى الآخرة ثم ألهبه فيه نارا رواه البخارى ومسلم.
- ٥ - ويسن أيضا الإكثار من الذكر والتكبير فى هذا اليوم وما يليه: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ اسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ } [الحج: ٣٤].

أحكام الأضحية:

- ١ - تعريفها: الأضحية أو الضحية: اسم لما يذبح أو ينحر من الإبل أو البقر أو الغنم فى عيد الأضحى شكرا لله تعالى وتقربا
- إلى الله..

- ٢ - متى شرعت؟ وما حكمة مشروعتها؟ شرعت الأضحية فى

السنة الثانية من الهجرة كالعديد وقد شرعت شكراً لله تعالى على نعمه وللتوسعة على الفقراء والمحتاجين..

٣ - ودليل مشروعيها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ۝٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٢﴾ {الكوثر: ١ - ٣}، أي: إنا أعطيناك يا محمد النهر العظيم المسمى بالكوثر فداوم على الصلاة وعلى نحر الإبل تقرباً إلى الله وتصدق على الفقراء والمساكين واعلم أن الكاره لك والمعادي لشخصك هو المقطوع عن كل خير والمحروم من كل سيرة حسنة... وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أي: بخروفين أملحين أي يخالط بياضهما سواد - قرنين - أي لهما قرون..

٤ - وحكم الأضحية: أنها سنة مؤكدة ويكره تركها بالنسبة للقادر عليها بأن يكون عنده مال يستطيع بواسطته أن يشتري الأضحية دون حرج أو استئانة..

٥ - وتكون الأضحية من الإبل أو البقر أو الغنم من الذكور أو الإناث ويجب أن يكون سن الإبل خمس سنوات والبقر سنتان والغنم سنة ويدخل في الغنم الماعز... وأجاز المالكية والحنابلة أنه يجوز أن يكون سن الغنم ستة أشهر.. أما الماعز فلا يقل عن سنة وتكفي الناقة أو الجمل أو البقرة عن سبعة أشخاص أما الشاة فتكفي عن شخص واحد..

٦ - ووقت ذبح الأضحية يكون في يوم الأضحي بعد صلاة العيد فإذا لم يتمكن المضحى من ذبح أضحيته في يوم عيد الأضحي جاز له أن يذبحها في الأيام الثلاثة التي بعد يوم عيد الأضحي.. ولا يصح ذبح الأضحية قبل صلاة عيد الأضحي

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

ففى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه أي عبادته وأصاب سنة المسلمين رواه أبو داود.

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أي: فى يوم عيد الأضحى أن نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل ذلك فهو لحم قدمه لأهله رواه مسلم.

٧ - ويسن للمضحى أن يذبح أضحيته بنفسه إن كان يحسن ذلك كما يسن له أن يجعلها أثلاثا ثلثها لنفسه ولأهله والثلث الثانى لأقاربه وأصدقائه والثلث الثالث للفقراء والمحتاجين.

٨ - ويجب أن تكون الأضحية خالية من العيوب فلا يصح أن تكون عمياء أو عرجاء أو هزيلة أي ضعيفة لا لحم فيها..

٩ - ويستحب أن يحضر بنفسه عند الذبح ويكره ترك التوجه إلى القبلة ويقول بعد التوجه قبل الذبح: إني وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين..

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد بسم الله..

فيذبح ثم يصلى ركعتين على طريق الاستحباب لقوله عليه الصلاة والسلام: القوا ما فى أيديكم من السكين ثم اركعوا ركعتين فإنه ما ركعها أحد وسأل الله شيئا إلا أعطاه“ ويقول بعد السلام اللهم إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين رواه النسائى.

عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا عائشة قومى إلى أضحيتك واشهديها فإن لك بأول قطرة تقطر من دمها على الأرض أن يغفر الله تعالى

ما سلف من ذنوبك فقالت يا رسول الله أَلنا خاصة أم للمؤمنين عامة؟ .

فقال عليه الصلاة والسلام: بل لنا وللمؤمنين عامة رواه مسلم، ولا يأكل من الأضحية المنذورة شيئاً ولا يبيع من الأضحية شيئاً ولو جلدها أي يحرم عليه ذلك ولا يصح سواء كانت منذورة أم لا والتصدق به أفضل لخبر الحاكم: من باع جلد أضحيته فلا ضحية له .

ولا يجوز إعطاؤه أي الجلد أجرة للجزار.. ويسن لمن يضحي أن لا يزيل شعره ولا ظفره في عشر ذي الحجة حتى يضحي.

عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما عمل ابن آدم يوم النحر من عمل أحب إلى الله تعالى من إراقة الدم إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً رواه البخارى ومسلم.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..

* * *

٤٥ - عيد الأضحى المبارك

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر
الله أكبر الله أكبر والله الحمد.

الله أكبر ما وفق الله بعض المسلمين إلى حج بيته الحرام..

الله أكبر ما تركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم وخرجوا لأداء هذه
الفريضة ابتغاء رضوان الله

الحمد لله الذي جعل عيد الأضحى من أكبر نعمه على المؤمنين..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تفضل على حجاج بيته
الحرام بتطهير القلوب ومغفرة الذنوب فكانوا من الفائزين.. وأشهد
أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله الصادق الوعد الأمين..
اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم
الدين..

أيها المؤمنون.. إن عيد الأضحى عيد سعيد لأنه موسم ربح
ومغنم فيه يباهى الله بالأتقياء من أهل الأرض فيا سعادة من اغتسل
فيه بطيب التقى والعفاف ويا فوز من جمع فيه إلى الزينة لباس
الضراعة والخشوع..

فالعيد لمن خشى يوم الوعيد ولمن لمولاه يخلص إخلاص الأتقياء
أولئك يفرحون يوم يحزن الناس ويؤمنون يوم يخاف الناس
ويرضون عن الله قائلين: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ
نَبَتْوُا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ} [الزمر: ٧٤].

وعيد الأضحى يسمى العيد الأكبر ويسمى الفداء أما تسميته
بالأضحى والفداء لما كان من إبراهيم وإسماعيل من تضحية وفداء..

عيد الأضحى المبارك

وأما تسميته بالأكبر فلأكبر عطاء الله فيه وهو اليوم الذى تتم فيه مناسك الحج وقد نزل على رسول الله وهو فى حجة الوداع..

قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣].

وقد سمي عيداً لأنه يعود ويتكرر..

الاحتفال بالعيد:

١ - يبدأ بالتكبير من فجر يوم عرفه ويستمر عقب الصلوات جماعة أو فرادى حتى عصر آخر أيام التشريق وهى ١١، ١٢، ١٣ من ذى الحجة..

أما فى عيد الفطر فيبدأ من ليلة الفطر إلى أن يخرج الإمام لصلاة العيد وابتداء الخطبة.

٢ - ثم يذبح الأضحية التى تعتبر أهم أنواع التكافل فى يوم العيد إن دماءها لتقع من الله بمكان قبل أن تقع على الأرض فطيبوا بها نفسا..

٣ - ثم التجميل والزينة لقوله تعالى: {رَبَّنِيْ ءَادِمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ} [الأعراف: ٣١ - ٣٢].

٤ - الإكثار من الذكر والتكبير فى هذا اليوم وما يليه قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} [الحج: ٣٤].

اعتاد الناس أن يتذكروا مأساة أبيهم إبراهيم قيل سبب ذبح إبراهيم إسماعيل عليهما السلام أنه قرب ألف شاه وثلاثمائة بقرة

ومائة بدنة فى سبيل الله فتعجب الناس من ذلك فقال إبراهيم عليه السلام: والله لو كان لى ابن لأذبحنه فى سبيل الله وأتقرب به إلى الله تعالى..

فلما قال إبراهيم عليه السلام: هذا القول مضى عليه زمان فنسى هذا القول فلما جاء إلى الأرض المقدسة سأل ربه الولد فأجاب الله دعاءه وبشره بالولد وولدت أمه: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} [الصفات: ١٠٢]، قيل: ابن سبع سنين وقيل: ابن ثلاث عشر سنة قيل له فى نومه: أوف بنذكرك.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: لما كانت ليلة التروية ونام رأى فى المنام.

يقول: يا إبراهيم أوف بنذكرك فلما أصبح أخذ يتروى فلذا سمى يوم التروية: فلما أمسى رأى ثانيا فى المنام فلما أصبح عرف أنه من الله ولذا سمى يوم عرفة واسم ذلك المكان عرفات..

ثم رأى فى الليلة الثالثة مثله فهم بنحره ولذى سمى يوم النحر..

فلما أراد أن يذهب بإسماعيل عليه السلام إلى النحر قال إبراهيم عليه السلام لهاجر وهى أم إسماعيل عليه السلام:

ألبسى ولدك إسماعيل أحسن ثيابه فإنى ذاهب به إلى ضيافة فألبسته أمه ورجلت شعر رأسه فحمل إبراهيم عليه السلام حبلا وسكينا وذهب معه إلى جانب منى..

ولم يكن إبليس عليه اللعنة من يوم خلقه الله أشغل ولا أكثر ترددا منه فى ذلك اليوم فكان إسماعيل يلعب أمام أبيه فجاء إبليس يقول لأبيه: ألا ترى حسن صورته؟

فقال إبراهيم نعم ولكن أمرت بذلك فلما أيس منه جاء إلى هاجر

وقال: كيف تقصدين ذهب إبراهيم بابنك ليذبحه قالت: لا تكذب على..

هل رأيت أبا يذبح ابنه؟

فقال: لأجل ذلك أخذ الحبل والسكين قالت لأى شيء يذبحه؟

قال: يزعم أن الله أمره بذلك فقالت: النبى لا يؤمر بالباطل وأنا أفدى لأمره روحى فكيف بولدى فلما أيس من جانبها جاء إلى إسماعيل عليه السلام فقال: إنك تفرح وتلعب ومع أبيك حبل وسكين يريد ذبحك..

فقال: لا تكذب على لم يذبحنى أبى؟

قال: يزعم أن الله أمره بذلك قال: سمعنا وأطعنا لأمر ربى..

فلما أراد إبليس أن يلقى كلاماً آخر أخذ إسماعيل عليه السلام حجراً من الأرض فرماه به فذهب إبليس خائباً خاسراً.

فأوجب الله علينا رمى الحجارة فى ذلك الموضع طرداً للشيطان واقتداء بإبراهيم خليل الرحمن.. فلما بلغ منى قال إبراهيم عليه السلام لولده: {يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ} [الصافات: ١٠٢].

أي بين لى ما الذى ترى هل تصبر لأمر الله أو تسأل العفو قبل الفعل؟

وهذا امتحان من إبراهيم لولده هل يجيبه بالسمع والطاعة أم لا: {يَتَابَتِ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢].

على ما أمرت من الذبح فلما سمع إبراهيم كلام ولده عرف أن الله قد استجاب دعاءه حين دعا الله بقوله: {رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ} [الصافات: ١٠٠] فحمد الله كثيراً.

ثم قال إسماعيل عليه السلام لأبيه: يا أبت أوصيك بأشياء:

- ١ - أن تربط يدى كيلا أضطرب فأوذيك.
 - ٢ - وأن تجعل وجهى على الأرض كيلا تنظر إلى وجهى فترحمنى.
 - ٣ - واكفف عنى ثيابك كيلا تتلطخ بشىء من دمي فينقص أجرى.
 - ٤ - واشد شفرتك وأسرع إمرارها على حلقى فإن الموت شديد.
 - ٥ - وأن تذهب بقميصى إلى أمى تذكرة لها منى وسلم عليها وقل لها: اصبرى على أمر الله فقال إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا ولدى على أمر الله: {فَلَمَّا أَسْلَمَا} [الصافات: ١٠٣]، أي استسلما لأمر الله تعالى: {وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣]، أي صرعه على شقه وكان ذلك عند الصخرة من منى.. ووضع السكين على حلق ولده فعالجه بشدة فلم يقدر على قطعه وقد كشف الله الغطاء على أعين الملائكة فلما رأوا أن إبراهيم يذبح ولده خروا له سجدا..
- فقال الله تعالى: انظروا إلى عبدى كيف يمر السكين على حلق ولده لأجل رضائى وأنتم قلتم حين .
- قلت: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: ٣٠]، قلتم: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} [البقرة: ٣٠].
- ثم قال إسماعيل عليه السلام: يا أبت حل يدى ورجلى حتى لا يرانى الله مكرها بل ضع السكين على عنقى لتعلم الملائكة أنى مطيع لله فمد يديه ورجليه بلا وثاق وحول وجهه إلى الأرض فأمر

السكين بجميع قوته فانقلب السكين ولم يقطع بإذن الله تعالى فقال إسماعيل عليه السلام: يا أبت ضعفت قوتك بسبب محبتك لى فلا تقدر على ذبحى..

فضرب بالسكين الحجر فصار الحجر نصفين فقال إبراهيم عليه السلام: تقطع الحجر ولم تقطع اللحم (فتكلم السكين بقدرة الله تعالى فقالت السكين: يا إبراهيم أنت تقول اقطع وإله العالمين يقول لا تقطع فكيف أمتثل أمرك وأعصى ربي؟).

ثم قال الله تعالى: {وَوَدَّيْنَهُ أَنْ يَأْتِيَنَّاهُ وَيَأْتِيَنَّاهُ} (١٠٤) قَدْ صَدَقَتِ الرُّيَا { [الصفات: ١٠٤، ١٠٥]، فيما رأيت من الرؤيا فظهر لعبادى أنك اخترت رضائى على حب ولدك وكنت فى ذلك من المحسنين: {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [الصفات: ١٠٥]، المطعنين لأمرى {إِن هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ} [الصفات: ١٠٦]، {وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ} (١٠٧) [الصفات: ١٠٧]، من الجنة وهو الكبش الذى قربه هابيل..

فقال جبريل تعظيما لله وتعجبا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام الله كبر الله أكبر فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام: لا إله إلا الله والله أكبر فقال إسماعيل عليه الصلاة والسلام: الله أكبر والله الحمد..

روى الترمذى فى حديثه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله تعالى من إهراق الدم وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا بها نفسا رواه البخارى ومسلم.

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..

ملاحظه:

على الخطيب أن يجلس جلسة خفيفة بعد إتمام الخطبة ثم يقوم

اللائى الجوهريه فى الخطب المنبرية

فيكبر سبع تكبيرات ويخطب خطبة النعت الثانية للجمعة ويختمها
ببعض آيات التسبيح والدعاء..

* * *

٤٦ - حال الناس عند سماع القرآن الكريم

الحمد لله الذى تفضّل علينا فأكرمنا بنعمة القرآن حيث جعله هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، سبحانه وتعالى إنه خير بما تعملون؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعد بالعزة والسعادة فى الدارين الذين هم بآياته يؤمنون.

وبأحكامه متمسكون وبأخلاقه وآدابه متخلقون متأدبون وأوعد بالذلة والشقاء فى الدارين الذين هم عن آياته معرضون ولتعاليمه وأحكامه يجحدون وبأخلاقه وآدابه يستهزؤون وعن الأخذ بتعاليمه يستكبرون، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله وصفيّه وخليفه كان القرآن معجزته الكبرى الخالدة الباقية إلى آخر أيام الدنيا، بين لنا صلى الله عليه وسلم أن فى التمسك بالقرآن عصمة ووقاية من الوقوع فيما يحاوله المضللون.

اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يستمعون القول فيتبعون أحسنه اتخذوا القرآن شعارهم فسادوا وفازوا بالحسنين وفتحوا به الأمصار؛ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون..

أما بعد...

فيا عباد الله... القرآن الكريم الذى أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير هو الدستور الخالد الذى لا يقبل التغيير ولا التعديل ولا التبديل؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد..

هو المعجزة الخالدة الكبرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحدّى به بلغاء العرب فسجّل الله عجزهم عن محاكاة أقصر سورة

منه في أسلوبها ومعانيها حتى ولو كانوا متظاهرين متعاونين.

قال تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾} [البقرة: ٢٣].

قال تعالى: {قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ۚ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾} [الإسراء: ٨٨].

هو أصدق الحديث وأحسن الحديث إذا سمعوا منه آيات البشر والسرور لانت قلوبهم واستبشرت نفوسهم واطمأنت أفئدتهم. الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعروا منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله؛ هذا هو النور المبين الذي يضيء لمن اتبع تعاليمه؛ طرق السعادة والسلام ويخرجهم من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الإيمان واليقين.

{قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة: ١٥ - ١٦].

هو الذكر المبارك الذي أمر الله المؤمنين أن يتدبروا آياته وأن يتذكروا معانيها كما أمرهم باتباعه والعمل بما فيه إن كانوا من ذوى العقول السليمة والضمانر الحية ووعدهم بأن هذا طريق الرجاء في رحمة الله.

هو الغذاء الروحي الكريم إذا قدم إلى قلوب المؤمنين أصلح شأنها وغذاءها؛ ومن الأمراض النفسية شفاها وإذا قدم إلى قلب غير المؤمنين أوقعه في الخسران والنكال

قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾} [الإسراء: ٨٢].

{وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ (أي شك ونفاق) فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾} [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

ولا غرابة في هذا فنحن نرى الأطباء يمنعون ذوى الأجسام المريضة من الأغذية الطيبة الممتعة معللين هذا بأن الأغذية الطيبة تضر الأجسام. فما بالكم بهذا الغذاء الروحي الطيب الكريم؟

هو القرآن الكريم الذى يهدى إلى أقوم الطرق وأسلمها ويبشر المؤمنين بما أعد لهم من الفضل الكبير والأجر العظيم ويسجل على المعرضين عنه وبالآل وشقاء ونكالا ويوقعهم فى العذاب الأليم.. {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾} [الإسراء: ٩].

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْكَ} [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

هو القرآن الكريم وتلكم بعض خصائصه ومميزاته إذ لا يتسع الوقت لذكر عشر معشار مميزاته وخصائصه..

والذى نريد أن نعرفه الآن هو: موقف السلف الصالح من هذا الكتاب، ثم موقفنا نحن علنا ندرك الفرق بين موقفنا وموقفهم فنصلح ما وقعنا فيه من الأخطاء نحو قداسة هذا الكتاب.

أدرك السلف الصالح ما لهذا الكتاب الكريم من حرمة وقداسة وروعة وجلال فاتخذوه دستورهم وإمامهم وحكمهم ورائدهم وقائدهم وأستاذهم وأنيسهم وجليسهم وصديقهم وشعارهم وكل شيء لديهم فأعزهم به الذى أنزله. وبسطوا سلطان دينهم على جزء كبير من

اللائئ الجوهريّة فى الخطب المنبرية

بقاع الأرض فى مدة وجيزة ودانت لهم رقاب الجبابرة. عرفوا قدره وعلوّ شأنه حتى لقد رأينا المرأة العربية تقبل مختارة أن يكون صداقها فى الزواج تعليمها سورة من القرآن.

عرفوا قدره وجلاله وقداسته وروعته حتى لقد رأينا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يمر فيسمع قارئاً يتلوا

من كتاب الله: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) [الطور: ٧، ٨]، فيقع أمير المؤمنين على الأرض ويغمى عليه ويصاب بمرض يستمر فيه شهراً. وليس معنى هذا أن ابن الخطاب كان يجهل الآية لا. هو يحفظها تمام الحفظ، ولكنه لما سمعها من قارئ مخلص تأثر قلبه بمعناها وما فيها من روعة وجلال..

وهذا هو أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه - الخليفة الأول والصدیق الأول إذا قرأ القرآن أبكى كل من سمعه حتى إن بعض المشركين جاؤوا يطلبون من صاحب أبى بكر أن يأمره بتخفيف صوته عند تلاوة القرآن لأن نساءهم غلبتهم من البكاء عندما يسمعون تلاوة أبى بكر..

هذه هى خلاصة مجملّة لموقف السلف الصالح من القرآن الكريم. فما موقفنا نحن؟

إننا إذا أردنا أن نعرف موقفنا من هذا الكتاب فلنستعرض:

أحوال الأمة التى نزل هذا القرآن لتنظيم شؤونها من جهة إقبالهم عليه وعملهم بما فيه.

ثم نستعرض أحوالهم من جهة سماعهم له..

ثم نستعرض أحوال قرائه الذين اصطفاهم الله لحفظه..

أما موقفنا العام من القرآن الكريم فهو موقفٌ يسجل علينا الخزي والعار لأننا احتقرنا العملَ بأحكامه فتأخرت حضارتنا ومدنيتنا، وأنها كانت خاصةً بالعصر الذي نزل فيه القرآن - وإذا دعينا إلى العمل بما فيه - سلفنا الداعي بالسنة حداد كأنه يدعونا إلى شيء نُكر لا قِبَلَ لنا باحتماله..

ومن هذا النوع تلکم المرأة السافرة فهي تعتقد أن تعاليم القرآن التي أوجبت ستر عورتها تؤخرها عن ركب الحضارة والمدنية. فهي من أجل هذا تنتظر إلى هذه الأحكام نظرة إنكار واحتقار وكأنها وقد امتلأت نفسها ضيقاً وضاقَت بها الحياةُ ذرعاً من هذه التعاليم السماوية الكريمة... أما قراء القرآن الذين اصطفاهم الله لحفظ كتابه حيث قال: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: ٢٠٤].

فقد ظلم بعضهم نفسه واستوجب لنفسه لعنة الله.

ومن هذا النوع من يتغنون بالقرآن بنغماتٍ موسيقيةٍ بحيث لا يقرأ الواحد منهم الآية إلا إذا ردَّدَ قبلها أغنيةً ليأتى بالآية على نغماتها ولا تتشرخُ صدورهم إلا إذا أعلن السامعون استحسانهم لنغماتهم الخلية.

ومنهم الذين إذا قرؤوا القرآن ووصلوا إلى آيةٍ فيها وعيدٌ وإنذار تركوها وانتقلوا إلى آيات الوعد والبشير والسرور بحجة أنهم لا يريدون أن يُسمِعوا الناس شيئاً من وعيد الله سبحانه وتعالى وهو الذي أمر بوضع هذه الآية بجانب تلك.

وأما موقفنا من سماع القرآن فهو موقفٌ أشدُّ إنكاراً من المواقف السابقة لأننا لا نحب أن نسمعه إلا من ذوى النغمات الموسيقية التي تُخرج القرآن عن مألوفه. الآيات التي تتحدث عن الأمم السابقة..

اللائئ الجوهريّة فى الخطب المنبرية

وتقصُّ أخبار هلاكهم وكيفية إهلاكهم فبدل أن تتأثر بمعانيها نرفع أصواتنا معجبين بنعمات قارئها دون أن نلتفت إلى ما تحمله من المعانى الرائعة المندرة...

فيأيتها الكتابُ الكريم ارفع شكواك إلى ربك الذى أنزلك ارفع شكواك من الأمة التى نُزِلت لتنظيم شئونها فأعرضت عنك وأهملت تعاليمك واحتقرت أحكامك ارفع شكواك من سامعيك الذين لم يقبلوا سماعك إلا بنعمات موسيقية تذهب بروعتك وجلالك..

فيأيتها المؤمنون: هذا موقفُ بعض الناس من القرآن الكريم؛ وهو موقفٌ لا يرضى كلُّ ذى ضمير حى ليس وراءه إلا الهلاكُ والشقاءُ والدمار. فإذا أردتم لأنفسكم مجداً وعزاً وسعادةً وإذا أردتم لأنفسكم نجاةً ونصرةً وفلاحاً وسيادةً وتمكيناً فى الأرض فلن يتم لكم هذا إلا إذا لجأتم إلى القرآن الكريم واتخذتموه دستوركم وأستاذكم وحكمكم ورائدكم وقائدكم وأنيسكم وجليسكم وصديقكم وكلَّ شيءٍ لديكم كما كان يفعل السلف الصالح وأن ترجعوا إليه فى كل ما تتنازعون فيه: {فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولُ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

فاتقوا الله أيها المؤمنون وتمسكوا بأحكام القرآن وتخلقوا بأخلاقه وتأدّبوا بآدابه تفوزوا بالسعادة الأبدية فى الدارين..

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه رواه البخارى اقرؤوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن: اقرؤوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شافعياً لأصحابه رواه مسلم ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة.

* * *

٤٧ - عام الحزن وخروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

الحمد لله الذى لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه حفظ الله نبيه من كيد أعدائه حتى بلغ الرسالة وأدى الأمانة.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل.. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله الرحمة المهتدة والنعمة المسداة والسراج المنير أرسله الله برسالة صالحة لكل زمان ومكان فيها هداية للصالحين وائتلاف ومحبة للمتفرقين المتباعدين سيدي يا رسول الله.

صلت عليك ملائكة الرحمن :: وصرى الضياء بسرائر الأكوان لما طلعت على الوجود مزوداً :: بحمى الإله وراية القرآن اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

أما بعد...

فيا عباد الله.. فما زلنا نعيش مع سيرة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم نذكرها لنتذكر ما لقيه الرسول صلى الله عليه وسلم من متاعب فى سبيل تبليغ رسالة الإسلام نتحدث عن عام الحزن.. ألح المرض بأبى طالب فلم يلبث أن وافته المنية وكانت وفاته فى رجب سنة عشر من النبوة بعد الخروج من الشعب بستة أشهر..

وفى الصحيح أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل فقال: أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية! يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟

فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به على ملة عبد المطلب...

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فنزلت .

{ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } [التوبة: ١١٣].

ولا حاجة إلى بيان ما كان عليه أبو طالب من الحماية والمنع فقد كان الحصن الذى تحتوى به الدعوة الإسلامية من هجمات الكبراء والسفهاء ولكنه بقى على ملة الأشياخ من أجداده.

ففى الصحيح عن العباس بن عبد المطلب قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟

قال: هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار

وعن أبى سعيد الخدرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه..

فقال: لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار تبلغ كعبيه، رواه مسلم.

وبعد وفاة أبى طالب بنحو شهرين أو ثلاثة..

توفيت أم المؤمنين خديجة الكبرى رضى الله عنها كانت وفاتها فى شهر رمضان فى السنة العاشرة من النبوة ولها خمس وستون سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم آنذاك فى الخمسين من عمره..

إن خديجة كانت من نعم الله الجلييلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيت معه ربع قرن تحن عليه ساعة قلقله وتوازره فى

عام الحزن وخروج الرسول ﷺ إلى الطائف

أُخرج أوقاته وتعينه على إبلاغ رسالته وتشاركه في كل أموره وتواسيه بنفسها ومالها.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: آمنت بي حين كفر بي الناس وصدقتني حين كذبنى الناس وأشركتني في مالها حين حرمنى الناس ورزقني الله منها الولد .

وفى الصحيح عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببیت فی الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . رواه البخارى ومسلم

تراكم الأحزان..

وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم..

قال ابن إسحاق: لما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا..

ودخل بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك .

ويقول: ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ولما توالى هذه الآلام في هذا العام سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحزن وبهذا اللقب صار معروفا في التاريخ.

وفى شهر شوال سنة عشر من النبوة..

خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وهي تبعد عن مكة

اللائئ الجوهريّة فى الخطب المنبرية

نحو ستين ميلا سارها ماشيا على قدميه جيئة وذهابا ومعه مولاه زيد بن حارثة..

وأقام الرسول صلى الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه..

فقالوا: اخرج من بلادنا وأغروا به سفهاءهم فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونهم ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس ووقفوا صفين وجعلوا يرمونه بالحجارة ورجموا عراقبيه حتى اختضبت نعلاه بالدماء..

وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج فى رأسه ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجؤوه إلى حديقة لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال بين الطائف...

وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديقة ودعا بالدعاء المشهور الذى يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنا مما لقى من الشدة وأسفا على أنه لم يؤمن به أحد قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربى إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك، أو يحل علىّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس وقالا له خذ قطفا من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل فلما وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مديده إليه قائلاً: باسم الله ثم أكل..

فقال: عداس إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد..

فقال: له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ فقال: أنا نصراني، من أهل: "نينوى" بالعراق..

فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك أخي هو نبي وأنا نبي فأكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه يقبلها..

فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاء عداس..

قال له: ويحك ما هذا؟

قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي.

قال: له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه..

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة بعد خروجه من الطائف كئيلاً محزوناً كسير القلب بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة.

وقد روى البخاري تفصيل القصة بسنده عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم..

هل أتى عليك يوماً كان أشد عليك من يوم أحد؟

قال: لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ

عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال.. فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب وهو المسمى بقرن المنازل.. فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت والأخشبان: هما جبلان بمكة.

قال النبى صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئاً .
 هذا الجواب الذى أدلى به الرسول صلى الله عليه وسلم تتجلى شخصيته الفذة وما كان عليه من الخلق العظيم..
 ما من يوم جمعة إلا وفيه ساعة إجابة فادعوا الله لعلها تكون تلك الساعة..

* * *

٤٨ - تأملات فى الهجرة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً رسول الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير.. اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين..

أما بعد...

فلا تزال بقايا من قصة الهجرة تحتاج إلى توضيح ولا تزال عبر فى هذا الحادث الضخم...

١ - أول ما نوجه النظر إليه فى حادث الهجرة قانون السببية إن هذا القانون فرض نفسه فى الهجرة لم يقل النبى عليه الصلاة والسلام إننى ومن معى أودينا فى الله طويلاً وقد أخرجنا من ديارنا كرها فعناية السماء يجب أن تلاحقنا. اتخاذ الأسباب إذن دين وهذا هو الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفكر فى الاختباء فى الغار وفى تضليل أعدائه فكان يتجه جنوباً وهو يريد أن يتجه إلى الشمال وفى اتخاذ راحلتين قويتين حتى تتمكننا من السفر..

واتخاذ دليل مدرب حتى يعرف ما هنالك من وجوه الطرق والأماكن التى يمكن التعرّيج عليها بعيداً عن الأرصاد المبتوثة هنا وهناك وكيف يضل من يبحثون عنه؟

قضية السببية قضية فرغ الإسلام منها وقرر أنها حق لكن موقف المؤمن والكافر من السبب يختلف بعد ذلك..

فالمؤمن بعد أن يتخذ الأسباب كاملة لا يعول عليها بل يؤمن بأن الأمور بيد الله وأن النتائج تتم بقدرة الله وأن هناك أسباب أخرى

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

ليست فى يد الإنسان. الله جل شأنه هو الذى يوفرها ويكثرها لمن أراد أن ينجح قصده..

ولذلك قارن العلماء بين موقفين للنبي عليه الصلاة والسلام..

قالوا فى الغار عندما أحس أقدام المطاردين تقترب وعندما بدأ أبو بكر رضى الله عنه يقلق ويشعر بالوجل كان النبي صلى الله عليه وسلم يسكن روعه ويقول له: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما .

قال العلماء:

هذا الموقف يغاير الموقف فى معركة بدر عندما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يتجه بقلبه إلى الله فى ضراعة ودعاء متتابع واستغاثة: اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض .

فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر وقال: “ يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك “.

قال العلماء: ما السبب فى تفاوت الموقفين هنا وهناك؟

وكان الجواب: إن النبي عليه الصلاة والسلام فى الغار كان قد اتخذ الأسباب كلها وأفرغ ما فى طاقته عملياً فأطمأن إلى أن الله هو الذى سيكفله وهو الذى سيحقق ما يصبو إليه من أمل فى إنجاح الهجرة وبلوغها غايتها..

أما فى بدر فإن الأسباب لم تكتمل من ناحية، وربما تعلقت الهمة بها وانتظرت النصر منها فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتجرد من هذه الأسباب من الجيش الذى خرج إلى القتال فكان دعاؤه وكانت استغاثته وكانت ضراسته وكان استنصاره بالله جل جلاله..

تأملات فى الهجرة

الفارق بين المؤمن والكافر كلاهما يأخذ بالسبب أما نحن المؤمنين فإننا نرى أن الأسباب أدوات للقدره العليا ومفاتيح لخزائن الرحمة الإلهية..

أما الكافر فيتصور أن هذه الأسباب تتحرك تلقائياً.. هذا هو الفارق بين المؤمنين وغير المؤمنين
أما الأسباب فاتخاذها دين..

عمر بن الخطاب رضى الله عنه.. لما سمع بالطاعون فى الشام أبى أن يدخل البلد الذى قصد أن يدخل إليه فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه: أتفر من قدر الله؟

فغضب عمر غضباً شديداً وقال: يا أبا عبيدة، لو غيرك قالها أفر من قدر الله إلى قدر الله أرايت لو أن عندك قطيع غنم فتركت المكان المجدب إلى المكان المخصب ألم تتركه بقدر الله إلى قدر الله؟

هذا المعنى يشرحه حديث آخر فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرايت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله .

والرقية: دعاء المريض لنفسه بالشفاء أو تلاوته بعض سور القرآن للاستشفاء ببركتها كما صح أن النبى عليه الصلاة والسلام “ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ذلك ثلاث مرات “ رواه مسلم.

شيء آخر يتصل بالهجرة وهو قصة التشريع..

يشيع بين الناس أن ما بعد الهجرة كان عصر التشريع وأن ما

اللائئ الجوهريّة فى الخطب المنبرية

قبل الهجرة كان عصر التمهيد هذا كلام يحتاج إلى شيء من التوضيح..

فإن شرائع العقيدة كلها تمت قبل الهجرة وشرائع الأخلاق الفاضلة كلها تمت قبل الهجرة وأن العبادات من صلاة وزكاة تمت قبل الهجرة والحج معروف من شريعة إبراهيم وإذا كان فرض الصوم قد تأخر إلى ما بعد الهجرة فلا يقدر هذا فى أن ما قبل الهجرة كان عصر تشريع لأهم ما تحتاج إليه الأمة فى عقائدها وعبادتها..

الصلاة شرعت قبل الهجرة الزكاة شرعت قبل الهجرة أوائل سورة (المؤمنون) وهى سورة مكية: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} ١ {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} ٢ {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} ٣ {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} [المؤمنون: ١ - ٤]، كل هذا شرع قبل الهجرة..

وسورة المدثر وهى أول ما نزل نقرأ فيها قوله تعالى على لسان المؤمنين وهم فى نعيمهم يسألون المجرمين..

{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ} ٤٢ {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} ٤٣ {وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ} ٤٤ {وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ} ٤٥ {وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ} ٤٦ {حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ} ٤٧ { [المدثر: ٤٢ - ٤٧].

وقد قال المستشرقون ومن بينهم مستشرق مجرى اسمه “جولديهر”

قال: إن القرآن المدنى أقل بلاغة من القرآن المكى.. (وهو قول غير صحيح).

ونحن نريد أن نوجه النظر إلى أن الغزو الثقافى له تسلل وله مداخل ويجب أن نحتاط لديننا وعقائدنا من عدوان المستشرقين

تأملات فى الهجرة

والمبشرين..

واعلموا أيها المؤمنون أننا نواجه مستقبلاً يحتاج منا اليقظة الكاملة والوعى الدقيق والبصر الفاحص لكل ما يراد بنا أو يببى لنا والسبب فى هذا أن مصر هى طوعاً أو كرها دماغ الإسلام وقلبه وأن نجاح الإسلام فيها نجاح له فى العالم أجمع والدليل على ذلك أن أكثر من سبعين دولة يبعثون بأبنائهم ويتعلمون فى الأزهر الشريف ثم يعودون إلى بلادهم ينشرون الإسلام..

من إلهامات الهجرة:

١ - الثقة بوعد الله ونصره حيث انتصر الأمن على الخوف وتغلبت الحرية على العبودية.

٢ - وفيها معنى الإيثار لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، وتغليب المصلحة العامة على الخاصة ومحاربة الأنانية.

٣ - تأسيس دولة الإسلام فى المدينة كانت المدينة تسمى يثرب وسماها رسول الله طيبة ثم سميت بمدينة رسول الله وأصبحت عاصمة الدولة الإسلامية..

٤ - كانت الهجرة درساً عملياً فى التوكل على الله “ بعد الأخذ بالأسباب

٥ - التنظيم الأخلاقى علمنا الشجاعة والثبات على المبدأ وحسن الخلق: إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه رواه البخارى ومسلم.

وعلى ضوء هذه النظم الأخلاقية والاجتماعية فتح شباب الإسلام

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

العالم (فعمر و بن العاص فتح مصر وطارق بن زياد فتح الأندلس وعقبة ابن نافع فتح المغرب و محمد بن القاسم فتح الهند ونشر الإسلام..

نصائح عامة:

قال صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بالمؤمن؟ المؤمن من آمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمجاهد من جاهد نفسه فى طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه من الخطايا والذنوب، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس رواه مسلم.

وفى رواية أخرى: الذين يستنون بسنتى ويعملون بشريعتي عند فساد أمتى .

قصة ابن المقرئ:

قال ابن المقرئ: كنت أنا والطبرانى وابن حبان بالمدينة ولم يبق معنا شيء من النفقة فواصلنا الصيام يومين ولما كان وقت الإفطار حضرت قبر الرسول وقلت: يا رسول الله الجوع فقال الطبرانى: اجلس فإما أن يكون الرزق أو الموت وقمت أنا وابن حبان نصلى لوجه الله وإذا بالباب يدق ففتحناه وإذا برجل معه غلامان بقفتين مملوءتين طعاماً وقال: شكوتمنى إلى النبى لقد رأيته فى النوم فأمرنى بحمل شيء إليكم..

على وفص الياقوت:

وأعطى رسول الله علياً فصاً من ياقوت وأمره أن ينقش عليه لا إله إلا الله ففعل وجاء بالفص إلى رسول الله فإذا هو منقوش عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال له النبى: ألم أمرك أن تنقش لا إله

تأملات فى الهجرة

إلا الله فلم زدت عليه محمد رسول الله؟ فقال: والذى بعثتك بالحق نبيا ما فعلت إلا ما أمرت به فهبط جبريل وقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أنت أحببتنا فكتبنا اسمنا ونحن أحبيناك فكتبنا اسمك..

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم..

* * *

٤٩ - الهجرة النبوية المباركة

الحمد لله الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه حفظ نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم من كيد أعدائه حيث قد اصطفاه وبعنايته كان يتعهد ويرعاه إن الله خير بما يعملون ويحيط بما يبیتون وما يدبرون ونشهد أن لا إله إلا الله أبطل مؤامرة المشركين الذين أرادوا أن يطفؤوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون..

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون..

اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين استعذبوا الموت في سبيل الاستمساك بدينهم..

أما بعد..

فيا عباد الله... يقول الله تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين:
 {إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٤٠].

أيها المؤمنون.. لما زاد أهل مكة في فجورهم وتعسفهم ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضد دعوته رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوجه بدعوته إلى القادمين من البلاد لحج بيت الله الحرام فكان يقابلهم في مواسم الحج.

فحقق الله أمله حيث انشرفت صدور الكثيرين من حجاج يثرب لدعوته لما رأوا فيها من تحقيق أمانهم فاعتنقوا دينه وكان عدد

المسلمين من حجاج يثرب يتزايد في كل سنة.

وقد بايعوه صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وعلى أن يمنعوه من كل شر يمنعون منه نساءهم وأولادهم وبهذا انتشر الإسلام في يثرب حتى لم تبق دار فيها إلا دخلها الإسلام إلا دار عبد الله بن أبي كبير المنافقين.

فلما علم بهذا مسلموا مكة هاجر أكثرهم إلى يثرب سرّاً تحت جنح الظلام تاركين أولادهم وأموالهم وديارهم فارين بدينهم من إيذاء المشركين لهم وقد فتح اليثربيون لهم قلوبهم وبيوتهم وأحسنوا استقبالهم وقد هاجر كل هؤلاء المسلمون سرّاً إلا عمر بن الخطاب فقد أعلن هجرته مهدداً ومتوعداً من يتعرض له فلم يستطع أحد أن يقف أمامه ولما علمت قريش بهذا كله وتأكدت أن دعوة محمد قد انتشرت في يثرب وأن الكثيرين من مسلمي مكة قد هاجروا إليها وأيقنوا أن دعوة محمد ستنتشر في الآفاق عن طريق أهل يثرب وأن ما قام به الكفار من الإيذاء للنبي وأتباعه لن يحقق لهم أملهم لما علموا بهذا كله زاد فرعهم وجزعهم وتضاعف خوفهم فاجتمعوا في دار الندوة للتشاور في الوصول إلى طريقة تمكنهم من القضاء على محمد ودعوته قبل أن يستفحل أمره ويكثر أتباعه.

فاقتراح بعضهم حبسه إلى أن يموت ولكن اقتراحه قد رفض واقتراح الآخر إخراجهم من الديار وقد رفض هذا الاقتراح أيضاً وأخيراً تأمروا على قتله وكان هذا الاقتراح من أبي جهل لعنه الله.

فاتفقوا على أن يستحضروا من كل قبيلة فتى قوياً ويعطوا كل فتى من هؤلاء سيفاً صارماً ثم يذهبوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد كي يتفرق دمه في القبائل فلا يقوى أهله على المطالبة بدمه فيرضون حينئذ بالدية..

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

اتفقوا على هذا ولكن الله الذى أرسل حبيبه ووعده النصره والعصمة لم يتركه فريسة لمؤامرتهم الدنيئة بل أخبره بكل ما بيتوا ودبروا فقال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ثم أذن الله له فى الهجرة - فذهب النبى إلى بيت أبى بكر فى وقت الظهيرة وشرح له ما أخبره الله به وبين أن الله قد أذن له فى الهجرة.

فطلب منه أبى بكر الصحبة فوافق رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح أبو بكر حتى بكى من شدة الفرح بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ثم أعد أبو بكر راحلتين كان قد جهزهما وكلف بهما عبد الله ابن أريقط وكان غير مسلم ولكنهما وثقا فى أمانته وواعداه أن يقابلهما بالراحتين عند غار ثور بعد ثلاثة أيام كى يصحبهما ليدلهما على الطريق إلى المدينة ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته وأخبر علياً بالخبر وكلفه أن ينام مكانه ويتسجى ببردته كى يضلل أعين الأعداء حتى إذا ما خرج الرسول قام على برد ما لديه من الودائع والأمانات لأصحابها فيقبل على هذا وينام مكان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعلم قطعاً أن الذى سينام هنا مقتول لا محالة ولكنه فعل هذا واقتدى الرسول بنفسه بدافع الإيمان القوى والقلب الكبير..

ولما دخل الليل جاء المكلفون بقتل الرسول وأحاطوا بيته لينفذوا مؤامرتهم ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم سجد علياً ببردته وأخذ بيده حفنة من التراب وتلا عليها أوائل سورة يس إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، فألقى النوم على أعدائه وخرج الرسول محفوظاً بعناية الله ورعايته ووضع التراب على

رؤوسهم دون أن يشعروا به ثم ذهب إلى بيت أبى بكر دون أن يراه أحد..

ثم خرج هو وأبو بكر من مكة ليلاً فسارا فى طريقهما حتى وصلا إلى غار ثور وكانت هذه الليلة فى الثالث الأخير من شهر صفر فدخل أبو بكر الغار قبل رسول الله ليتأكد من صلاحيته ولما تأكد من هذا دعا رسول الله إلى الدخول فدخل معه واختفيا فيه أما المشركون الذين كانوا قد ذهبوا إلى قتل رسول الله فقد استمروا فى نومهم العميق حتى خرج الرسول ونجا من كيدهم ومكرهم..

ولما استيقظوا تبينوا أن النائم هو على لا محمد فأيقنوا أنهم قضوا هذه الليلة فى حراسة على ولما علمت قریش بما حدث جن جنونهم وثار تائرتهم وأيقنوا أن مؤامرتهم قد أحبطت وأن محمداً قد أفلت من أيديهم فزاد غيظهم وأكل الحقد قلوبهم وأخذوا يبحثون فى كل جهة وجعلوا أجراً كبيراً لمن يأتهم به حياً أو ميتاً فتنبعوا آثار أقدامه حتى وصلوا إلى بيت أبى بكر فبحثوا عنه فلم يجدوه ولم يتورعوا عن إهانة أهل أبى بكر ثم خرجوا فى ثورة جنونية يطلبون الرسول فتنبعوا أقدامه حتى وصلوا إلى قرب الغار فانقطعت أمامهم آثار الأقدام فزادت حيرتهم واستولت عليهم الدهشة فهم بعضهم أن يبحث عنهما فى الغار وكان الرسول وأبو بكر يسمعان حديث المشركين خارج الغار..

فقال أبو بكر يا رسول الله لو أبصر أحدهم تحت قدمه لرأنا فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا فتجلت آية الله الرائعة الكبرى فى حفظ النبى وصاحبه حيث رأى الرجل باب الغار قد سد بعنكبوت قد خيم على بابه بصورة تجعل الناظر إليه

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

يعتقد أنه مخيم على باب الغار منذ مائة عام ثم رأى بجانب الغار يمامة ترقد على بيضها رجع الرجل إلى قومه وقال: إن باب الغار قد سد بالعنكبوت من قبل ميلاد محمد وما فعل الله هذا إلا ليصرف عن نبيه كيد الأعداء حتى تراجعوا خائبين وقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام حتى انقطع عنهما طلب الأعداء ثم خرجا وقابلهما بن أريقط بالراحتين فأخذهما معهما إلى المدينة وسلك طريقاً غير الطريق المألوفة حتى لا يراهما أحد من الأعداء ورغم صعوبة هذا الطريق والتوائه فقد وصلا إلى قباء وبنى فيها النبى مسجداً ثم أقام فيها أربعة أيام ثم ذهب إلى المدينة..

وكان أهل المدينة قد علموا بمقدمه فخرجوا لاستقباله بحفاوة رائعة بالغة الأثر معدومة النظير وسط الأناشيد الدينية والأرواح الطيبة المؤمنة القوية..

فدخل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة والمهاجرون والأنصار ملتفون حوله وهو فى وسطهم كالزهرة فى أكامها حتى بركت ناقته أمام بيت أبى أيوب الأنصارى فقال: هاهنا المنزل إن شاء الله .

وحسب الأنصار قول الله فيهم: {يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩].

أيها المؤمنون..

هذه خلاصة موجزة لقصة الهجرة النبوية المباركة وإذا تأملنا فيها وجدناها بحق قصة طيبة مباركة لآثارها المترتبة عليها..

فقد غيرت صفحة التاريخ وبدلت جحيم المسلمين نعيماً

الهجرة النبوية المباركة

وشقاؤهم سعادة وذلهم عزاً وضعفهم قوة ولهذا رأينا عمر بن الخطاب لما أراد أن يصنع تاريخاً للمسلمين لم ير أمامه أعظم من حادث الهجرة النبوية بالنسبة لآثارها ولذا اختارها مبدأ لتاريخ المسلمين.

فاتقوا الله أيها المؤمنون وخذوا لأنفسكم منها عظة وعبرة والرسول صلى الله عليه وسلم لم يتكبد المشاق المؤلمة إلا لأن يبلغ رسالة ربه كما أمره ربه حتى يكمل الدين وتتم النعمة وقد حقق الله هذا بحمده تعالى..

فعليكم أن تحرصوا على هذا الدين الخفيف الذى أبلى فيه نبيكم بلاءً حسناً مشكوراً واحرصوا على هذا الدين أشد من حرصكم على تركات آبائكم وأجدادكم فإن دين محمد خير تركة إذا احتفظتم به وتمسكتم به حفظكم الله من الوقوع فى الضلال والإضلال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنة نبيه .

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة..

* * *

٥٠ - الدروس المستفادة من الهجرة النبوية المباركة

الحمد لله الذى لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه حفظ نبيه من كيد أعدائه حيث قد اصطفاه وبعنايته ورعايته كان يتعهد ويرعاه إن الله خبير بما يعملون ويحبط ما يبيتون ويدبرون.

وأشهد أن لا إله إلا الله أبطل مؤامرة المجرمين الذين أرادوا أن يطفؤوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه الذين استعذبوا الموت فى سبيل الاستمساك بدينهم.

الهجرة تمت بإذن الله ليفوت على المشركين ما كانوا قد بيتوه لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شر وقد ربط الله بين الهجرة والنجاح فى الحياة فنوح هاجر وإبراهيم هاجر ولوط هاجر وكذلك يونس وموسى لكن هذه الهجرات كانت من بلاد دون العودة إليها لكن هجرة محمد كانت مغادرة لمكة بنية العودة إليها فإذا كان إخضاع أهل مكة للإسلام قد استحال من الداخل فلا مفر من إخضاعها باقتحامها من الخارج وقد ودعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قضى فيها ثلاثة عشر عاماً فنظر إلى مكة وقال: إنك لأحب بلاد الله إلى الله وأحبها إلىّ ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت .

أسباب الهجرة: -

١ - إيذاء المشركين له.

٢ - محاولة قتله.

٣ - مقاطعة المشركين له ولعشيرته ثلاثة أعوام.

٤ - موت أبى طالب وخديجة فى السنة العاشرة من الدعوة.

٥ - نشر الإسلام فى مكان جديد.

٦ - الحفاظ على الفئة المستضعفة.

٧ - إذن الله لمحمد بالهجرة: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ} [الأنفال: ٣٠].

الفكر العلمى فى الهجرة: -

أخفى الرسول موعد الهجرة فلم يعلم بها إلا أبو بكر وعلى - بعد أن حاصر الكفار بيته - وخرج فى الثالث الأخير من الليل إلى منزل أبى بكر ومنه خرج من فتحة فى ظهره وترك فى منزله علياً نائماً فى فراشه ومغطى بغطائه - واتخذ عبد الله بن أريقط دليلاً للطريق وهو مشرك لأن أبا بكر كان يثق به وكلف بإحضار راحلتين واتجه جنوباً ولم يتجه شمالاً وهو اتجاه لا يعرفه أحد ولجأ إلى غار ثور ليحقق مزيداً من التضليل وكلف الرسول عبد الله بن أبى بكر بتوصيل الأخبار إليه وكان عبد الله يسير فيترك أثراً فكان عامر بن فهيرة يرعى الغنم نهاراً فإذا جاء الليل مشى بالغنم وراء أقدام عبد الله ليزيل آثار أقدامه وبعد مرور ثلاثة أيام خرج صلى الله عليه وسلم من الغار..

من تضحيات المرأة المسلمة:

أمر أبو بكر ابنتيه أسماء وعائشة بإعداد الطعام والماء وشقت أسماء حزامها وعلقت الزاد والماء وحين رآها قال: أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقاً فى الجنة .

من تضحيات الرجال:

١ - صهيب بن سنان خرج مهاجراً وحاولت قريش منعه ولكنه هدهم بسيفه ودلهم على أمواله ولما وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: ربح البيع أبا يحيى ونزل قول الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [البقرة: ٢٠٧].

٢ - مصعب بن عمير الذي مهد للهجرة حيث أرسله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ليعلم أهلها ولم يبق بيت إلا وفيه مسلم..

٣ - عامر بن فهيرة الذي قتله رجل من بنى كلاب ورفع إلى السماء علواً وقال فيه صلى الله عليه وسلم: إن الملائكة وارت جثته وأنزل عليهن .

أربع معجزات كونية حدثت في رحلة الهجرة:

١ - ضرب الله على أعين المشركين فلم يروا محمداً وهو يمر من أمامهم: {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس: ٩].

٢ - وتتبع قريش آثار الأقدام حتى باب الغار لكن العناكب نسجت خيوطها ووجدوا حمامتين باضتا وأفرختا حتى قال بعض المشركين لبعض هذا وكأن لم يدخله أحد منذ مئات السنين وأبو بكر يسمع الكلام ويقول لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا ولو وضع أحدهم يده فوق باب الغار لوضعها فوق رأسى ويقول له صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما لا تحزن إن الله معنا {إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَجْعَلُكَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلْ كَلِمَةً الَّذِينَ كَفَرُوا سَفَلَى} [التوبة: ٤٠] .

٣ - سراقه بن مالك: حاول اللحاق به حتى يظفر بجائزة وقدرها مائة ناقة ولكنه كان كلما اقترب من رسول الله غاصت حوافر فرسه في الصخور ووقع على ظهره وفي المرة الثالثة استغاث برسول الله فأغاثه وهكذا جاء سراقه كافراً وعاد مؤمناً وكان رسول الله وعده بأنه سيلبس سوارى كسرى وتحقق هذا الوعد فى عهد عمر بن الخطاب حيث جيء إلى عمر بهذين السوارين مع التاج وكان سراقه جالساً فألبس سراقه السوارين فبكى وسأله عمر ما يبكيك؟ فحكى له ما دار بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤ - شاة أم معبد حيث مر بخيمتها وسألها عن تمر أو لحم فلم يجد إلا شاة فاستأذنها فى حلبها وكانت عجفاء لا لحم فيها ولا لبن فأمتلأت لحماً ولبناً ودعا بإناء كبير فحلب فيه وملأه فشربت وسقى صاحبه ثم شرب وملأه مرة أخرى وتركه وحين أتى زوجها فأخبرته بما كان فقال: إنه والله هو الذى تطلبه قريش ولو رأيت له لطلبت منه أن يأخذنى معه.

معجزات على طريق النبوة تلقى أضواء فى طريق الإسلام.
وترسم المعالم الواضحة فى كل خطوة من خطوات سيد الأنعام.
يخرج على المشركين وهم واقفون أمام داره.

ويعجز سراقه أن يلحق به الأذى. ويجرى اللبن فى ضرع الشاة العجفاء.

من إلهامات الهجرة: -

١ - وافقت أمر الله ورؤيا محمد ومشورة مصعب: {رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} [الإسراء: ٨٠].

٢ - وقد خرجا من الغار وقدما قباء وأقاما بها أربع أيام أسس فيها صلى الله عليه وسلم مسجد قباء وهو أول مسجد أسس فى

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

الإسلام ووصل إلى المدينة فبنى مسجده وكان مما قال صلى الله عليه وسلم: صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وقال: ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى رواه مسلم.

٣ - وترك العشرات أرضهم وديارهم وأموالهم وهاجروا وليس معهم زاد إلا التقوى وهذا جندب بن ضمرة كان شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يقف على قدميه لكنه قال لأولاده اصنعوا لى سريراً واحملونى إلى رسول الله بالمدينة والله لا أبيتن هذه الليلة بمكانى وحملوه مهاجراً إلى رسوله الله فجاءه الموت عند التنعيم فوضع يده اليمنى على اليسرى كأنه يعاهد الله ويقول هذه لك وهذه لرسولك اللهم اكتب لى الهجرة فنزل قوله تعالى: {وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً} [النساء: ١٠٠].

٤ - وتحققت الثقة بوعد الله ونصره وانتصر الأمن وانتصرت الحرية على العبودية وتحقق معنى الإيثار وغلبت المصلحة العامة على الخاصة.

٥ - وظهرت ألوان الجهاد وترك المعاصى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ٩٧].

ويجمع الفقهاء على أن الهجرة الجسدية من مكان إلى مكان ليست مشروعة بعد أن اكتمل دين الله وتأسست دولة الإسلام وأصبح كل انسان مطالباً بخدمة دينه أيا كان موقعه وهذا هو المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم: لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فالهجرة انقطعت ولكن المفارقة للجهاد باقية وكذلك المفارقة لطلب الرزق وحياتنا تعتبر

هجرة إلى ترك المعاصي والبحث عن الحلال فلنهجر في بيوتنا
ومجتمعنا كل ما يخالف دين الله.

تأسيس دولة الإسلام في المدينة:
كانت المدينة تسمى يثرب وسماها صلى الله عليه وسلم طيبة ثم
سميت بمدين
رسول الله.

- ١ - أنشأ بها مسجده.
- ٢ - اتخذ جماعة للمشورة عددها اثنا عشر من رؤساء المهاجرين والأنصار.
- ٣ - أمر بشق طريقين طويلين عمل فيهما بيده هو ومن معه.
- ٤ - اختار موقعاً أمر بتسويته ليكون مدافن للمسلمين وهو البقيع.
- ٥ - شجع البناء والزراعة.
- ٦ - شجع رجلاً معمارياً على إقامة قنطرة على الوادى.
- ٧ - وفى التنظيم العسكرى شجع على التدريب وإصابة الرمى والهدف بالسهم ولم يستغرق ذلك أكثر من عشرة أشهر وبدأ الزحف فى الشهر الحادى عشر بالسرايا والغزوات.
- ٨ - أنشأ سوقاً للبيع والشراء.
- ٩ - وآخى بين المهاجرين والأنصار.
- ١٠ - وأقام معاهدة بين المسلمين وغير المسلمين من سكان المدينة وكان صلى الله عليه وسلم هو الرئيس الأعلى.
- ١١ - أما فى التنظيم الأخلاقى فقد علمنا الشجاعة والثبات على المبدأ وحسن الخلق.

١٢ - وعلى ضوء هذه النظم فتح شباب الإسلام العالم عمرو بن العاص فتح مصر وطارق بن زياد فتح الأندلس وقتيبة بن مسلم فتح أسيا وعقبة بن نافع فتح المغرب ومحمد بن القاسم فتح الهند.
توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٥١ - الموت وحقائق عنه

الحمد لله الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور أحمدته حمد عبد مؤمن بقضائه وأشكره شكر عبد مفقّر لرضائه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: ٣].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليفه أحب الخلق إلى الله وأهداهم إليه سبيلاً جاهد فى الله حق الجهاد فصبر وصابر حتى أتم الله به الدين وظل طوال حياته عابداً لله حتى أتاه اليقين.. اللهم أدم صلاتك وسلامك وأزكى تحياتك عليه وعلى آله وأصحابه والمتمسكين بسنته.

أما بعد: فيقول الباقي جل شأنه: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} {١٨٥} [آل عمران: ١٨٥].

أيها المسلم لقد خلقك الله من الطين وجعل نسلك من سلالة من ماء مهين وسواك وعدلك فى قرار مكين ثم نفخ فيك من روحه ثم خرجت من ظلمات الرحم إلى الدنيا بشراً سوياً بعد أن كنت نسياً منسياً وقد تكفل لك ربك فى هذه الدار بالرزق: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا} [هود: ٦]، وسخر لك ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه..

ثم جعل لك السمع والبصر والفؤاد لتستطيع تدبير أمرك وتيسير سبلك وتحصيل رزقك ومع هذا لم يجعل لك الخلود فى الدنيا وإنما كتب عليك الموت ليحاسبك بعده على ما قدمت يداك.

اللائلئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُّونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ} [المؤمنون: ١٢ - ١٦].

هذه سنة الله فى خلقه أجمعين حياة يعقبها موت ولا بقاء لاحد فى الدنيا ولا خلود ولو ارتضاها لأحد من خلقه لكان أولى بها الأنبياء والاولياء والصالحون وإنما أعد وراء هذه العاجلة دار باقية خالدة هى الآخرة يكون الناس فيها فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير..

قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوزٍ ﴿١٠٨﴾} [هود: ١٠٦ - ١٠٨].

فمهما طال فى الدنيا أجلك أو امتد فيها عمرك أو انبسط فيها أملك فإن مصيرك إلى الفناء ومرجعك إلى رب الأرض والسماء ولا بد يوماً أن يشهر عليك الموت سيفه القاطع وتجرك المنية من كونها المريرة..

كل ابن أنشى وإن طالت سلامته ::: يوماً على آلة حدباء محمول
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه ::: يحور رماداً بعد ما هو ساطع
وما المال والأهلون إلا ودائع ::: ولا بد يوماً أن ترد الودائع
وما خلق الله الموت والحياة إلا ليبتلى عباده ليظهر أيهم أحسن
عملاً وأكثر طاعة ولكن الناس أصبحوا عن الموت غافلين وبالحياة
لا هين وعلى زخارف الدنيا مقبلين يختطف الموت من بينهم كل يوم

من بينهم عزيز أو عظيم أو يمتحنهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات فلا هم بالموت يعتبرون ولا بالبلاء يزدجرون كأنهم في صون من نوائب الزمان ومن تقلبات الدهر في حفظ وأمان ولم يعتبروا بقول القائل..

رأيت الدهر يأكل كل حي :: كأكل الأرض ساقطة الحديد وما تبقى النية حين تغدو :: على نفس ابن آدم من مزيد
١ - لقد شغلهم الدنيا عن لقاء ربهم فلم يعدوا له العدة ولم يتأهبوا للسفر عن دار شبهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بشجرة ظليلة لا يلبث المسافر أن يستظل بها قليلاً حتى يقوم ويتركها: (بعض ما ينبغي للميت أمور لا بد منها):

من حضر الميت أثناء خروج الروح فعليه أن يكثر من ترديد الشهادة ليذكر المحتضر ذلك قال صلى الله عليه وسلم: إذا حضر أحدكم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون ما تقولون رواه النسائي.

وقال صلى الله عليه وسلم: لقتوا مواتم لا إله إلا الله فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ويستحب أن يقرأ عنده سورة يس لقوله صلى الله عليه وسلم: ما من مريض يقرأ عنده سورة يس إلا مات رياناً وأدخل قبره ريان وحشر يوم القيامة ريان رواه مسلم.

٢ - ما يجب للميت قال صلى الله عليه وسلم: إذا مات لأحدكم ميت فحسنوا كفنه وانجزوا وصيته وجنبوه الجار سوء قالوا: يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة؟ قال: وهل ينفع في الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: كذلك ينفع في الآخرة رواه البخاري ومسلم.

٣ - وإذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء ومن الأدعية: “ اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله وأغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب البيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجته وأدخله الجنة وأعذه من عذاب النار .”

٤ - البكاء على الميت لا شئ فيه فقد تساقطت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موت ولده إبراهيم وقال: إن العين لتدمع وأن القلب ليحزن ولا نقول ما يغضب الرب وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون .

٥ - ومن شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان والقيراطان مثل الجبلين العظيمين وما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه.

٦ - وتشيع الجنازة فرض كفاية وتكون للرجال بالمشى أمامها لا وراءها وأما النساء فيكره تشييعهن إلا إذا أخيفت الفتنة فيحرم... وإن تشيع الجنازة ليس مجاملة بل هو توديع للميت إلى الدار الآخرة والشافعية قالوا: إن المشيع شفيع فيندب أن يكون أمام الجنازة سواء كان راكباً أو ماشياً.

٧ - ويستحب أن يستغفر المشيعون للميت عند الانتهاء من دفنه ويسألون الله له التثبيت قال صلى الله عليه وسلم: ما الميت فى قبره إلا كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق أو ولده فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها .

وإن هدايا الأحياء للأموات تصلهم مثل الدعاء وقراءة القرآن وقال صلى الله عليه وسلم: ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا

استأنس به ورد عليه حتى يقوم فاتعظوا بالموت لأن الموت خير واعظ ومن أراد واعظاً فالموت يكفيه وكفى بالموت واعظاً.

وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فحمد الله بما هو أهله فقال: أيها الناس: إن لكم معالم فانتبهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتبهوا إلى نهايتكم فإن العبد بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقى لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشباب قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار وقال صلى الله عليه وسلم: أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا .

“توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون“.

* * *

٥٢ - الغيبة وخطرها

الحمد لله الذى أنزل القرآن مفصلاً لجميع الأمور وجعله موعظة وشفاء لما فى الصدور

أحمده وأشكره وأتوب إليه وأستغفره..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرم الغيبة والنميمة والحسد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبع سنته وتمسك بشريعته إلى يوم الدين

أما بعد.... فيقول الله العلى الكبير جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَجِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

أيها المسلمون:

إن من أخطر آفات اللسان: الغيبة وهى أن تذكر أخاك بما يكره سواء أكانت فيه العيوب التى أسأته بها أم ليست فيه.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تدرون ما الغيبة؟ .

قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره .

قيل: أرايت إن كان فى أخى ما أقول..

قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته رواه مسلم
أي: رميته بالبهتان والباطل.

وإن من أعظم الذنوب أن يذكر المسلم أخاه فيمزق عرضه ويستسيغ غيبته ويرميه بالفحش والسوء بدافع الحقد والتشفى أو بدافع التندر والتفكه وأن ذلك فى نظر الإسلام من أقبح الزور..

الغيبة وخطرها

فقد روت السيدة عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: أتدرون ما أربى الربا عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم..

قال: إن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا} [الأحزاب: ٥٨].

وأن تتلمس المصائب للناس وإصاقتها بهم يدل على لؤم الطبع وخبث النفس ولذلك كان حقاً على الله أن يذيب في نار جهنم من يرمى أخاه المسلم بأمر هو منه بريء..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو برئ منها ويشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار رواه أحمد في مسنده.

ومن آداب الإسلام التي شرعها لحفظ المودة واتقاء الفرقة: تحريم الغيبة لأنها كثيراً ما تكون سبباً في تكدير الصفو وتغيير القلوب بين الناس ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى أن يبلغه ما يسوؤه عن أصحابه فقال: لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر رواه مسلم.

فيجب على كل مسلم يخشى الله أن يتقى ربه في أعراض المسلمين فلا يشيع عنهم قالة السوء ولا يذكرهم بما يؤدي كرامتهم أو يشوه سمعتهم وينبغي أن تتوافر الجهود لمحاربة هؤلاء المحرضين الذين يروجون الإشاعات الباطلة التي من شأنها أن توقع الفتنة بين الناس قرب كلمة أشعلت الحروب لأن جاهلاً نقلها ونفخ فيها.

اللائئ الجوهرية فى الخطب المنبرية

ولو أن كل مغتاب وجد إعراضاً من سامعيه وعدم الالتفات إليه لماتت كل فتنة فى مهدها، ولاستطعننا القضاء على هذا المرض الاجتماعى الخطير الذى يهدد المجتمع بأوخم العواقب لما يترتب عليه من الأحقاد والعداوات وتفريق الشمل وتمزيق الوحدة وقد ساق الله لنا عظة وعبرة فيما قصه القرآن الكريم.. من حادثة الإفك التى رميت بها أم المؤمنين عائشة.

فلقد اغتابها بعض الناس فرموها بما هى بريئة منه ولقد روج بعضهم مسامع الإشاعة الأثيمة حتى وصلت إلى مسامع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولكن الله سبحانه وتعالى قضى على إفكهم وما روجوه من الإشاعات الباطلة ونعى على القائمين بهذا الإفك فى ثمانية عشر آية نزلت فى القرآن الكريم وختمت هذه الآيات بحكم الله عز وجل القاضى ببرائتها من هذا الإفك الذى رميت به ووعد الله لها بالمغفرة والرزق الكريم.

ولقد أوضحت لنا عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها معنى الغيبة فقالت ما خلاصته (دخلت على امرأة لقضاء حاجة لها وبعد أن خرجت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنها لقصيرة) فقال صلى الله عليه وسلم: لقد اغتبتها يا عائشة فقلت: أبشياء خلقه الله فيها يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوليست تكره ذلك؟ رواه مسلم.

وحسبكم أيها المؤمنون:

أن الله شبه المغتاب بمن يأكل لحم أخيه ميتاً فى أسلوب قوى مملوء بالتنفير من الغيبة والتحذير منها حيث يقول: {يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} [الحجرات: ١٢].

وحسبكم أيضاً قول الله تعالى فى قصة الإفك: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور: ١٩].

فاتقوا الله أيها المسلمون:

ونقوا صدوركم من أدران الحقد والحسد وطهروا صفوفكم من النمامين والمغتائبين بمحاربتهم والإعراض عنهم حتى تبور أمارهم السوق هداى الله وإياكم سبل الرشاد ووقفنا إلى ما يحبه الله ويرضاه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى جوف بيته رواه البخارى ومسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: من اغتاب مسلماً جاء يوم القيامة ولسانه معقود على قفاه لا يحله إلا عفو الله وعفو من اغتابه رواه مسلم.

توبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

* * *

٥٣ - النميمة وخطرها

الحمد لله الذي أمرنا بالعمل على جمع كلمة المؤمنين ونهى عن كل ما يؤدى إلى الإيقاع بين الناس وتفريق صفوف المسلمين. أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأتوب إليه وأستغفره.

جعل النميمة أساس الإيقاع والفرقة والمشاحنات والبغضاء بين المتحابين المؤتلفين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نهى عن الإفساد بين الناس والفساد فى الأرض وحذر من هذا فقال: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس: ٨١].

{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [٤١] [الروم: ٤١].

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه وخليله حرم نعيم الجنة على جميع الوشاة والنمامين. اللهم صل وسلم وبارك على آله وأصحابه الذين فطم الله ألسنتهم وجوارحهم عن إيذاء المسلمين... أما بعد..

فيا عباد الله يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦].

أيها المؤمنون:

إن هذه الآية الكريمة ترشدنا إلى أمرين هامّين لكل منهما آثاره: أما أحدهما: فهو الاتجاه إلى ناحية أخلاقية كريمة هامة لو أخذ جميع الناس أنفسهم بها لساد السلام وعمّ الوئام بين جميع أفراد

النميمة وخطرها

البشرية تلکم الناحية الأخلاقية هی ناحية التحرى والتثبیت من صحة كل خبر ينتقل إلینا من كل من نشك فی صدقه.

فلو أن كل إنسان سلك سبیل التحرى الدقیق عن كل ما ینقل إلیه من الأخبار المثيرة المهیجة لسلم المجتمع من الآفات الهدامة المهلكة وعاش الناس جميعا فی أمن واطمئنان وسلام متحابین متآلفین وبهذا یتم للمسلمین بناء مجتمع صالح یسوده الهدوء والاستقرار على أساس متین من الإخاء والمودة والترابط والتضامن والتعاون وهذا هو ما یهدف إلیه المصلحون.

أما ثانى الأمرین:

فهو وضع حد قوى للقضاء على جريمة النميمة وأغراض النمامین.

والنميمة یا عباد الله هی السعى بین الناس بالفساد عن طریق الوشایات الأثیمة ونقل الأخبار المهیجة للعواطف رغبة فی الإیقاع بین الناس والسير بهم إلی مواطن الهلاك والندم.

وإذا فالنميمة من أبشع الجرائم وأشدّها قبحا وأسوأها أثرا وأعظمها خطرا فكم من بیوت تخربت وكم من أطفال تیتمت وكم من نساء ترملت وكم من دماء قد سفكت.

كل هذا بسبب جريمة النميمة البغیضة المتكررة ولهذا نرى الله سبحانه وتعالى یرشدنا إلی طریق الخلاص من هذه الجريمة ویحذرنا من الوقوع فی آثارها فإذا سمعت أى خبر مثير ممن تشك فی صدقه فعلیك ألا تصدقه حین یلقى علیك لأول مرة بل یجب أن تبادر إلی التثبیت من صحة هذا الخبر فإذا تبین لك كذبه فقاؤه هو النمام فأعرض عنه وصدّ عنه واسلك معه السبیل الذی یمنعه من السیر فی نمیمته بكل ما یمکنك من الأسالیب الرادعة الزاجرة تقی

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

الأمة من شرور لسانه ومن سوء ضميره وسوء خلقه ودناءة طبعه.

أما إذا وجدته صادقاً فعليك أن تسلك سبيل العفو والصفح عن
المسئء لنفسك الأجر عند الله ممثلاً قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩].

أما إذا صدقت كل ما ينقل إليك من الأخبار المثيرة ولم تحاول
التحرى عنها لتتثبت من كذبها أو صدقها فربما استولى عليك
الغضب وحملك على أن تنتقم ممن بلغك عنه على لسان النمام ما
يسينك وقد يتضح لك أخيراً أنه برىء مما نسبته النمام إليه فإنك فى
هذه الحالة ستصبح نادماً كل الندم على ما فعلته معه من أنواع
الانتقام ولا ينفع الندم والذى جر عليك هذه الويلات كلها هو النمام
وعدم امتثاله لأمر الله بالتثبت من صحة كل ما ينقل إليك على ألسنه
الناممين قد يظن بعض الناس بالناممين خيراً ويفهم بعضهم فى هذا
الواشى أنه مخلص له قد أراد نصحه وتحذيره من أعدائه ولكن هذا
المسكين قد نسى أن هذا الواشى النمام قد نقل عنه أكثر مما نقل له
وسيقول للناس عنه أكثر مما قاله له عن الناس لأن هذا مرض ملازم
للنمام يرى فيه متعة نفسية له وإلى هذا يشير الرسول صلى الله عليه
وسلم فيقول: من نمّ لك نمّ عليك رواه مسلم.

وحسبكم فى قبح النميمة ما ورد فى بعض الآراء أن مما يفطر
الصائم أو يحبط ثوابه: الغيبة والنميمة.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: لا يدخل الجنة نمام رواه مسلم.

وكذلك النمام يأتى يوم القيامة على صورة القردة فاتقوا الله أيها
المؤمنون واحذروا كيد النمامين واحذروا غيركم من الوقوع فى
فخاخهم واقطعوا على النمامين سبيلهم وامثلوا أمر الله فى التثبت من
كل ما ينقل إليكم من الأخبار التى تحتل الصدق والكذب لتسلموا

النميمة وخطرها

وتسلم معكم أمتكم تبنوا لوطنكم مجتمعاً قويا من المواطنين الصالحين المتعاونين كالبنيان يشد بعضه بعضا وهذه غاية دونها كل غاية وهى أمنية المصلحين وأنشودة العاملين وشعار المؤمنين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة ذا الوجهين قالوا: ومن ذو الوجهين يا رسول الله؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين رواه أبو داود.

* واللعن. معناه الطرد: من رحمة الله.

وروى من حديث معاذ بن جبل قلت: يا رسول الله! رأيت قول الله تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبا: ١٨]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا معاذ بن جبل: لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه باكياً، ثم قال: يحشر من أمتي^(١) أشتاتاً قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين، وبدل صورهم فممنهم:

- ١ - على صورة القردة.
- ٢ - وبعضهم على صورة الخنازير.
- ٣ - وبعضهم منكسون: أرجلهم أعلاهم، ووجوههم يسحبون عليها.
- ٤ - وبعضهم عمى يترددون.
- ٥ - وبعضهم صم بكم لا يعقلون.
- ٦ - وبعضهم يمضغون ألسنتهم، فهى مدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم لعباً يتقذروهم أهل الجمع.

(١) بالرجوع إلى: تفسير القرطبي، الجزء العاشر، تفسير سورة النبا (ص ١٥٣).

- ٧ - وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم.
- ٨ - وبعضهم مصلبون على جذوع من النار.
- ٩ - وبعضهم أشد تننا من الجيف.
- ١٠ - وبعضهم ملبسون جلابيب سابعة من قطران لاصقة بجلودهم.
- ١ - فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس (يعنى النمام).
- ٢ - وأما الذين على صورة الخنازير، فأهل السحت والحرام والمكس.
- ٣ - وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم، فأكلة الربا.
- ٤ - والعمى: من يجور فى الحكم.
- ٥ - والصم البكم: الذين يعجبون بأعمالهم.
- ٦ - والذين يمزغون ألسنتهم: فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم.
- ٧ - والمقطعة أيديهم وأرجلهم: فالذين يؤذون الجيران.
- ٨ - والمصلبون على جذوع النار: فالسعاة بالناس إلى السلطان.
- ٩ - والذين هم أشد تننا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات، ويمنعون حق الله من أموالهم.
- ١٠ - والذين يلبسون الجلابيب: (فأهل الكبر والفخر والخيلاء).
- توبوا إلى الله جميعاً لعلكم تفلحون.

* * *

٥٤ - الحسد وأثره

الحمد لله الذى أوعد بالشقاء والهلاك والخسران طوائف الحاسدين..

أحمده حمد الشاكرين وأتوب إليه توبة النادمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى.. وأشهد أن محمداً عبده ورسول الرحمة ونبى الهدى صلوات الله وسلامه وأزكى تحياته على هذا النبى الكريم والرسول العظيم وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين..

بسم الله الرحمن الرحيم: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ①} مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤} [الفلق: ١ - ٥].
أيها المسلمون..

الحسد هو أن يتمنى الحاسد زوال نعمة الغير بدافع الحقد الذى امتلأ به قلبه. والحسد مرض خطير من أمراض القلوب فيضر الحاسدين فى دينهم ودنياهم ولكن لا يضر المحسود فى شيء لأن نعم الله التى أسبغها على عباده لا تزول بالحسد وإلا ما بقى على الأرض من يستمتع بنعمته. فالله سبحانه وتعالى هو القابض والباسط الذى يكشف الضر ويريد الخير: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ} [يونس: ١٠٧].

إذا لماذا يأمرنا الله أن نستعيذ من الحاسدين؟

ذلك لأن الحسد يدفع صاحبه إلى الكيد للمحسود وتحين الفرصة لإيقاع الأذى به ومن ثم فلا يكون للمرء ملجأ منه إلا الله وحده فهو القادر على كف أذاه عن المحسود وإحباط سعيه ورد مكره إلى

نحره..

ولست أدرى لم يتحاسد الناس وقد علموا أن زهرة الدنيا لا تدوم لأحد وأنهم لابد عنها راحلون وإلى ربهم راجعون؟ ولكن قاتل الله الحقد الدفين والبغض الدفين الذى يضطرم فى قلوب الحاسدين فيدفعهم إلى كراهية الناس وتمنى زوال ما هم فيه من نعمة.

ويحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله ثم يغريهم بالأذى ويدفعهم إلى الكيد ليشفى صدورهم الجريحة وتستريح نفوسهم المريضة.

وبذلك يكون الحسد باباً من أبواب الجرائم وسبباً فى اضطراب الأمن وعاملاً فى نشر الفساد بين الناس، ولذا لم يكن عجيباً أن يبرأ النبى صلى الله عليه وسلم من الحاسدين فيقول: ليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه رواه أبو داود.

والحاسدون يذهب الله تعالى بحسناتهم ويهديها إلى المحسودين وبذلك يلقون ربهم يوم القيامة مفلسين محرومين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب رواه مسلم.

ولن تستقر أحوال مجتمع من المجتمعات إلا إذا ساد بين أفرادها الحب والإخاء وربطت بينهم أواصر التفاهم والتضامن والتكافل وصاروا جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.

ولن يكون هذا الوضع أو تتحقق هذه الغاية، إلا إذا حل السلام محل الخصام وانتزع الحسد من القلوب وطهرت النفوس من أدرانها الخبيثة حتى تصفو جوانبها ويشرق عليها شعاع من قول رسول الله

الحسد وأثره

صلى الله عليه وسلم: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا
أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم رواه مسلم.

وقد روى أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه رأى فى ظل
العرش رجلاً فقال: (إن هذا لكريم على ربه).

وسأل ربه أن يخبره عن اسمه فلم يجبه وقال أخبرك عن عمله
بثلاث: (كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا
يعق والديه، وكان لا يمشى بين الناس بالنميمة).

أيها المسلمون:

لكي ينال المسلم هذه الدرجة الرفيعة عند ربه يجب عليه أن
يطهر قلبه من الحسد وأن يستعين على ذلك بذكر هادم اللذات، فقد
قال

أبو الدرداء رضى الله عنه: (ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه
وقل حسده).

وخير ما جاء به الإسلام من نصح وإرشاد للسلامة من
هذه الأمراض والنجاة من شرها أن يتقى الواحد منا ربه وأن يخاف
عقابه وأن يتأدب بآداب الدين.. وإذا بلغه حسد حاسد أو حديث
مغتاب أو نمام فليقابل الجهل بالعلم والإساءة بالصبر فاتقوا الله أيها
المسلمون واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه قال النبى
صلى الله عليه وسلم: واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتان لأن كل
ذى نعمة محسود من حديث للبخاري.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من حسد رواه البخارى
ومسلم.

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

وانى لأعجب من قوم يتألمون لوجود الخير عند إخوانهم كأنهم هم الذين يعطونهم الخير والسعادة وكأن الله يأخذ ذلك من خزائهم ويمنحها غيرهم.

والعجب... العجاب!!! للإخوة الذين يحسدون إخوانهم على نعم الله ورأوا ما حدث لإخوة يوسف حينما حسدوه على منزلته من أبيه وبيان كراماته فدبروا قتله ولكن الله حفظه من كيدهم وعلمه تأويل الأحاديث وملكه خزائن الأرض ودار الزمان دورته وجاء إخوته متذللين طالبين منه الزيادة والتصدق عليهم ولما عرفوه طلبوا منه العفو والمغفرة فعفا عنهم وآواهم وأكرمهم!!!

فهؤلاء إخوته وكلهم أولاد نبى ومع ذلك دخل الحسد قلوبهم فعاقبهم الله بالتفكك والتشرد وجازى المحسود بالخيرات الجزيلة والنعم الكثيرة.

هكذا أيها المسلمون يكون الجزاء من جنس العمل والأعمال بالنيات ومن يحفر لأخيه حفرة يقع فيها!!!

فاتقوا الله أيها المسلمون وتوبوا إليه واحمدوه على نعمه التى لا تحصى وحصنوا أموالكم بالصدقات والتقوى وتعاونوا ولا تنازعوا ولا تباغضوا تكونوا من المهتدين.

توبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..

* * *

٥٥ . نعت الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين. هو ولي الصابرين. نسألك الصبر على
البلاء. والرضا بالقضاء ونسألك الشكر فى الرخاء. اجعل أول هذا
النهار نجاحا وآخره فلاحا. اللهم اجعل يومنا خيرا من أمسنا. وغدنا
خيرا من يومنا. واجعل خير أيامنا يوم لقائك يا رب العالمين.

اللهم وسع أرزاقنا وبارك لنا فيما أعطيتنا. اللهم اهْدِ أولادنا
ويسر أمورنا. وبصرنا بعيوبنا. واشف مرضانا. وارحم موتانا...
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. إذا وقف العباد فى ساحة
القضاء يوم القيامة نادى الله عز وجل: يا جبريل إني أرى فلانا فى
صفوف أهل النار..

فيقول جبريل: يا رب إنا لم نجد له حسنة يعود عليه خيرها
فيقول الله عز وجل يا جبريل انى أسمعته فى دار الدنيا يقول: يا حنان
يا منان فهل من حنان ومنان غيرى فيأخذه جبريل إلى صفوف أهل
الجنة..

يا من له علم الغيوب ووصفه :: ستر العيوب وكل ذاك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى :: كرما فليس عليه ثم جناح
منك الفضل والتكرم والرضا :: أنت الإله المنعم الفتاح
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة
ونصح الأمة وكشف الغمة اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه صلاة ندرك بها الفوز والفلاح يوم الحساب..

اللهم إنا نسألك علما نافعا. ورزقا طيبا وعملا متقبلا اللهم اجعل
القرآن الكريم ربيع قلوبنا. وشفاء صدورنا اللهم ارفع مقتك وغضبك
عنا اللهم احفظ مصر من الفتن ما ظهر منها وما بطن اللهم وحد

اللائئ الجوهريه فى الخطب المنبرية

صفوف المسلمين واعل بفضلك كلمتى الحق والدين اللهم ولى أمورنا
خيارنا ولا تولى أمورنا شرارنا واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير
واجعل الموت راحة لنا من كل شر. واغفر لنا وإخواننا الذين
سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف
رحيم.

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون.

* * *

الفهرس

٣	مقدمة
٥	إهداء
٧	١ - آداب المساجد
١٣	٢ - الإخاء والمحبة في الدين الإسلامى
١٧	٣ - مدح الصدق وذم الكذب
٢٢	٤ - حسن الجوار وأثره في خدمة الأمة
٢٧	٥ - العدل
٣٣	٦ - عام الفيل وعاقبة أبرهة وجيشه
٣٩	٧ - ذكرى المولد النبوى الشريف
٤٤	٨ - كفالة أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزواجه بالسيدة خديجة رضى الله عنها والحجر الأسود
٥٠	٩ - في ظلال النبوة والرسالة
٥٧	١٠ - الرحمة باعتبارها صفة لله ولرسول الله والمبادئ العامة
٦٤	١١ - الأمانة
٧٣	١٢ - إكرام الوالدين
٧٧	١٣ - السعادة
٨٣	١٤ - الشباب في موكب الإسلام
٨٩	١٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٩٥	١٦ - صفات المتقين
٩٩	١٧ - عقبات مزيقة في طريق إسلام الوجه لله
١٠٣	١٨ - الزواج وفوائده
١٠٩	١٩ - عاقبة الإعراض عن ذكر الله
١١٥	٢٠ - شكر المنعم
١٢٠	٢١ - آداب الصحبة
١٢٧	٢٢ - فضل شهر رجب
١٣٣	٢٣ - الإسراء والمعراج
١٣٧	٢٤ - بعض المراتى التى راها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج
١٤١	٢٥ - بقية المراتى التى راها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج
١٤٤	٢٦ - الصلاة وثمراتها
١٥١	٢٧ - الزكاة وفوائدها
١٥٧	٢٨ - فضائل ليلة النصف من شعبان
١٦٢	٢٩ - تحويل القبلة
١٦٧	٣٠ - شهر رمضان المعظم وقدره
١٧٢	٣١ - مدرسة رمضان
١٧٧	٣٢ - غزوة بدر الكبرى
١٨٣	٣٣ - فتح مكة وليلة القدر
١٩٠	٣٤ - انتهاء رمضان وزكاة الفطر
١٩٦	٣٥ - عيد الفطر المبارك
٢٠٠	٣٦ - فضل الدعاء

اللائئ الجوهريية فى الخطب المنبرية

٢٠٩	٣٧ - الدعاء عبادة عظيمة
٢١٨	٣٨ - الإسلام وتصرفات بعض المسلمين
٢٢٥	٣٩ - الأخلص لله فى كل أعمالنا
٢٣١	٤٠ - صفات المؤمنين
٢٣٦	٤١ - الحج إلى بيت الله الحرام
٢٤٢	٤٢ - فى موكب الحج
٢٤٧	٤٣ - تأملات فى سورة والضحي
٢٥٣	٤٤ - يوم عرفه وأحكام الأضحيه
٢٥٨	٤٥ - عيد الأضحى المبارك
٢٦٥	٤٦ - حال الناس عند سماع القرآن الكريم
٢٧١	٤٧ - عام الحزن وخروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف
٢٧٧	٤٨ - تأملات فى الهجرة
٢٨٤	٤٩ - الهجرة النبوية المباركة
٢٩٠	٥٠ - الدروس المستفادة من الهجرة النبوية المباركة
٢٩٧	٥١ - الموت وحقائق عنه
٣٠٢	٥٢ - الغيبة وخطرها
٣٠٦	٥٣ - النميمة وخطرها
٣١١	٥٤ - الحسد وأثره
٣١٥	٥٥ - نعت الخطبة الثانية
٣١٧	الفهرس

* * *

